بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب

قلائد الدرر وبهجة الصور رداً على المختصر

الذي ابتدعه ناصر بن اسكندر ودحضاً لما حبّر ونمَّق وسطَّر..

تأليف

الشيخ الأوحد والقطب الأمجد والبحر المزيد الشيخ حسين أحمد

قدّسه الفرد الصمد بفضل نور مؤيَّد الأبد... آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الحميد العلي المالك المنجي من المهالك الهادي إلى أشرف المسالك المتفضِّل على مخلوقاته المانّ بوجود ذاته لسائر مصنوعاته الغني عن أسمائه وصفاته الأزل القادر الموجود الحاضر الملِك الحق المبين في سماواته وأرضه جلّ عن التحييز والتقسيم والتبعيض والتجسيم فسبحانه من حليمٍ ما أحلمه ورحيم ما أرحمه وكريم ما أكرمه، والصلاة والسلام على نوره في بلاده ورسوله في لعباده حجابه المنيع وعرشه البديع وبيته الرفيع الذي أشرق تجليّه بالنور المستبين من جهة الوادي الأيمن في البقعة المباركة باللطف والتأنيس للعالِم النفيس وأشرع التجلّي بالمظهر الأرضي بالتخييل والتلبيس،

وعلى باب حجابه المشرع والضياء المشعشع السماء المحيطة بالأفلاك ومستقر الأملاك وعلى الخمسة آلاف العوالم العلوية والمراتب السامية والمنازل الباقية وعلى المائة ألف وتسعة عشر ألفاً أعني العوالم الترابية والمراتب السفلية المنزّهين عن الأجسام اللحمية المبرَّئين من الكثافة الجسمانية وعلى من لحق بهم من عالم الإقرار صلاةً تصل جميعهم بالحضرة القدسية.

أما بعد اعلموا إخواني سهّل الله لكم العروج على مراقي الرسوم إلى سماء العلوم ومتّعكم لمنزال القبول في المحلّ المعلوم أنه حصل إطلاعي على السر ومكاشفة هذا الأمر الذي هو السر الخصيبي المنتقل عن البيت الشعيبي وذلك في سنة 1238 ثمانٍ وثلاثين ومائتين وألف على يد سيدي أحسن الله له الجزاء وبلّغه المنى وجعل الله ما ألقاه إليّ سيدي ثابت الديَّ وتمكناً تمكيناً لا يسترجع بإثباتٍ وقبولٍ لا يستدفع فلما تكافى سماعي وأتمّ رضاعي في مدة الحولين الكاملين المنصوص عنهما في الكتاب المبين بقوله تعالى (وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ).

ولما تمت هذه المدة وتكاملت العدة حركت نفسي نسمات الأشواق للسفر في طلب الغنائم لعلمي بأن المسافر في ذلك

أفضل من المتغفل النائم لأن الله تعالى وعد المسافرين بالغنيمة على لسان رسوله في بعض أقواله الكريمة وهو قوله {سافرا تغنموا } أراد بالسفر طلب العلم الذي هو الغنيمة الكبرى فتهيأت للسفر شوقاً للتنزّه في بساتين الكتب والتريّض في رياض العلم الزاهي المحفوظ عند أهل الرياضة والفهم وإتباعاً للأمر الرباني لاسيما أقوال الموالي وما ندبوا إليه كل والٍ في الحضّ على اكتسابه وإيتائه من بابه لقوله تعالى (وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوْاْ الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) فدلّ بهذا أن بيوت العلم كثيرة ولكل بيتٍ منها بابٌ والشاهد بذلك أيضاً قوله تعالى عن يعقوب النبي عليه السلام (يَا بَنِيَّ لاَ تَدْخُلُواْ مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُواْ مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ). فتكاثر الأبواب على حسب تفرع طرقات السالكين إلى بيت الحكمة الوحداني الأصلي الحقيقي الذي هو مجمع بيوت العلم النوراني والسر الرباني الذي صدر عن مجمع البحرين والمارج إذ يلتقيان لولا البرزخ الحاجز بينهما فلا يبغيان فسرت من بعد الإذن برهبةٍ ورغبة وسكينة خائفاً مترقباً وقوع الجواهر الثمينة التي رست في بحور الصدور وضربت عليها أسوار المدينة فهِمتُ من خلف الجدار متشوقاً

على الأسرار ومستخفياً على الفجار متذكراً قول الملك الجبار: وضُرب بينهم بسورٍ له بابٌ باطنه فيه الرحمة وظاهره من قِبَلِهِ العذاب... فاسترشدت الأخلاّء والأصحاب إلى معرفة ذلك الباب طلباً للرحمة وخوفاً من العذاب ورغبةً في الثواب فأجابني قائلٌ من بعض الأصحاب ذوي الألباب وهو من وراء الحجاب: أيها المريد الطالب المدنف الراغب أن هذا الباب لا يفتح إلا بالعقل ولا يغلق إلا بالجهل فقفله الجهل ومفتاحه العقل فلا يُغلق دون عاقل ولا يفتح لجاهل، فتلطفت لهم تذللاً وبهم متوسلاً إلى الله تعالى بطلب الاستعطاف منهم على ضعفي وأن يلهمهم التحنن على زيادة شغفي فقال قائل منهم:

أين العهود على حفظ الحدود؟

فأجبته: إني قبولٌ لأمركم ومصونٌ لسركم فلا أضعه إلا عند أهله على حسب اعترافي بذلك، فأومأ شائراً نحو الباب فنظرت فرأيت باباً مشرعاً مفتوحاً للنصر والناس يدخلون في دين الله أفواجاً كل له سلّم ومعراج ومرقاة إلى الوصول والدخول في مقاصير تلك المدينة ودرجها ومراتبها وأبراجها الحصينة فحمدت الله تعالى على النعمة وما تفضل به من عظيم الرحمة فلما تمكنت من فرصة الجلوس مع أهل تلك المصر ومسامرتهم سرت على

سبلهم ممتطياً مطاياهم وذلك على بصيرة لا على حيرة كما قال تعالى (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ) ثم دأبت إلى التنزّه في بساتين كتبهم ألتقط من دررها وأجتني من أثمارها وأشتم من طيب نفحات أزهارها ومع ذلك فلم أجد لي وحشةً في طلب العلم ولا غربة بل مستأنس فيه وطالبٌ الزيادة منه اللهم زدنا منه وبارك لنا فيه ولا تحجبنا عنه ثم لو استطعت إحصاء ما وقفت عليه من كتب الموالي والسادات وشيوخ هذا المذهب لأتيت على ذكر ذلك وما من هذه الكتب إلا وفقهتُ من أسراره ما وفّقني الله إليه متفقهاً فيه عن شيوخ هذا العصر أدامهم الله بالتأييد والنصر ولقد رأيت جميع ما رأيت من هذه الكتب على مشربٍ واحدٍ ومنهاجٍ واحدٍ تعوّل على سر تضمين إثبات معرفة الوجودين لأهل النور والبشر وما حاد عن ذلك ردوا على قائله ومعتقده فكذبوه وعن الحق أبعدوه ثم إنني لم أبرح متشوقاً على المطالعة في هذه الكتب الأصلية التي بنيت على قواعد أركان هذه الشريعة الخصيبية والطريقة الشعيبية إلى أن كان سنة 1274 ألف ومائتين وأربع وسبعين هجرية ففي ذلك العام وقفتُ على بعض مصنفات هذا المغرور المرتكب الإفك والزور أعني ناصر حاصور ابن اسكندر المغرور ابن أحمد بن سويدان

بن أرغول المدحور فأمعنت فيه ببصر البصيرة بعد أن خلعت سربال الظن والحيرة فوجدته دالاً على نهاية الانسلاخ من كلية الحقائق ومندرجاً على جادة كل مكترثٍ ومارق مبنياً على قواعد السفه والبهتان والحقد والإضغان وقد سماه مختصراً وشجنه فحشاً ومنكراً مست يلاً بمراجعة الكلام ليس له ترتيب ولا انتظام لا إلى ركن رشدٍ يستند ويلجأ ولا إلى حل عقد يعتمد ويرجى بل مضمونه التنكيت على كل مؤالف والتشميت من كل مخالف متهجم فيه بالأفعال ومتبرع فيه بالأقوال شائرٌ فيه إلى الغيب الذي لا يُعرف وحائرٌ بما به تكلف فهو كما قيل فيه: كلٌّ كفوٌ إلا هائمٌ أو هجّام فالهائم هو الحائر الذي لا يدري ما يعتقده ولا يرى شيئاً يعتمده فهو كالمريض الدائم المرض على علوم الحقيقة من غير استحقاق فيناظر أهل الحقيقة على ذلك ليدخل الأوهام على عقول المستضعفين وينتحل من الأخبار ما لا حقيقة له ويسند ذلك للسادة المتقادمين ولقد قال الله تعالى فيمن هم بهذه المثابة (فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ) وإنه لا يخلو زمانٌ من الأزمنة ولا عصر من الأعصار من قومٍ مؤمنين عارفين موحدين عاملين عالمين ولا

بد لهم من أقوامٍ أعداء دخلاء مدعين الإيمان وهم مستودعون لا عالمين ولا عاملين بل وصلوا إلى هذا الأمر بالتلصص وكابروا أهله عليه وعاندوهم وأسباب ذلك ما ذكره صفي الدين بن المحور في رسالة الإرشاد في صحة الاعتقاد وهو قوله: إن سبب الاختلاف والاختلال أمران أحدهما إدخال الطالب في هذا المذهب بلا امتحان ولا إيناس لرشده في الإيمان والثاني انشغال أكثر الإخوان وفّقهم الله تعالى بالغفلة عن مراعاة الإيمان ورياضة الأنفس بالتقوى للرحمن وإضاعة الصلوات وإتباع الشهوات والاقتناع بلقلقة اللسان ساعةً من الزمان مع عدم التفكر والبحث في ما يذكرون مما هو حجة عليهم لا لهم كما يزعمون (كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ) كلا والله ليس الدين بالعبث ولا لمعاني بالحنث اتخذوا دينهم هزواً ولعباً أين هم عن قول مولانا أمير المؤمنين منه الرحمة {لو رأيت شاباً من شيعتي لا يتفقه في دينه لعلوته بسيفي هذا} وقال الله تعالى (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ). وهذا الرجل فقد ادعى العلم والفقه والمعرفة بغير بينةٍ واضحة ولا محجة راجحة ولا توفيق ولا تأديب ولقد بلغني أن جدّه أرغول أصله من حماة من بيت بيضون ممن كان يستعمل اللعب بالقرود ثم

ارتحل إلى قرية كفرلاها من أعمال بلاد الحصن فاستوطن فيها مدة من الزمن ثم ارتحل إلى قرية حاصور من أعمال البلد المذكور ثم أعقب هذه الذرية التي تفرع منها ناصر وأنه اطلع على هذا الأمر بالتلصص فلا قدميه له به وإنما حصل له الإطلاع على ذلك بمصاحبتهم وأنه مفارقٌ له بانتقاله عنهم فهو كما قيل فيه: إن الفروع عن أصولها تُخبر وعن منابتها تثمر فلذلك تاه وازدرى وعلى المقرين بالحقيقة اجترى وصنف هذا المختصر مرتكباً فيه مطية هواه في سبيل النظر إلى غير جهة الحق ونصب نفسه أسوةً لرعاع الأمة قصداً لامتلاء البطن من الدسائس المحرّمة وارتكب الطعن على العارفين والمخالفة للأئمة الراشدين ليوضح شرف جدة أرغول: رفيق النسناس الذي هو قرينه كما قيل فيه شعراً:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينـــــــــــــــــه فكلّ قرينٍ بالمقارن يقتدي

فلما رأيت ذلك ذكرت الحديث الشريف عن النبي عليه السلام حيث قال: رُدّ الحجر من حيث جاءت، وقوله تعالى (مَنِ اعْتَدَى

عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ) فلذلك ابتدأت بعون الله تعالى بنقض أبواب كتابه وكشف خماره وحجابه وجعلت لكل بابٍ من أبوابه باباً يوازيه ولكل فصلٍ من فصوله فصلاً يحاذيه ليكون الباب عكساً للباب والفصل نقضاً للفصل بما أنه ابتدأ به من غير تحميد ولا تسبيح ولا تمجيد ولا أثنى على ربه ولا استغفر من ذنبه ولا ذكر نبياً فصلى عليه ولا باباً ومن ينتمي إليه بل رغب عن حمد مولاه بتزكية نفسه خلافاً لقول الله تعالى: فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى، وقد قيل: إن كل تصنيفٍ أو تأليف أو كتاب لا يُبدأ فيه بالبسملة فهو أقطع وما لا يبدأ فيه بالحمد والثناء فهو أجذم، ثم بخِل أيضاً بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول عليه السلام: من نسيَ الصلاة عليَّ أخطأ طريق الجنة، وقال عليه السلام: من صلى عليّ مرةً واحدة أمر الله تعالى حافظيه أن لا يكتب عليه ذنباً، وقال عليه السلام: من صلى عليَّ مرة واحدة صلى الله عليه عشر مرات والعشرة بمائة والمائة بألف، وقال عليه السلام: من صلى عليّ كنت شفيعه يوم القيامة ومن لم يصلِّ عليّ فأنا بريء منه، وهذا الرجل فقد بريء من رسول الله صلى الله عليه وسلم بشهادة منه وخالف الأمر المحكم وهو قوله تعالى:

يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلّموا تسليماً... وانحجب هذا ولم يذكر منه شيئاً غير أنه سمّى نفسه ناصر بن اسكندر المسكين فمدح نفسه بنصرة الدين و نسب لأبيه المسكنة ثم قال: (والكلام له)

الباب الأول في تفسير قداس الصرف الذي هو من كلام مولانا أمير المؤمنين منه السلام لأنه كلام توحيد وتنزيه وتفريد يغرب معمَّاه ويعجم نجواه ويصعب على الضعيف فتواه..

فأرسمت هذا الباب تنبيهاً لذوي العقول على جهالة هذا الجهول وهو هذا:

الباب الأول

يتضمن ذكر ما أبقَ إليه من القياس الذي هو طريق الانعكاس، فأما قوله عن القداس المذكور أنه يُغرب معناه ويُعجم نجواه فذلك ظنٌّ منه ودعوى أن جميع مشاكل أهل التوحيد حلّ عقودها ووقف على حدودها وهذا القداس الظاهر فهو عنده أعجم وأغرب من الجميع وقد فهم معناه ومعجمه فهذا القول استخفافٌ بقول أهل التوحيد ويقدرهم ومدحٌ بنفسه، وقوله: ويصعب على الضعفاء فتواه فهذا أيضاً تصور الكِبر الذي هو طبعه يزعم أنه من أكبر العلماء بتفسير هذا القداس وغيره ويقتضي قوله أن

رجال التوحيد السابقين ما أوقفهم عن تفسيره غير العجز عن بلوغ معناه فلضعفهم عن ذلك صعب عليهم أن يُفتوا بتفسيره فسبقهم بزعمه بالمبالغة في المعرفة فقد اكترث بقوله: هذا إلى الحنث واتباع العنث لأن رجال التوحيد ما أهملوه من غير تفسير إلا لعلمهم بأنه ليس من المشاكل ثم قال: فيجب البحث والتفحيص عن معانية وغوامض أسراره ومشكلات علومه لئلا يسهل على الطلاب فقهه وشرح معانيه، فحقاً أقول أنه قبل أن يفسره كان اسها وأفصح كونه عائجاً بإشاراته فيه إلى الغيب المنيع الذي لا يُعرف ولا يوجد وأخلى إشاراته من إثبات الوجود وأما المؤمن العارف فمعاذ الله أن يشتبه عليه تلبس هذا المغرور الغافل عن حقائق الأمور وإنما يتيه بقوله هذا وتفسيره عل الضعفاء الحائرين ليميل بهم إلى رأيه الفاسد وحنثه الوارد ثم قال عن القداس المذكور أنه كلامٌ عظيم قولاً من ربٍ رحيم لا يحصل بلوغ الإرادة فيه ولا بلوغ معانيه لكل الناس ولكن الفقير أدركته الهمة والغيرة والمروءة بنية الخدمة والأجر لا بنية افتخار ولا رئاسة... فكذب وافترى لأن افتخاره ورئاسته باينةٌ من قوله أولاً:

لا يحصل بلوغ الإرادة فيه ولا بلوغ معانيه لكل الناس ولكن

الفقير أدركته الهمة والغيرة والمروءة.

يزعم بذلك أن السر الذي وصل إليه من معرفة هذا القداس لم يبلغه إلا قليل من الناس ولولا همته وغيرته ومروءته ما انفصح عن هذا السر ولا سبقه أحد إلى معرفته، فأي افتخارٍ أعظم من قوله هذا الذي افتخر فيه على السابقين واللاحقين، وأي رئاسة أكبر من ذلك، والله تعالى يقول في مزامير داوود النبي عليه السلام: احذروا أهل المفاخر والعجب فمن أعجب بنفسه فهو من عيني ساقط، ومن تكبر فهو يضادِدُني في ملكي وأنا له ، إلى أن قال:

/والفقير يسأل كل من وقف لعيه من الإخوان إن رأى فيه هفوة أو زلَّة أو خللاً أو غلطاً فليصلحه وله الأجر والثواب من الله تعالى..../

فأقول إنني بمد الله تعالى وقفت عليه فوجدت هفوة كثيراً وزله غزيراً وخلله جديراً وغلطه كبيراً وشره مستطيراً، وزأي هفوٍ أو زللٍ أو غلطٍ أو خللٍ أعظم وأشد وأشوه وأمقت من جحود العبد لمعبوده وإنكاره رؤيى ربه في ظهوره ووجوده ثم يجعله مربوباً ومألوهاً ومقدّراً ومسخّراً ومأموراً ومع ذلك فإنني ما رأيت وجهاً لإصلاح هذا الكتاب أوفق من الدحض والرفض فألتمس بذلك

الأجر والثواب من الله تعالى يوم الموقف والعرض حسب ما سأل مؤلفه لمن وقف عليه، وسأبيّن إن شاء الله تعالى فساده في موضعه من أصله ليتضح لذوي الأفهام شدة عناده وخلله ثم قال:

/ وأرجو أن لا يداخله فيه حسدٌ ولا عجبٌ ولا استكبار ولا عنادٌ.../

فأقول إن رجاءه عندي مقبول فمعاذ الله أن نحسد هذا الجهول، فعلى أي شيء يحسد على حيرته وعماه وخطله وشقاه؟ فهل رأى أو سمع أن بصيراً يحسد أعمى على عماه أو عالماً يحسد جاهلاً على جهله؟ وأما قوله:

/ولا يداخله عجبٌ ولا استكبار ولا عنادٌ../ فلا يمكن القعود عن مقابلته بمثلها ليتحقق المحق أي الفريقين أحق عملاً بقوله تعالى: والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون. ثم تقحَّم حشواً لا ينفع وزهواً لا يشفع إلى أن قال:

/وإن الإنسان هو تحت الغلط والسهو الخطأ، لقوله تعالى: وما جعل الله لرجلٍ من قلبين في جوفه وفوق كل ذي علمٍ عليمٌ.../

فأقول إنه قد زعم هذا الحائر أنه لو كان جعل له قلبين في جوفه ما كان يغلط ولا يسهو ولا يخطىء فنسب خالقه إلى عدم

الإرادة في الخلقة تعالى الحكيم العليم عن فرية هذا المفتري كونه غافلاً عن قوله تعالى: ما ترى في خلق الرحمن من تفاوتٍ... ثم قال: /لأن الخطأ واقع بنا لقوله تعالى: يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين، فأزلهما الشيطان – يعني عما وصّاهما مولاهما فأنساهما وصيته فأكلا منها وهي علم الثاني وطاعته ويدت لهما سوأتهما، فلما وقع آدم وزوجه بالخطأ والخطأ واقع بنا وعائدٌ علينا رجع آدم إلى ربه وتاب وقرّ أنه تحت الخطأ لقوله تعالى:

فتلقى آدم من ربه كلماتٍ فتاب عليه أنه هو التواب الرحيم، فإنه أقرّ بذنبه وتاب وصغّر نفسه بين يدي مالكها فقبِل منه توبته وعلّى منزلته وازلف درجته وجعله نبياً..../

فأثبت هذا المغرور على آدم الذي هو الاسم الأعظم أنه خطىء وخالف وأكل من الشجرة التي هي ولاية الأضداد والميل إليهم فلما أقرّ بذنبه وتاب وصغّر نفسه بين يدي مالكها قبل منه توبته وعلّى منزلته وأزلف درجته وجعله نبيّاً، فقوله أقرّ بذنبه دليلٌ على أنه كان مذنباً مع باريه جلّ سيدي، وقوله:

/وصغّر نفسه بين يدي مالكها/ دليلٌ على أنه كان متكبراً على

مالكه وباريه ومخترعه ومنشيه، وسبب رفع درجته وعلوّ منزلته رجوعه عن الخطيئة وتذلله بين يدي باريه وانه لو لم يُظهر التوبة ما جعله نبياً، فقد طابق بقوله هذا عامة النواصب الذين يعتقدون أن آدم الذي هو الاسم الأعظم هو بشرٌ مثلهم ويجري عليه الغلط والخطر ولا فرق بينهم غير بالشرف فقط، تعالى اسم الله الأعظم عن ذلك ونحن بحوله تعالى وحسن توفيقه نشرح معنى هذا الخطاب الذي حصل لآدم عليه السلام في ظاهر الأمر وباطنه لا كما يزعم هذا الجاهل المرتاب الذي لا علم له بما رأى ولا بما غاب وهو ما رواه شاب العلم أبو سعيد ميمون قدس الله سره المكنون في كتاب البحث والدلالة في مشكل الرسالة في الفصل الثالث منه وهو قوله: قال الشيخ الخصيب صاحب الرأي المصيب عند ذكر المنبّئين والآيات التي أوقعها بهم من القرآن العظيم وهو قوله تعالى:لئن أشركت ليُحبطن عملك ولتكوننّ من الخاسرين، بل الله فاعبد وكن من الشاكرين، وقوله تعالى: ولا تجعل يدك مغلولةً إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً، وقوله تعالى: ولولا أن ثبّتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً، وقوله تعالى: ألم يجدك يتيماً فآوى ووجدك ضالاً فهدى ووجدك عائلاً فأغنى... ونظائر هذه الآيات، ثم قال الشيخ نضّر

الله وجهه فهذا هو خطاب الاسم لمن هو ونـه من السبعة عشر المنبئيـن الـذين أرسـلهم الرسـول فاسـتحقوا بمـا اكتسـبوا هـذا الخطاب والذم والتحذير والتخويف... ومن عقل عن مولاه حقيقة التنزيل وع رف التأويل لم ينسب هذه الآيات ونظائرها إلـى الاسم وهـو يجـد فـي الكتـاب مـا يباينـهـا وينقضـها بـل يفـرّق مـا بيـن الخطابين، فدلّ الشيخ نضر الله وجهـه أن هؤلاء السبعة عشر شخصـاً استحقوا بمـا اكتسبوا هذا الخطـاب والـذم ولتحـذير وقـد وجدنا هؤلاء المنبّئين من العالم العلوي النورانـي الـذي لا يجري عليه ما يجري على عالم البشر من الغلط والسهو النسيان. وقال الشيخ في فصلٍ آخر من الرسالة: وأظهر الاسم ا قصّـه الله عنـه فـي الكتـاب مـن قصـة آدم أبـو البشـر وفـي البـاطن أن المخاطب بالمعصية والمخالفة والشجرة والأكل والـهبوط من الجنـة كـان زيد بن حارثة وهو أول أشخاص المنبّئين وقال الشيخ في فصلٍ آخر مـن الرسـالة: وإن مـن أهـل الصـفا ممـن دعـي فـي أول قـالبٍ مـن البشرية فأجاب من كل وجوه الحق وأنكـر الباطـل مـن كـل الوجـوه فصفي وخلـص وصـار إلـى سمـاء الـدنيا نـوراً زاهـراً مـع الكواكب المرئيـة يسمـع ويـرى لا يحجبـه شـيء عن شـيء ولا يقصّـر عن استماع شيء ولا يسهو ولا يغلط إلى آخر الشرح فأوجب للمؤمن

الذي كان في حال البشرية أنه إذا صفي صار نورانياً بهذه الصفات بعد إثباته على المنبّئين الذين هم من العالم العلوي من الأيتام والنقباء والنجباء ومن سائر المراتب أنهم استحقوا بما اكتسبوا الذمّ والتحذير، فقال الشاب الثقة: وهاذ مما يجب الفحص عنه وعن علمه لتزول الشبهة وينجلي العمى. الجواب: اعلم يا أخي وفقك الله تعالى أن شيخنا نضّر الله وجهه كان فقيه وقته وقدوة مذهبه ورسالته هي رسالة عالمٍ دري إلى عالِمٍ دريّ يعلم منه أنه عارفٌ بأغراضه وتلويحاته ولا يشتبه عليه مراده وذلك أن الشيخ لمّا رفع المؤمن الذي هو من عالم البشر عن الغلط والسهو وهو مؤمن صافٍ لم يترتب في الرتب ولم يحلّ المنازل العلوية ثم أطلق القول على المنبّئين الذين هم من العالم العلوي الذين لم يحلّوا البشرية أنهم استحقوا بما اكتسبوا الذم والتحذير لم يكن هذا منه نضّر الله وجهه جرى على سبيل التنقيص كمن منزلة المنبّئين ورفعاً لمنزلة المؤمن الصافي وإنما جرى هذا منه على قسمين تنزيهاً وتأديباً فأما التنزيه فهو قوله في تفسير قوله تعالى: أو يرسل رسولاً فيُوحى بإذنه ما يشاء... فالمرسل ههنا هو الرسول والذين أرسلهم من دونه هم السبعة عشر المنبّؤون في كتاب الله تعالى الذين وقع عليهم الخطاب

من الاسم ويظن الناس أن الخطاب واقعٌ من المعنى إلى الاسم ومن عقل عن مولاه حقيقة التنزيل وعرف التأويل لم ينسب هذه الآيات ونظائرها إلى الاسم فنزّه الاسم عن هذه الآيات وأوقعها بمن هم دونه من المنبّئين وجعل ذلك محجةً نقتفيها وطريقة نحتذيها وسُنةً نستنّ بها إذا كنا طريقه سلكنا وبعلم فقهه تفقهنا ولولاه بعد توفيق الله كنا مغيرنا من الفِرق وأصحاب المقالات الذين يعتقون أن الاسم الأعظم بشرٌ وأثبتوا عليه هذا الخطاب من النهي والتخويف ولمّا أوجب الشيخ نضر الله وجهه تنزيه الاسم عن ذلك وأوقعه بمن هو دونه من أهل المراتب وجعل ذلك طريقة لنا نسلك عليها أوجب علينا أيضاً تنزيه أهل المراتب والأنوار الذين لا يليق بهم السهو والغلط والنسيان وهم الذين قال فيهم الباب: وما مّنا إلا له مقمٌ معلوم، وإنا لنحن الصافون، وإنا لنحن المسبّحون. وأن يُوقع ذلك بمن هو دونهم من أهل المراتب النورانية السبعة السفلية وإن وجدت السهو والغلط والنسيان لا يليق بهم ، والذمن والتحذير ليس من شكلهم فنزّههم عن ذلك حتى توقعه بمن هو مركّب من أربع طبائع فإن ذلك لائق بهم لأنهم من الخلق البشري والعالم الأرضي الذين من أجلهم ظهر الله بما به ظهر وأظهر أنواره كالبشر فإذا فعلتَ ذلك

وتيقنته يصح لك قول المولى الصادق: نزل القرآن بمعنى إياك أعني واسمعي يا جارة . وعلمت أن هذه الأنساب والأوصاف فينا موجودة وعلينا مردودة، والذم والتحذير والتخويف فينا لائق وعلينا عائد وأما معنى قوله تعالى في خطابه لآدم: يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة ... الآية. فهذا الخطاب واقع بنا والعتب علينا والجنة هي المعرفة في هذا الموضع فهو سبحانه يأمرنا بالاستكانة إليها وتقوية الأرواح منها فكما أن الطعام المحسوس هو قوت الأجسام الطبيعية فكذلك العلم هو قوت الأرواح وغذاؤها وفيه يقول السيد الرسول عليه السلام: إذا حصل للنفس قوتها اطمأنت يعني أيقنت أن رزوقها في السماء وهو الرزق الحقيقي المعنوي الإلهي الذي وعد به أهل طاعته بقوله تعالى: وف السماء رزقكم وما توعدون.

وهو غير الرزق الصوري، وأما قوله: ولا تقربا هذه الشجرة، فالشجرة هي ولاية الأضداد والأكل منها هو استماع عليمهم والميل إليهم وتحسين أمورهم كذا اعتقدت سائر الموّحدة وأما هذا الحائر فقد نسب هذا الخطاب والغلط والسهو لآدم الذي هو الاسم الأعظم، فلما أن تاب ورجع عن الخطيئة وصغّؤ نفسه

بين يدي مالكها تاب عليه ورفع منزلته وازلف درجته وجعله نبياً.. ولم يتفكر في قول المولى جعفر منه السلام حين سأله محمد بن سنان عن منزلة الميم من الأزل فقال منه السلام: كمنزلة العلم من العالِم ليس هو منفصل منه ولا غائب عنه واعلم يا محمد ابن سنان أن الأزل تعالى أطلع من نور ذاته عامّاً مادّاً لم يفصله منه ولا غائبٌ عنه ثم سمّاه عقلاً وخاطبه به بقوله له: من أنا؟ فقال له العقل: أنت مبديِّ ومُظهري وأنا منك بدوت ، فقال له الأزل: ادبر أي اظهر كالمنفصل مني، فأدبر أي ظهر ثم قال له: اقبِل أي اتصل، فأقبل، فقال له الأزل: وعزّتي وجلالي ما خلقتُ خلقاً أحب إليّ ولا أقرب إلى ذاتي من صفتك، بك آخذ وبك أعطي وبك أحاسب وبك أنوب وبك آخذ حقي ممن أنكرني وبك أجازي من عرفني وأقرَّ بي لأنك سري ونورب في سماواتي وأرضي ولا قِبلاً لك إلا أنا. إذ أنت الواحد وأنا الأحد العليّ الحمبد... ثم قال هذا الهائم الهجّام بعد ذكر آدم عليه السلام فقال:

/ وأما إبليس لعنه الله لما أمر الله تعالى الملائكة أن يسجدوا لآدم فسجدوا ولم يسجد فقال له الباري: لِمَ لا تسجد لما خلقتُ بيدي استكبرت أم كنت من العالين والعالين هم الأئمة، وقال: أنا

خيرٌ منه خلقتني من نارٍ وخلقته من طينٍ، وأصر على ذنبه ولم يتُب واستكبر وخالف وعاند ولم يرجع فقال: اخرج منها فإنك رجيمٌ، وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين. لكن كبّر نفسه وخالف ولم يرجع إلى أمر الله فصار عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، ثم قال: فانظر يا أخي أسعدك الله إلى هذا المثل الذي ضربه الله لنا ما حسن معانيه وبيّن جميعه لنا حتى تلين أنفسنا ونرجع عن قساوة قلوبنا وقوة تمردنا..../

فأقول أنا هذا الهائم فإنه يزعم أن خصمه الشيخ معلا مجدلون مثل إبليس بالمخالفة والقساوة والعناد وهو مثل آدم بالطاعة وإن الشيخ معلا المذكور خالف عليه ولم يدخل تحت طاعته فاستحقّ اللعن والسبّ والشتم بزعمه فرحم الله الشيخ معلا على خلافه عليه لعلمه أن من أطاعه على هواه سار به في أودية الغيّ وانهمك به في مسلك العيب والعِي كما قال الله تعالى: ودّ كثيرٌ من أهل الكتاب لو يردّونكم بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق... فمع ذلك خلافه رضىً ورحمةً ولطف من الله ونعمة وطاعته جهالة ووصمة وشقاوة ونقمة، كما أنه زعم وقرر أن العالين هم الأئمة لا بل العالين هم الأنبياء الخمسة المشتقون من نور ذات الله القديمة والتفرعات

الحاصلة منهم كالتفرعات الحاصلة لهم عن الحقائق المعنوية والحضرة العلمية والذات القدسية ولكلٍّ من هذه المظاهر اللاهوتية ظلٌّ يسمى باسم معلوم وباصطلاح القوم فهم العالون الذين لم يدخلوا تحت حكم الأمر بالسجود لآدم وذلك لكمال هيمانهم في حال جمال جلال الحق وأما ظلالهم فالظل الأول يسمى بالعقل والثاني يسمى بالنفس الكلية والثالث يسمى بالكلمة الكلية والرابع يسمى بالصور الكلية ولكلٍ من هؤلاء الظلال الأربعة صورةً طبيعية تسمى باسم معلوم باصطلاح بعض القوم الذين هم أهل العلوم فالصورة تسمى عندهم بالحرارة الكلية والثانية تسمى بالرطوبة الكلية والثالثة تسمى بالبرودة الكلية والرابعة تسمى باليبوسة الكلية. ولهؤلاء الطبائع الأربع أشخاص أربعة فالأول يسمى بالنار والثاني يسمى بالهواء والثالث يسمى بالماء والرابع يسمى بالتراب وجميع هؤلاء التفرعات والظلال والصور والطبائع والأشخاص تفرعت عن المظاهر الإلهية التي هي العلم والقدرة والمشيئة والفطرة المرسلة للنفخة الموجبة لحياة الخلق واستقامتهم لمشاهدة ما يبدو من بوارق إشراقات أنوار الحضرة الربانية فصار الإنسان مخلوقاً على مثال الصورة الجامعة للصور الكلية والمعاني الكلية والحقائق الكلية والأسرار

الكلية ولهذا قيل إن الله خلق آدم على مثال صورته وقال تعالى: لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم، هذا ما ذكره حسن بن حمزة في كتاب لتنبيه ثم إن هذا الحائر تشبّه بالسادة السلف وادعى أنه متبعٌ أقوالهم ومقتفي آثارهم وذلك قولٌ باللسان من غير اعتقاد بالجنان وما كان كذلك فهو مكرٌ وخادع والله تعالى يقول: يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم . لأن جميع السادة السالفين والأئمة الطاهرين والأنبياء والمرسلين دلوا في كتبهم ورواياتهم واحاديثهم ومصنفاتهم وأشعارهم وكناشاتهم على ربٍّ ظاهر وإلهٍ حاضرٍ في سمواته وأرضه الآبق بد أن قال بالوجود الظليّ والمثال المتجلي انحرف إلى القول بالغيب الذي لا تُضرب به الأمثال ولا فيه للقائل مقال ومنع أن يكون لله وجود مع الملائكة وأهل المراتب العظام وندَّ عن قول المولى الصادق الوعد منه السلام حيث قال: يا أهل الإيمان ومواطن الكتمان تفكروا وتذكروا واعتبروا عند غفلة الشياطين فمن زعم أنه يعرف الله بغير رؤية فقد كفر وضلّ وعلامة الكافر المرتاب هتك الستر المحجوب وإفشاء السر المكنون فإذا أنكر العبد ما رأى فهو في ما لا يرى أشك وأريب. وقوله أيضاً: إن من صفة الحكيم أن لا يعبد إلا ظاهراً موجوداً لأن من غاب فلا يُرى يوشك أن لا يكون

شيئاً لأن العزيز الحكيم لما خلق الخلق دعاهم إلى توحيد وحدانيته ثم ظهر بينهم وينتقل فيما ينتقلون فيه فمن عرفه هناك عرفه ههنا ومن أنكره هناك أنكره ها هنا وكفى بجهنم سعيراً، ومعناه من أقرّ لله في ظهوره في النورانية القديمة وتيقن أنه الرب المعبود والإله المقصود أقر له ها هنا في البشرية والإقرار هو المعرفة به بظهوره في الصورتين النورانية والبشرية ومن أنكره في الصورة النورانية أنكره في الصورة البشرية وكفى بجهنم سعيراً وهذا الرجل قد نفى الوجود النوري وأنكره بالإطلاق ومن أنكر الوجود النوراني فقد أنكر الوجود البشري بدليل قوله: من أنكره هناك أنكره ههنا حتى حال على معدوم لا يُرى ولا يُعرف كأهل التقصير والتفويض والشك في التوحيد، ثم تحذلق بقلبٍ أحمق وقولٍ مشقشق إلى أن قال:

/ ثم نعود إلى ما أوعدنا به من تفسير قداس مولانا أمير المؤمنين منه الرحمة وأنه روي أنه أتاه سائلٌ فقال له: يا أمير المؤمنين ويعسوب الدين أريد أن أسألك عن مسألةٍ حار فكري وضاق بها صدري وأنا يمنعني الحياء من ذلك، فقال له: اسأل عمّا بدا لك حتى أنبيكَ عن سؤالك ، فقال الرجل: يا أمير المؤمنين ، أين كان ربك قبل الكون؟ فقال: إذا سألك سائل عن

ذلك فقل سبحان من الجهات لم تضمّه.../.

وصوّر لذلك تفسيراً قد سبقه إليه هل القبلة وعامة النواصب يشيرون إليه بهذه الإشارة ويعبرون عنه بهذه العبارة وتحقيق ذلك في قول الرجل لمولانا /أين كان ربك قبل الكون/ فجعل لمولانا العين رباً وجعله مربوباً، فأجابه المولى منه السلام على طريق التحجب والتلبيس ولو كان الرجل ممن يعرف مولانا بالتحقيق لقال: أين كنت يا مولانا قبل الكون؟ وكان مولانا دلّه على معرفته بالتحقيق ولكنه حيث عنى الرجل بالربوبية لغير الظاهر المشهور أوقفه مولانا تعالى عند وقوف فهمه لعلمه به أنه ليس هو ممن يستحق التوحيد فلجأ به إلى القول بالغيب الذي لا يُعرف بقوله /سبحان من الجهات لم تضمه/ إشارةً إلى غيبٍ لا يُعرف ولا يوجد وهذا الرجل قد جعل لذلك تفسيراً يفصح عن الإشارة إلى الغيب المنيع ولولا خوف الإطالة لأتيت على شرحه بتمامه وقابلته بنقضه ولكني رهبت الضجر ممن يقرأه واتقيت المل ممن يسمعه فرأيت الرأي الأصوب أن اذكر موضع إشاراته البعيدة من الغوص المقصود فقط، ومن العجب تعلقه بهذا القداس الظاهر الذي يُقرأ عند كافة المتشيعين وتركه القداديس الباطنة المروية عن الموالي منهم السلام التي خصوا

بها مواليهم وتابعيهم ووضعوا فيها الإشارات الحقيقية والأسرار الخفية والاعتقاد المحض في إثبات وجود الباري لخلقه في سمواته وأرضه فمنها ما حدّث به أبو الحسين علي بن محمد الجلي /الحلبي/ بإسناده عن معاوية بن عمار عن عتاب عن محمد بن عبد الله بن مهران عن أسد بن اسماعيل عن المفضل بن عمر عن جابر بن يزيد الجعفي يرفعه إلى غلبا بن أحمد ، أنه دخل على مولانا أمير المؤمنين منه الرحمة فقال له: يا مولاي ، أنت أنت ، فقال له: نعم يا غلبا. أنا الذي آمنت بي بنو إسرائيل وأنا الذي ناداني نوحٌ فكنت له نعم المجيب وانا الذي ناداني ذو النون في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك أني كنت من الظالمين وأنا الذي ناديت موسى من الشجرة المباركة أني أنا الله لا إله إلا أنا وأنا الذي أرسلت إلى مريم من نفخ فيها من روحنا وأنا الذي رفعت إدريس مكاناً علياً وأنا الذي طهرت عيسى ورفعته إليَّ وأنا الذي طلبتني القرون وأنا الرحمن على العرش استوى ولي ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى وكل ذي روحٍ ناطقة بأمري ولي ما خفى وما بدا وأنا الله الذي لا إله إلا أنا ولي الأسماء الحسنى والمثل الأعلى والربوبية الكبرى والألوهية العظمى وما تسقط من ورقةٍ إلا

أعلمها ولا حبةٍ في ظلمات الأرض ولا رطبٍ ولا يابسٍ إلا بعلمي ولا إله غيري ولا معبود سواي، يا غُلبا كذّب من شبَّهني بشيء أو شبّه الأشياء لي وزعم أن الأبصار تدركني والأوهام تلحظني أو شيءٌ يسبقني وكيف يُدرك من لا نهاية له ولا يُعلم له كيفية ولا ماهية ولا كينونية ولا كمية فسبحان من هو كذا لا كما وصفه الملحدون في أسمائه المبطلون في توحيده المشبّهون بربوبيته المشركون بألوهيته، يا غلبا هذه صفتي ولقد أتيناك من لدن حكيم وذكرٍ كريم فهذه إشارة مولانا أمير المؤمنين إلى ذاته جلَّت صفاته وعلت مقاماته يُعلِن بها كشفاً لأهل خاصته تعليماً وتفهيماً لكي يشيروا بها إليه في بواطن خلواتهم لا كما زعم هذا المتشبّه بإشارته إلى غيبٌ لا يُرى ولا يوجد فأين قول ذلك الرجل لمولانا / أين كان ربك قبل الكون / من قول غلبا بن أحمد / يا مولانا أنت أنت / فتلك جحدٌ وإنكارٌ / ، وتلك توحيدٌ وإقرارٌ، وأين جواب مولانا لذلك الرجل من جوابه لغلبا ابن أحمد فتلك تحجُّبٌ وتلبيس وتلك كشفٌ وتصريح، ومثله ما روي عن صعصعة بن صوجان صلوات الله عليهما أنهم دخلوا عليه في بعض الأيام نفرٌ من بني شيبان فقالوا له: يا صعصعة صِفْ لنا صفات مولانا أمير المؤمنين منه السلام فقال لهم: يا بني شيبان لا

أعرف بياناً ولا أكرم فطاناً ولا أوسع علماً ولا أشد قلباً من علي بن أبي طالب على أي حال عليٌّ حكيم كريم فارسٌ ليس كالفرسان وشجاعٌ ليس كالشجعان أسدٌ ليس كالأسود صخرةً ليس كالجلمود مكِرّ الكرة في يوم الحرب والوغى فهو كالنجم الملكوتي أو كما المصباح العلوي أو كما الكوكب الدريّ له من جبرائيل سطوته ومن عزرائيل قبضته ومن إبراهيم نضرته ومن يوشع قدرته ومن محمد نوره وبهجته هو مالك الإشراق ومتوجٌ بالأبراق نوره يضيء في الليل الداج كالكوكب الوهاج أو كالشمس في الأبراج قمر الكواكب وضياء الغياهب وشمس المراتب أجلح الرأس ثابت الأساس صعب المراس قابض الأنفاس إذا مشى بخطوته لحظ الظبية البيضاء بوثبته عيناه مكحولتان بسوادٍ لحيته فاحمةٌ كلون الغيهب متجلي بالنور العلوي الموت من بين يديه يسري و المنية من حسامه تهوي يرمي العدا فيصيب وإذا بارز ما يخيب معالج العدا بالأسواط ومغبطهم بالاغتباط أروعيٌّ الاجتهاد أصيل الدين صفي اليقين معطعط المواكب ومبدي العجائب ما حمل في كتيبةٍ إلا ودهش ولا معركةٍ إلا ورهش دلَّت دلائله وكثرت فضائله فهو كالبحر الزاخر بالعلم المتوَّج بالفصاحة والفهم وهو نقمةٌ على الجبابرة والكفار المتفرع

من شجرة المختار وهو الله الذي لا إله إلا هو الواحد القهار أفخر الفاخرين إذا افتخروا وأنصح الناصحين إذا نصحوا الدالّة عليه بهجته الراقد على فراشه بليلة قاتل أبرهة الأقران ومبيد الشجعان ومكسّر الأصنام ومحيي العظام المسك الأذفر والياقوت الأحمر والليث الغضنفر والأسد القسور المسمى بأمير النحل علي وحيدر أبو السبطين الحسن والحسن إن قال أصاب وإن طلب أجاب لم يُداخل فؤاده جزع ولم يخامر قلبه فزع فهو كالقشعم الدائر أو كالشبح النائر شقيق المصطفى الرلمي أعداءه بالمكاره ومحرّقهم بالسباسب مفرّق الكتائب والسهم الصائب فارس المشارق والمغارب المسمى بأمير النحل علي بن أبي طالب نور البلاد وغاية العباد وإليه إشارة المؤمنين الأجياد السادة الأنجاد وهو لا له حدٌ ولا نفاد المسمى باسمين المكنّى بكنيتين الطاعن بالرمحين الضارب بالسيفين زوج البتول وابن عم الرسول الفارس البهلول وهو الأزل القديم الذي لا يحول ولا يزول ولا يفقد عند ذوي العقول لم يغب عن سمائه بمشاهدة أرضه ولا عن أرضه بمشاهدة سمائه...

وفي ذلك يقول الشيخ الخصيب في ديوانه:

وهو الظاهر لذي لم يغِب قط عنِ العارف العليم الخبير

وهو الأول والآخر والباطن والظاهر وهو بكل شيء عليم وعلى شيء قدير... ومن القداديس والإشارات والدلائل الواضحات والبراهين اللائحات والحِكَم البيّنات التي أشاروا بها المؤمنون الثِقات والصالحون الهداة ما هذا لفظه وهو:

/الحمد لله علي بدر التمام علي رب الأنام علي فالق الحبة علي باري النسمة إلى آخره/

تركناه إيجازاً لكونه مشهوراً عند الكافة ولأهل التوحيد جملة قداديس قدسوا بها وأشاروا بها إلى مولاهم وغايتهم ومعناهم وإشاراتهم فيها تنافي إشارة هذا الناعق وعبارتهم فيها خلاف عبارة هذا الآبِق ولو ذهبنا إلى شرحها وموحوت من الأسرار مما وصلنا إليه من تفضّل السادة السلف منّةً من الكريم المنّان، لطال وحرجنا به عن حدّ الغرض المقصود فلا استخرنا الإيجاز وقصدنا الابتزاز من أسرار المعاني والألغاز لئلا يملّ قاريه وناسخه وراويه ولولا ذلك لأتينا على جميع ما نمّقه هذا المفتون من كل لفظةٍ برواياتٍ تُهدّم أساسه وتُخمِد أنفاسه ولكني نظرت ليس بأول من مارسه الشيطان ولا بآخر من عارضه الطغيان فاستحق الخذلان وتصدى لأهل الإيمان بالزُّور والبهتان وخامره الشك فأورده موارد الإفك وأحله محل أهل الزّيغ والشرك وعاند

أهل الحق ببغيه حتى صار لهم عدواً كما قال تعالى: ولكل نبيٍّ جعلنا عدُّوا من المجرمين، كيوسف العيدية الذي لقّب نفسه بالظهور وادعى أنه هو السيد الخصيبي واحتجّ بالخبر المنحول إلى أبي الحسين الجلّي وقول الشيخ له: / يا أبا الحسين أنه قد بقي عليٌّ قميصٌ أقضيه بأنطاكية ومن هناك ألحق بعالم الصفا.../. وكربيعة بن نصر العصيدة وخلافه على الشيخ يوسف العجوز النشّابي بقوله في الصورة البشرية أنها صورة كما الصور بيدٍ نور ورجلٍ نور ورأسٍ نور ولسان نور وما نفى عنها غير الأكل والشرب وكسنان قزحل وخلافه على الشيخ حاتم وادعى أنه هو المعنى بما تلقّنه عن سراج الدين العاني الملعون، وكابن ذهيبة وخلافه على الشاب الثقة أبي سعيد ميمون حتى جرى ما جرى بينهما من التصانيف والمشاجرة وكان ذهيبة من يشير إلى الغيب كما فعل هذا الحائر واحتجّ بقول المولى منه السلام: إن ظاهري باطن اسمي وظاهر اسمي باطن بابي ففي هذا الجواب وأمثاله كانت حيرته وضلاله وضلال أتباعه وأشكاله لأنهم اعتقدوا في الصورة المرئية التي ظهرت واشتهرت في البشرية وأبدت المعاجز والقُدر ونطقت على المنابر بالتصريح والبيان أنها هي باطن الميم وروحه وقديمه وأثبتوا

الوجود على الاسم والباب ونفوا وجود المعنى من الأرض ومن السماء وأحالوا بإشاراتهم إلى الغيب الذي لا يُرى ولا يوجد وقالوا في الصورة إنها نورٌ من منير وقدرةٌ مظهرةٌ من قدير والنور والمنير هما الاسم والباب ولقد قال الله تعالى فيمن هم بهذه المثابة: وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون. وكذلك العوني فقد أخبر عنه أبو صالح الديلمي في كتاب هداية المسترشد وسراج الموحِّد أنه /لعنه الله/ كان ممن سمع التوحيد خطاباً واضحاً وسبباً بمحضر جماعةٍ من المؤمنين قال إنه نكص وارتدّ وشكّ ولم يقبل وأنه سمعل برأي القرمطي /لعنهما الله/ وصار في مذهب التفويض قدوةً يقتدى به ويرجع إلى قوله جميع أهل التفويض من بعده وهو عندهم عمدة يعتمدون عليه وإن شيخنا الخصيبي رضي الله عنه شهد أنه مذمومٌ وأنه غير مرحوم وذلك أن الجليّ الذي هو القدوة بعد شيخه سأله عن العوني والعزقري والحلاج والعَلَوي البصري فقال رضي الله عنه: الثلاثة مذمومين والعلوي البصري محمود ثم قال أبو صالح الديلمي لقد رأيت جماعةٌ من المقرّين بالتوحيد يقولون: إن العلويين ثلاثةٌ، منهم اثنان مذمومان وواحدٌ محمودٌ فكنت إذا رأيتهم يقولون ذلك ابتسم وأكثر من حمد الله وشكره إذ بصّرني وعرّفني وفضّلني بجودة

الذهن الصافي فأقول لهم: يا قوم لو كان الأمر على ما تقولون لكان شيخنا بيَّن ذلك عند سؤال الجليّ له عن أولئك الأربعة وهم العونيّ والعزقري والحلاج والعَلَوي البصري، فقال: الثلاثة مذمومون والعلوي البصري محمود وقد كان الشيخ رضي الله عنه قال في جوابه إن العزقري والحلاج مذمومان وأما العونيّة فإنهم ثلاثة فمنهم أبو محمد طلحة بن عبيد الله محمودٌ والاثنان الآخران مذمومان بل شيخنا قدّسه الله قطع بذمة ولم يقل لولده الجلي أنهم ثلاثة أفأنتم أفقه من الخصيبي وأبصر بنور الله والخصيبي كان ينظر بنور الله ويعرف المؤمن من الكافر والبرّ من الفاجر المحجوب فهو لا يذمّ إلا من كان مذموماً ولا يحمد إلا من كان محموداً ولقد قال لي بعض المشايخ الذين كانوا بعصري: يا فلان اعلم علماً يقيناً أنه قد جاءت الأخبار عن مشايخنا أنهم قالوا وثبت عندهم أن الرستباش الديلمي أكبر أولاد الشيخ وأقدمهم في السماع هو في النار والعوني في الجنة فكثر تعجبي من هذه الروايات القذرة والعقول الرديّة النكرة والأذهان الصدئة الكدرة وتضاعف شكري أيضاً لله رب العالمين على حُسن صنعه وجميل فعله بي فقلت له يا هذا الرجل أصلحك الله أنت ممن يُجمِع معي على أن شيخنا الخصيبي رضي الله عنه/ كان

قد بقي عليه قميصٌ واحدٌ قضاه في أنطاكية ولحق بآخر درجة اللاحقين/ وأنه كان ينظر بنور الله فقال هذا كله حق، فقلت له: يا شيخ أريد أن توضح لي فضل هذا الرجل الذي كان ينظر بنور الله، فقال إنه يعلم ما خلف الجدار ويعرف المؤمن من الكافر والبرّ من الفاجر، فتبسمتُ، فقال: تتبسّم فقلت كيف لا أتبسّم وأنت تشهد أنّ أكبر أولاد الشيخ وأقدمهم في السماع كان رستباش الديلمي وهو في النار بعد علمك أن شيخنا يعرف المؤمن من الكافر والبرّ من الفاجر وينظر بنور الله فإذا كان ذلك فلِمَ ألقى شيخنا بسرّه ومعرفته إلى رستباش وهو يعلم أنه من أهل النار والنار هي المسوخية ونحن وجميع أهل التوحيد نُجمع على أنّ من ألقى توحيد الله وسرّه ومعرفته إلى من ثبت كفره فهو مبذّر والمبذّر شيطانٌ ونحن نشهد لشيخنا بالصفا فكيف الوجه وأنت تشهد أنه ألقى التوحيد إلى رجلٍ من أهل النار وأنّ عدوّه الذي هو العوني في الجنة فبُهت وأطرق ملياً ولم يأتِ بجواب، ثم قلت له: اعلم يا شيخ أن المشايخ الذين يشهدون أن الرستباش / رضي الله عنه / في النار، وعدوّه العوني / في الجنة هم مشايخ الضلالة ومعدن الجهالة مشايخ المفوّضة مثل اسماعيل بن خلاّد ومن قال بقوله لعنهم الله لعناً كثيراً ورماهم

في السعير وتبَّرهم تتبيراً ولعن من قال بقولهم ممن لا نجابة فيه ولا إيمان له فأما قول أبي صالح الديلمي للرجل الذي هو من أتباع العوني / أنتَ ممن يُجمع معي على أن الخصيبي قد بقي عليه قميصٌ واحدٌ قضاه في أنطاكية ولحق بآخر درجة اللاحقين فهو على وجه التجاهل كون ذلك الرجل من أتباع العوني من أهل التفويض وكان ذلك اعتقاده في الشيخ أنه باقٍ عليه قميصٌ في البشرية، فتجاهل عليه أبو صالح رحمه الله ليعلم ما عنده من القول والاعتقاد في الشيخ نضّر الله وجهه فلما تبين اعتقاده في الشيخ أنه بشريٌ وأنه باقٍ عليه قميصٌ واحدٌ في البشرية ومنه لحق بآخر درجة اللاحقين ولكنه كان ينظر بنور الله ويعرف المؤمن من الكافر وأثبت أن رستباش في النار... قال له أبو صالح رحمه الله بعد المحاورة فنحن نشهد لشيخنا بالصفا فكيف الوجه وأنت تشهد أنه ألقى التوحيد إلى رجلٍ من أهل النار، وعدوه العوني في الجنة فبُهِت الرجل وعلم أن طريقة أبي صالح تنافي طريقته واعتقاده في الشيخ ينافي اعتقاده. وكذلك اسحاق الأحمر فقد ادعى في نفسه البابية وجحد بابية السيد أبي شعيب وانتصب للعناد ولو ذهبنا إلى ذكر الذين أظهروا الخلاف والمعاندة للأئمة /منهم السلام/ وللأنبياء

والمرسلين لكان يكون كتاباً منفرداً بذاته وهذا الرجل فقد قام مقامهم ورمى بسهام أكهامهم ونرجع إلى ما كنا به من تفسيره للقداس المشهور بعد أن طال تنميقاً وانحرافاً وتزويقاً فقال في الصور المرئية / بأن ليس لها مصور ولا فوقها غاية / فأقول إن هذا القول هو الصل الذي لا يعتلّ.... فلعمري أنه لو اعتقد ذلك وثبت عليه كان محقاً في اعتقاده ولكنه رجع إلى قول اسماعيل بن خلاّد وأهل التفويض وقال في الصورة المذكورة بأنها عي القدرة.

فهذا رأي أهل التفويض لأنهم يعتقدون أن الصورة قدرةٌ من قدير ونورٌ من منير كما تقدم القول ثم قال / فما نظرت العيون إلا عجزاً ولا نقطت الألسن إلا ضعفاً ولا تميزت القلوب والأذهان إلا وهماً سبحانه ما أعظم شأنه فإذا كان ظاهراً بين عباده كصورهم وهيئاتهم لا يُدركون منه شيئاً فكيف يحق للجاهل الخسيف العقل أن يقول: إني أشاهد رب الأرباب وأعاينه في الصورة البشرية بعليّ بن ابي طالب ويجعله سماءً وشمساً وقمراً وليلاً ونهاراً وقوس قُزح ورعداً وبرقاً وفلكاً وريحاً ويجعلونهم آلهةً من دون الله وهو جل أن تدركه الأبصار أو تحيط به الأفكار.../

فأقول أنه لو اقتصر هذا المتخرِّص على ما قرر كان عليه أجمل

وأستر لأنه جمع بين كثير من أصحاب المقالات وخلط بين جملةٍ من ذوي الاعتقادات ولمَ يفرّق بين محقِّهم من مبطلهِم فلو أنه ميّز الحق وانتصف من الجهل استعمل أن عليه في هذا الكلام وصماً وانتقاصاً لم يجد منه مناصاً لأنه تارةً يقول: إنه ظاهرٌ بين عباده ولكنّهم لا يُدركون منه شيئاً يعني لا يرونه وهذا قول أهل الظاهرين الذين يزعمون أن الباري ظاهرٌ موجودٌ في كل مكان ولكنه لا يُرى بالعيان، وتارة يقول بالصورة المرئية البشرية قول المحدين وتارةً يقول إنها هي القدرة التي بدت من القدير الذي هو الغيب ويجعله غيرها ويشير إله إشارة الحائرين وإذا طولبن بالدليل على شهادته بالصورة البشرية وتسميته لها مرئيةً لم يجد لذلك من سبيل كونها ما كانت في أيامه ولا رآها بعينه قط غير أنه كن عارفاً بقمصه من تاريخ القبة المحمدية إلى تاريخ وقته وهذا لا يمكن أن يكون لبشر، وإذا ادعى علم ذلك ألزمناه أن يبرهن ذلك لنا ما كان اسمه ولقبه وقبيلته وما جرى عليه من خير وشر في هذه القمص التي لبسها في هذه المدة المذكورة وذلك شيء لا يتهيأ له فلقد شهد بصورة مرئية وهو لم يرها ولا حضر زمانها وعصرها وأوانها وكيف يقول: إياك نعبد وإياك نستعين . وهذا الكاف لا يخاطب به إلا موجودٌ

حاضرٌ، وهذا الحائر يشير بذلك إلى الغيب فيجب عليه بإشارته إلى الغيب أن يقول: إياه نعبد وإياه نستعين، وهل يجوز أن يشهد المؤمن بما لا يعلمه ولا يراه والله تعالى يقول: وما شهدنا إلا بما علِمنا وما كنا للغيب حافظين. وقال تعالى: إلا من شهد بالحق وهم يعلمون. فالمؤمن العارف لا يشهد بما لا يعلمه ولا يعبد إلا ما يعرفه لأن طارح الشهادة مكذّب ومفتون وناكرها خائن وملعون وما أحسن ما أورده محمد بن شعبة قدسه الله في كتاب الأصيفر عن قول القائل في الصورة المرئية بغير تحقيق بقوله: أشهد أن الصورة المرئية هي الغاية الكلية ليست كلية الباري وليس الباري سواها وهو قوله: أليس أنت الشاهد على نفسك أن الصورة المرئية أنت تعرفها وتثبتها وتشهد بأنك معاينها ومحققها بقولك أنها مرئية فإذا تلزمك الحجة بواجب شهادتك إن كنت عارفاً صادقاً على إقامة الدليل على وجود الصورة وإيضاح ظهورها وبقائها وسرمديتها وكونها ثابتةً للعيان دائمة الكيان واضحة الحجة والبرهان حتى تكون بهذا القول صادقاً وإلا فأنت مبطلٌ فيما ادعيته لقلة معرفتك لأنك شهدت بالحق وجحدته فلزمك الحرمان لقصر علمك ومعرفتك وإن كنت قانعاً بما نقلته عمن تقدمك فإنما أنت مقلِّدٌ ومصدّق لأقاويل

مظنونةٍ ليس موثقاً بصحتها فالحجة تلزمك وتلزم من تقدم قبلك وقلّدك هذه الشهادة، ثم قال فيجب أن يبحث عن هذا المطلوب ويتحقق القول فيه لأن المعرفة لا تكون تامةً إلا بمعرفة المعقولات والأنوار المجردات لأن المحسوسات أعراضٌ والأعراض زائلة لا يقال لها جواهر لأن الجواهر قائم بنفسه مستغنٍ في حقيقة وجوده عن سواه، والأعراض لا تقوم إلا بالجواهر فمعرفة الله لا تكون بالشيء الزائل وإنما تكون بالشيء الثابت الدائم بدوام مبديه والعرض فانٍ فاسد والجوهر لا يتغير، فقد نبّهك إن غفلت وعرّفكَ إن علمت بقوله الصورة المرئية فقد أثبت الوجود بقوله مرئية والمرئي هو المعاين ثم قال هي الغاية الكلية للمبالغة في إثبات وجودها وأنها هي الذات الكلية التي ما وراءها للطالب مطلب، ثم قال ليست كلية الباري لا كلية الوجود من جهة النظر بالعجز الواقع في أعين المشاهدين له، ثم قال وليس الباري سواها بالحقيقة بل هي إثباتاً وإيجاداً وعياناُ وبياناً وهو الظاهر بها ليدل الخلق على ذاته برؤيته إذ هو الدليل لأدلته الظاهر بقدرته والباطن بحكمته ، ومعنى دليل لأدلته فالأدلة هم الرسل وهو دليلهم وهاديهم وموفّق الخلق إلى معرفتهم وطاعتهم وقبول ما دعوا إليه من الحدود والأحكام

والشرائع والديانات والعبادات وكذلك سائر الرسل أشارت إليه بأنه ظاهر ودعت الخلق إلى توحيده والإقرار بوجوده في سماواته وأرضه فلذلك قال السيد أبو شعيب في دعائه: يا دليلاً لأدلته معنى قوله يا ظاهر بقدرته فالقدرة هي السيد محمد وهو الذي دلّنا على معرفة العين ولولا ظهور القدرة ما عُرف المعنى ولا استقر الوجود وقوله: يا باطنٌ بحكمته ، والحكمة هي الباب وفي ذلك إشارة دقيقة وعبارتها أنيقة فكيف يجوز أن يبطن بالحكمة التي هي الباب ويظهر بالقدرة التي هي الاسم ونحن نقول إن البطون أشرف من الظهور فإذا تبصر في هذا القول من كان له لبّ علم أن الإشارة في ذلك ذاتية معنوية جوهرية وهي من صفات الأزل تعالى التي هي العلم والقدرة التي تفرد بها في قدمه واستتر بها في بريته فليست غيره ولا هي سواه لأنه لم يزل عالماً قادراً، علمٌ كله قدرة كله كما قال مولانا أمير المؤمنين في بعض كلامه لأويس القرني: اعلم يا أويس أن الله عز وجل شرع الشرائع عقلها من عقِلها وجهلها من جهلها فالعاقل لها متَّبع والجاهل لها مبتدع والتارك لها ممتنع وهي الشريعة التي ندب إليها أهل التوحيد المقرّين بربوبيته والمعرضين عما قالت الملحدون المشبّهون وما ادعوه من عظيم الذنب بقولهم إنه

قادر بقدرة والقدرة غيره كذبوا يا أويس لو كانت القدرة غيرها لقنا إنـه كـان عـاجزاً، حتـى خلـق القـدرة فصـار قـادراً وزعمـوا أن العلـم غيره كذبوا على الله لأن كل عالمٍ بعد ججهل يعلم وكل قادرٍ بعد عجزٍ يقدر. فثبت الدليل من قول مولانا على أن العلم والقدرة من صفات المعنى التي ليست هي غيره وليس هـ سواها عزّ عن الصفات والنعوت والإشارات ولهذه الصفات من المراكز العلويـة ستة أسامي بعدد التجليات الستة وهي المشيئة والفطرة والعلـم والقـدرة واللطـف الخفـيّ والسـادس الحكمـة الأبديـة وفـي هـذه المظاهر الخمسة توسل إلى الله السيد أبو عبد الله في دعائـه بقوله: أسألك بخمسة حجب نورية أقمت لها خمسة حجب ظلية، ولكل من هذه المظاهر صفة عند التجلّي ومجموع جملتها صفة واحدة وإن تعددت في أعين الممزوجين، وفيها يقول الشيخ نضر الله وجهه: صفةٌ لا كالصفات وآلـةٌ لا كـالآلات، وعنـها سأله ابن شعبة بقوله: يخبرني الشيخ هل هذه الصفة هي صفة الرب التـي احتجب بهـا؟ فكـان جـاب الشيخ لـه إنهـا هـي صفة الـرب التـي احتجب بها وليست هي غيره وبها الكون والحدوث لكل مكوِّنٍ وكائن ومراده في العالمين العلوي والسفلي، ولقد أفصح عن ذلك لشاب الثقة أبو سعيد ميمون قدّس الله روحه في كتاب البحث

والدلالـة فـي مشكل الرسالة، بقولـه: وأمـا الكـون الـذي هـو بهـا ومنـها فهو الكون العظيم والاسم القديم الذي لـم يكن قبلـه كـون ولا مكــان غـير الأزل باريــه الــذي كوّنــه ومكّنــه وجعلــه اســمه وحجابه فهو الكون والمكان وأما الحدوث فهو الباب الذي أحدثـه الاسـم وجعلـه بـدوَ حـدوث العـالم وترتيـب المراتـب النورانيـة لأن المعنـى تعـالى فـوّض القـدرة للميـم والنشـأة والتكـوين وجعـل لـه القـدرة فـي ذلـك فعنـدها الميـم إليـه التسـليم خـصّ البـاب الكريـم بالحكمة في ترتيب المراتب النورانية واستمدادهم من عنده بنـور الحكمـة الإلهيـة والفيوضـات الربانيـة الفائضـة عن القدرة القويـة لأن جميع ما يحصل لأهل المراتب من الشرف والزيادة فـي النـور والقـدر فعن يد البـاب الكـريم تجـري وتظهـر وذلـك بمـا أمـده بـه السيد الأكبر لقولـه منـه السـلام: أنـا وأنـت يـا سـلمان أبـوا هـذه الأمـة فالسيد محمد بمنزلـة الأب والسيد سلمان بمنزلـة الأم لأن الرضـاع مـن الأم ومنهـا يجـري القـوت للأطفـال فكمـا أن تربيـة الأطفـال عـن يـد الأم وقـوتهم مـن عنـدها يجـري فكـذلك ترتيـب المراتب عن يد الباب جرى وجميع ما يُجرى من الخيرات والكسب الإلهي والـرزق المعنـوي والمـدد السـرمداني فمن عنـد البـاب لهـم يخـرج وعـن يـده يحصـل ويُنتـج وفـي ذلـك قولـه تعـالى تنبيهـاً لنـا

وتثبيتاً لفضل الأم قوله: وحرّمنا عليه المراضع.

وقد روي عن المفضل بن مر عن المولى الصادق منه السلام أنه قال: يا مفضّل إن العلي الأحد إذا كان ظاهراً لخلقه بدا بثلاثة حجب منها يحجب ذاته بنوره ويحجب نوره بضيائه ويحجب ضياءه بظله وهي أنوار لا أجسام ولا أبشار فهذه الثلاثة حجب هي حقيقة واحدة وهي حقيقة الثالوث والصورة المرئية هي ذات النور والضياء والظل وفي نفس الحقيقة أن الباري تعالى يجل ويعظم عن التعدد في ذاته بل النور والضياء والظل هم الاسم والباب واليتيم، والحكمة في ذلك أنه تعالى يبدي الشيء ويتجلى له كصفته فعندها يقع اسم ذلك المظهر المتجلي عليه كما أن جميع المظاهر العلوية والأنوار السماوية تجلى لهم بالصورة النورانية فعندها وقع عليه اسم النور وعند تجليه في البشرية الناسوتية وقع عليه اسم الناسوت وهو يعظم عن جميع ما نظروه به الأنام ويعزّ عن أن تحصّله الأوهام ولكنه جعل هذه الأسماء والصفات أمكنة للمعارف وأدلة للمتعارف كما روي عن مولانا الصادق منه السلام أنه قال: أتدرون لأي معنى قيل في الاسم أنه اسم؟ قيل له لا يا مولانا. فقال: إن الاسم سمةٌ لكم تعرفون به وتعلمون أنه أبدع لكونكم وأفصل لعلّتكم ومعنى سمةٌ

لكم أي علامة لكم وإن القديم الأزل ومعلّ العلل لا يقع عليه اسمٌ ولا نعتٌ ولا صفةٌ ولا يقال فيه لا قيل ولا بعد وإنه وإن كانت الصفات لا تؤذيه والإشارات لا تعيبه فهو ظاهر موجود وباطن غير مفقود فمن حيث ظهروه ووجوده للعيان جعل الأسماء والصفات وأقامها أماكن لمعارف العارفين ودلائل للمسترشدين وهدىً ورحمةً للمؤمنين وعبارة للمعتبرين وعذاباً على الجاحدين وحجةً على الشاكّين المنكرين وهو تعالى في نفس الحقيقة مرتفع عنها في ظهوره وبطونه بل إنه يتعرف إلى خلقه كيف يشاء ويحدث في الأبصار ما يجده به الناظر،وفي العقول ما يتحققه به العاقل فحينئذٍ يُعلم أنه الباطن الخفيّ هو الذي ظهر للعالم في سماواته وأرضه ليمكنهم من رؤيته كلٌ بحسب طاقته وقوة لطافته وقدر معرفته وصفاء جوريته وإشراق بصيرته ورقة روحانيته وعلى قدر التفاوت في المنازل والرتب في المعرفة تحصل الرؤية ، وقال الله تعالى شأنه في وصف الجاحدين: ونقلِّب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرةٍ... وقيل إنه لو كشف الحجاب عن الخلق كانوا يرونه كالقمر ولا يضامون في رؤيته. هذه رواية أهل الظاهر وجميع أهل التوحيد المقرين يعتقدون أنه ظاهر يرونه ويثبتونه وينفون عنه ما رأوا من

التصوير بعد إثبات وجوده لا كما اعتقد هذا الحائر المظلم القلب المقر بالشيء الزائل المنكر الوجود الثابت الدائم بدوام الملك والأبد، المتجلي لأبصار أهل البصائر ليأخذ كل منهم بالنظر بمقدار ما قُسم له من الحظ في المعرفة والتحقيق وتكون الإشارة في العبادة إلى الظاهر الموجود لا إلى الغائب المفقود لأننا لو فرضنا أن الإرادة في حقيقة نفس العبادة في وقتنا هذا إلى النور المتجلي للبشر بصورة أنزع بطين فقط ومنعنا أن يكون له وجودٌ مع العوالم العلوية بالصورة النورانية كانت إشارتنا والعياذ بالله إلى الغيب الذي لا يرى ولا يوجد. كونها تلك الصورة الأنزعية التي ظهرت للأبشار ما كانت في أيامنا ولا شاهدناها بأبصارنا بل اعتقدنا إثباتها ووجودها نقلاً عن السادة السلف فأقررنا بذلك إقراراً صحيحاً واعتقدناه اعتقاداً صريحاً لعلمنا بصدقهم مما أوردوه لنا من كشف الأدلّة وأوعزوه إلينا من شرائط الملة واستشهدوا على ذلك من آي الكتاب المبين وأحاديث النبيين استدلالاً على وجودها عند إظهار البراهين والقدر والمعاجز التي تُعجز المخلوقين قاطبةً أن يأتور بمثلها ولو شرحنا البعض منها لطال الكتاب ثم نعود إلى ما تقدم من قول هذا المندرج على الأباطيل والمنطوي على التشبيه والتعطيل والتلبيس والتخييل

وهو قولـه:

/فكيف يجوز للجاهل الخسيف العقل والرأي أن يقول إنني أشاهد رب الأرباب وأعاينـه فـي الصـورة البشـرية بعلـي بـن أبـي طالـب وأنظره وأراه فـي صـورته النورانيـة ويجعلـه سـماءً وشمسـاً وليـلاً ونـهـاراً، أو هـو قـوس قـزح أو برقـاً أو رعـداً أو فلكـاً أو ريحـاً أو غيماً ويجعلونـهم آلـهةً من دون الله وهو جلّ أن تدركـه الأبصـار، أو تحيط بـه الأفكار.../.

فـأقول أنـه قـد بغـي علينـا هـذا البـاغي بنسـبته إيانـا إلـى هـذا الاعتقاد الذي ما جرى قط في بدلانا ولا سُمع عن آبائنا وأجدادنـا وليس هو رأينا ولا اعتقادنا ولكنـه من نواحيـه صدر وعن أقاربـه وعشيرته برز واشتـهر وليس الأمر كما قرر وذكر وتشرق وهدر بل إنما فريق من أهل المناصف والديار الشرقية الذين مدحهم فـي بعض أقاويلـه كـانوا يعتقـدون بالصـورة المرئيـة البشـرية ثـم أحالوا بإشاراتهم وعباداتهم إلى هذه السماء ويجعلونـها هـي ذات البـاري تعـالى ويقولـون إن نـور الـذات الـذي اختـرع منـه السـيد الميم هو الشفق والاحمرار الذي يظهر فـي ناحيـة السماء قبل بزوغ الشمس وعقب أفولـها ويزعمون أن البرق هو تبسّم البـاري تعـالى والرعد هـو صـوته وعنـدهم أيضـاً أن الشـمس هـي الاسم

والقمر عندهم بمقام الباب فلقد قالوا بالمعنى والباب معكوس كونهم غمضوا عن قوله تعالى: والسماء بنبيناها بأيدٍ وإنا لموسعُون. وآيٌ في القرآن كثيرٌ تدل على أن السماء مكوّنة مبنيةٌ. وقول السيد الخصيب صاحب الرأي المصيب:

إلا نصيرنا سليل سلسلٍ يشهد بأن السين باب لم يغب

وهؤلاء الفرقة جعلوا العين في مقام السين والسين بمقام العين في النورانية فأعوذ بالله من هذا الاعتقاد ، ولو ذهبنا إلى ذكرهم وما احتجوا به من القول المحال الداعي إلى العمى والضلال لطال به المقال وأما نحن فمعاذ الله أن نجعله سماءً أو ريحاً أو رعداً أو برقاً أو شمساً أو فلكاً أو قوس قزح بل نقرّ ونعتقد أنه القاف في النورانية والعين في البشرية، وقول هذا الحائر علينا فكيف يجوز للجاهل الخسيف العقل أن يقول إني أشاهد رب الأرباب وأعاينه في الصورة البشرية بعلي بن أبي طالب وأنظره وأراه في الصورة النورانية...

فقد زعم أنه لا يُرى ولا يُوجد في النورانية بل في البشرية فقط وما علِم أن كون النور أجل من كون البشر ووجوده بالنور أبقى وأثبت من وجوده في البشرية لأن عالم الأجسام هو عالم الفناء والإنتلام فلا يستقيم على حالةٍ واحدةٍ وعالم الملكوت هو عالم

البقاء والدوام واستقامة الوجود معهم لاستقامتهم على البقاء وارتفاعهم عن الفناء، وجاحد النور فهو من أهل البثور بدليل قوله تعالى: أم أمِنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور...

ثم قال هذا الهائم المتحير الذي لا صواب له بما أقرّ ولا بما أنكر:

/فانظر يا أخي إلى مثل قريب: فإذا مات رجلٌ منهم وخرجت روحه وحوله قومٌ فهل يقدر أحدٌ منهم أن يراها ويعلم إلى أين تمضي، فإذا كان هذا الضعف كله واقعاً بهم فكيف يرون رب الأرواح ومالكها وخالق السموات والأرض، ثم قال: ومثلاً آخر فإذا قبض الله روح واحدٍ منهم فهل يستطيع إنسان أن يشاهد ملك الموت الذي هو من بعض عبيد الله ، واستشهد على ذلك من قول الله تعالى: فلولا إذا بلغتِ الحلقوم، وأنتم حينئذٍ تنظرون، ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون... ثم قال: فإذا كان قابض الأرواح بينهم وهم لا يرونه ولا لعزرائيل الذي هو من جملة خلقه ولا لأحدٍ من ملائكته فكيف تكون لهم طاقة بالنظر إلى مالك الملك.../.

والفقير يقول: فانظروا يا ذوي الأذهان والفكر إلى هذا الشيطان

المكفهر المتربص ما بين الظل والحر، إلى هذه الأمثال الذي خبَّر بها في عدم وجود ذي الإكرام والجلال بعد إقراره بالصورة المرئية البشرية التي صرّحت على المنابر بالإعلان والكشف والبيان وقالت: أنا، أنا، بأنها ذات معنى ثم يقول:

/فكيف يرون رب الأراوح ومالكها؟ /

ثم يقول:

/فكيف يكون لهم طاقة بالنظر إلى مالك الملك؟/

فمنع رؤيته بعد الإثبات وعطّل أقوال الموالي والسادات فقد ارتد عن الدين ومرق عن قول الأئمة الراشدين وأقر وأنكر وآمن وكفر، وقوله عن الأرواح أنها لا تُرى عند خروجها، فحقٌ أقول إنها لا تُرى وذلك لطف من الله تعالى بعباده لأنها لو ظهرت روح المخلوق المنقول بين أهله وأقاربه لازدادوا أسفاً وتميزوا غيظاً لخروجها من بين أيديهم وهم لا يستطيعون ردها، فأخفى الله ذلك عنهم إشفاقاً وهو لم يطالبهم بعدم رؤيتها إذ ليست رؤيتها من الفرائض المحتومة والسنن المرسومة بل الفريضة على العبد أن يعرف باريه وصانعه ومبديه بأنه ظاهر موجودٌ ويعبده على مقتضى ما أمره لا على ما يراه من رأيه ويكون في عبادته خالياً من رأيه وعوائده التي تناقص الخدمة وكذلك عدم

رؤية ملك الموت فهو من الألطاف الربانية لأنه لو تجلّى ملك الموت للحاضرين حول المنقول لامتلأوا رعباً منه وغيظاً على المنقول، والشاهد بذلك ما روي في خبر المعراج عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه لما رأى عزرائيل قال: قلت له يا أخي يا عزرائيل أرني الصورة التي خلقك الله فيها لقبض الأرواح ، قال: يا محمد ما تستطيع النظر إليها وإذا بالنداء من قبل العليّ يقول: يا عزرائيل لا تخالف حبيبي محمداً، قال فعندها تجلى ملك الموت بصورته، قال النبي عليه السلام: فلما نظرتُ إليه رأيت الدنيا كلها بين يديه شبيه كتابة الدرهم بين يدي الحاكم يقلبها كيف يشاء فلما رأيته بتلك الصورة ارتعد قلبي وطاش لبي، وأما النبي عليه السلام فمعاذ الله أن تشتبه عليه صورة عزرائيل أو تهوله صورة لأن الملك بأسره في قبضته وهو المكوِّن ما في الكون بأمر مولاه وإرادة معناه ولكن هذا القول واقعٌ بنا وعائدٌ علينا والجزع والهلع جميعه فينا وهي أحكامٌ خفية تجري على العبيد بإرادة المريد وأنه تعالى لا يطالب مخلوقاته بعدم رؤية ذلك حيث علمه سابق فيهم أن ليس لهم استطاعة ذلك. وقول هذا الهائم أيضاً:

/ ولا أحد يعلم إلى أين تمضي الروح عند النقلة.../.

فنقول إن هذا من المتعالَم المعروف عندنا مما هو مشهور في رسالة شيخنا وقدوتنا وطريقنا إلى الله تعالى السيد أبي عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي نزّه الله شخصه وقد أفصح عن مشكلة الشاب الثقة في كتاب البحث والدلالة في مشكل الرسالة في الفصل الرابع ونحن نشرح هذا الفصل بتمامه وهو قوله:

قال الشيخ أبو عبد الله نضّر الله وجهه في فصلٍ من رسالته أن المنقول إذا استوفى أجله تُنقَل نفسه إلى جنينٍ في بطن أمه فتسلك تلك النفس فيه فيتحرك تحريكاً ضعيفاً مثل اختلاج جفن العين وذلك لضعف نفسه من صعوبة النقلة في وقته فإذا كان عارفاً تتزايد معرفته وإيمانه، ونفسه تنقل إلى ذلك في قوةٍ وفسحةٍ وأنسٍ فإذا سلكت فيه الروح تحرك تحريكاً شديداً وفسح له فيذكر إجابته في النداء يوم الأظلة وينظر إلى أعماله في كل هيكل سلكه ونُقل إليه حتى لا ينسى منه شيئاً ثم يغذّى بأطيب طعام تأكله حاملته ويشرب من ألذّ ما تشرب ويأنس فلا يرى ظلمة في حجابات حمله ويُسرّ بما يرى من زيادته في معرفة باريه وتزايده من يوم الأظلة إلى ذلك اليوم فيستبشر ويثق من مولاه أنه يصفّيه ويجعله من خالص أهل معرفته فهو مغتبط في أمنٍ وسرورٍ إلى تمام السبعة أشهر من النطفة وإن أُجِّل ففي

تمام التسعة أشهر كمالاً ثم يولد في دعةٍ ولين وسلامة وسهولة مرفوقٌ به أمناً من الخوف حتى إذا خرج وعاين الدنيا بكى على ما كان فيه من الأنس في حجاباته وإذا استهلّ وصُنع به صنيع الولادة ذكر ما كان يذكره في بطن أمه من أعماله من يوم الأظلة إلى ذلك اليوم ولا ينسى منه شيئاً إلى تمام أربعةٍ وعشرين شهراً عدة أشهر الرضاع فإذا انفصح نطقه وقوي عقله تناقص علمه بالأشياء حتى لا يفصح بشيءٍ من ذلك.

فأفصح عن معنى ذلك الشاب الثقة وهو قوله: فأوجب الشيخ نضر الله وجهه أن نفس المؤمن تحلّ في السبع تركيبات من السلالة والنطفة والعلقة والمضغة والعظام إلى أن ينشأ خلقاً آخر، فتبارك الله أحسن الخالقين، وأنه يحلّ في كل نوع من هذا بعد إثبات الإيمان له والمعرفة وأنه أجاب في يوم الأظلة وأنه يحل في الرحم في ظلمة الأحشاء ويعاني المخاض والطلق والولادة....

ثم قال في فقه الرسالة: إن المؤمن يُنقل إلى مولود يولد لوقته فلا يلحقه شيءٌ مما كان يجري عليه في السبعة التي تقدم ذكرها ولا يعاني من أمر الوغث والمخاض والطلق شيئاً. فدلّ نضر الله وجهه أن روح المؤمن لا تسلك في الأرحام ولا تلج في ظلمة

الأحشاء بعد ذلك التنقل.

الجواب وبالله التوفيق أنه قد أورد الشيخ نضر الله وجهه علم هذا الفصل في الرسالة لمن يتبصرها ويفهم تدبرها وكثير ممن يقرأه لا يعلم فحواه ونحن بِعون الله نوضحه لقارئه حتى يراه ولا يشتبه عليه معناه، اعلم أن الشيخ قدس الله روحه شرح حال المنقول في السبع تركيبات وحلوله فيها، ثم شهد بأنه مؤمن عارف وأنه أجاب في يوم الأظلة ولم يكن من جملة المنكرين ولا يمكن أن يُطلق عليه الكفر لأنه قد آمن وأجاب وكان من جملة المؤمنين غير أنه توقف بالإجابة يوم الأظلة وقت الدعوة فجوزي على توقفه عن الإجابة يوم الأظلة بالهبوط إلى هذه الأجسام والسلوك في الأرحام ومعانة التركيبات المذكورة وهي قمص النسيان والحرمان وحجب فيها عن المعرفة فهو متردد في درَج التقصير والتفويض والشك في التوحيد بإزاء ما كان من توقفه في البدا أو تخلفه عن الدعوة والندا سواء بسواء ومثل بمثل لا يزيد ولا ينقص غير أنه لا يحل في شيءٍ من المسوخية ولو أقام على ذلك ألف ألف كور لأن المعرفة والإقرار ثابتان له في القدم وإنما هو مؤمن موقّتٌ لوقته الذي يستوجب فيه الإقرار وهو قوله تعالى: إذا جاء أجلهم لا يستقدمون ساعةً ولا

يستأخرون. أعني عن الإقرار والقبول فإذا خرج من محنته ومجازاته على توقفه ورجع إلى إقراره ومعرفته فأخلص لله التوحيد بالإخلاص بلا شك ولاظن ولا ارتياب فعند ذلك لا تُنقل في جميع قمصانه إلا إلى مولود لوقته فعند خروج ذلك المولود وظهوره من الرحم تنقل إليه روح ذلك العارف الذي يُنقَل من بعد تمام الشبعة أشهر والتسعة ولا يعاني شيئاً مما عاناه أولاً، وشاهِده قول الله تعالى: وعصى آدم ربه فغوى، ثم اجتباه ربه فتاب عليه... فكان العصيان الوقوف عند الدعوة، والاجتباء الإقالة من حلول السبع تركيبات والتوبة هي الهداية ورجوعه إلى التوحيد والمعرفة فهي توصله إلى الصفا والنورانية ومحله الأول، والشاهد بذلك قول الله تعالى: وإن منكم إلا وأردها كان على ربك حتماً مقضياً. وهي التركيبات السبع والسلوك في الأرحام، / ثم ننجِّي الذين اتقوا / يعني بإقرارهم / ونذر الظالمين فيها جثياً.../ هذا في بعض البواطن وشاهده من الأخبار ما رواه الشيخ الثقة أبو الحسين محمد بن علي الجلي قدس الله روحه أنه سئل عن روح المؤمن إذا نُقل: إلى أين تصير؟ فأجاب: إن روح المؤمن إذا خرجت تتلقاها الملائكة فتوردها إلى عينٍ يقال لها عين الحياة فتكون فيها إلى وقت ظهوره ويكون

الهيكل في الرحم فيه روح كافرة معذبة بالعذرة وظلمة الأحشاء فلا تزال إلى حين خروجها ثم تأتي الملائكة إلى الروح التي في عين الحياة ومعها من صفا فيقولون لها: سيري أيتها الروح الظاهرة حتى تلحقي بهذا الهيكل. فتقول ما أبرح من هذا الموضع الذي قد تفضَّل الله عليّ به، فتقول لها الملائكة: لكل أجلٍ وقت لا بد من وفائه ولعل بعد هذا الهيكل تلحقين بعالم الصفا فتسير معهم، والمرأة تأخذ بالطلق لإبطاء الروح عنها فيخرج الجنين وتخرج الروح الكافرة منه وتدخل الروح المؤمنة فيه هذا ما شرحه الشاب الثقة وفسّره من كلام الشيخ نضر الله وجهه في الروح ومصيرها. وقد قال الشيخ نضر الله وجهه في رسالته أيضاً: وإن الكافر إذا استوفى أجله نقلت نفسه إلى جنينٍ في بطن أمه نقلاً معنوفاً به مجهوداً معذباً ويسلك في ضيقٍ وتعسٍ ونُكسٍ وظلمةٍ حتى كأنه يسلك في سمّ الخياط فيطول حزنه ويرى في نقله كل ما اكتسبه من جحودٍ وإنكارٍ وكفرٍ من يوم الأظلة إلى ذلك الوقت فيطول حزنه وبكاؤه على نفسه ويود أن قد سوِّيت به الأرض وصار تراباً ويكن غذاؤه من أنتن ما يكون في بطن أمه ومشربه من مبالها ويطرق بالأهوال والأمراض والآلام إلى تمام السبعة أشهر أو التسعة فإذا استهل

ورأى الدنيا بكى وصرخ خوفاً على نفسه من أن يكون قد خرج من صعوبة إلى ما هو اشد منها وقد نال من الصعوبة في الولادة والطلق والخوض في العذرة ما يود لو أنه صار نسياً منسياً ويرى ما عمل فهو يبكي عليه أسفاً إلى تمام أربعة وعشرين شهراً: أشهر الرضاع ثم ينسى ما اكتسب من أفعاله وينتهي مكرهاً لا مختاراً ويعود إلى تزايده ف يكفره حتى يُظلَم فإذا أُظلم استحق عند كمال كفره التعذيب الذي ذكره الله تعالى بقوله: ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون... والعذاب الأدنى ما هو فيه من نسخه ونقله في ذوات الذبح من الأنعام والثمانية الأزواج في الهياكل من الدواب والبغال والحمير ثم الوحوش ثم الطير ثم الهوام ثم الدبيب ثم في حرق الفضة ثم في إبريز الذهب يسبك في البوادق ثم في الحديد ثم في النحاس ثم في الرصاص كل ذلك ينقل فيه من الفيل والجمل إلى ما هو أدق حتى يدخل في سمِّ الخياط وهو الذي ذكره الله تعالى في قوله:

ولا يدخلون الجنة /وهي المعرفة/ حتى يلج الجمل في سم الخياط، ثم العذاب الأكبر يكون في الرجعة البيضاء والكرَّة الزهراء وكشف الغطاء، هذا ما رويناه عن ساداتنا وهو منقول

من رسالة فقيه طريقتنا واعتقدناه عنهم لا كما يزعم هذا التيس الضارب الذي لا يفهم مطعم قوته من روثه و لا إحراكه من ثبوته ولا يلعم روحه عند خروجها من جسده إلى أين تمضي، إلى فيلٍ أو إلى جملٍ أو إلى كلب أو إلى قردٍ أو إلى ما هو أخسّ وأنجس وأتعس وأركس لجحوده وجود الصانع واتخاذه أبخس البضائع. ثم استشهد على عدم وجود الصانع بشاهد يفكك عراه وهو قول أبي الهيثم السري ولد سيدنا الخصيبي حيث قال:

فلو ظهر المعبودُ في كلِّ ذاتهِ تبادرتِ الأجسامُ محترقاتِ

ولكنّ نفس العدل فينا ظهوره إلى خلقه من جنسهم بثبات

وذلك مثلُ البحرِ تنظر شطّه وليست عجائبه بمُلتحِظاتِ

فأقول إن هذا شاهدٌ يدل على أن المعنى ظاهر بذاته لا بشيءٍ من صفاته ولكنه من عدله في بريته وإنصافه في رعيته تلطف لهم فرأوه من حيث هم لا من حيث هـ ومعنى قوله:

"فلو ظهر المعبود في كلِّ ذاته تبادرتِ الأجسام محترقاتِ"

ليس بمعنى أن الباري تعالى أظهر بعض الذات وأخفى بعضاً، ولكن المعنى في ذلك أن الباري ظاهر بكلية الذات ولكن المخلوقين يعجزون عن نظر الإدراك...

وذلك مثل البحر تنظرُ شطه وليست عجائبه بملتحظات

فالبحر ظاهر كله ليس بعضه ولكن عجائبه لا تدرك بالنظر وهكذا وجود الباري تعالى فهو ظاهر بكلية الذات كما قيل في الدستور: إن الصورة المرئية هي الغاية الكلية ليست كلية الباري بالجنس والمنظر، وليس الباري سواها بالحقيقة والجوهر، ولنا بحمد الله تعالى من الحجج والاستشهاد بذلك ما نخصم به كل معاند ونقصم ظهر المشرك الجاحد غنينا عن إيراده لاشتهاره بين كافة أهل التوحيد.

ثم قال هذا الهائم: / وفي الأرض مثلاً آخر فالإنسان ماشياً عليها وهي تحت أقدامه فهل يعلم كم فيها بحراً أو نهراً أو نبعاً أو جبلاً أو مدينة، غير هذا مثلاً قريباً فصورة الإنسان الذي هو بها وحاملها أطول دهره فإذا تفقّه بها وكان بها أفقه أهل زمانه فهل يدرك كم بها عضواً أو عرقاً أو ما حوت دماً وكم هي وزناً ومن أين أصلها، وإلى أين مستقرها وهل يعلم ما يضرّها وينفعها أو يتحقق عنده أنه مؤمن أو كافر أو يعلم ما يصير عليه أو في شهره أو عامه من خير أو شر، وأيما يكون موته وما سبب ذلك فإذا كان العبد عاجزاً عن هذا كله فكيف يجوز له أن يقول: إني أرى رب الأرباب وجبّار الجبابرة؟

فأقول: ما هذه الأمثال التي ضربها على عدم الحق تعالى بزعمه أن الباري لا يرى غير إن كان تُحصى بحار الدنيا وأنهارها ونبوعها وجبالها ومدنها، ونحن نرى جملة أناس من أهل الظاهر صنّفوا بذلك خرائد وعجائب ودوائر مستديرة وخطّوا فيها صور البحار والنهار والينابيع والجبال والبراري المقفرة والمدن العامرة وعدد سكانها براً وبحراً، وهم مع ذلك منكرون وعن الحق مبعدون وكذلك المنجّمون صنفوا رسائل وأزياج وجداول يُعلِمون منها طول الأقاليم وعرضها كم هي مقدار ساعة أو درجة أو دقيقة أو ثانية، وعلموا من دقائق الأفلاك أن الأرض كرة مستديرة يحيط بها بحرٌ يمنع السالك وذلك لضبط حركات الكواكب السيارة في سيرها وهبوطها وصعودها واستيلائها على الأقاليم كونه كل إقليم له كوكب يظهر فيه طبيعته وأحكامه.

وعند أهل الباطن إن هذه الكواكب مقلّدون بتدبير حركات الملك بأسره سماءً وأرضاً، ومع ذلك فإن المنّجمين لا يقدرون على ضبط كوكب من هذه الكواكب إلا بمسير القمر فإذا حققوا ذلك وأخذوا سير الكواكب السبعة وعلموا مراكزهم في ساعة السؤال تبين لهم سعة الفلك وفهموا السعود والنحوس وما يحدث في الأقاليم من عامٍ إلى عامٍ، وأما صورة الإنسان الذي هو حاملها

فـإني أقـول وبـالله المسـتعان: إن صـورة الإنسـان مـن إحـدى العجائب وهي مجمع الأكوان الستة والطبائع الأربع وترميبها من حكمة الصانع الحكيم وقد ذكر محمد بن شعبة الحراني في كتابه الموسوم بالأصيغر بأن تركيب الإنسان من جواهر الأركان جمع على صغره ما في العالم الأعظم وعلى كبره خلطاً من جميع الأخلاط الأربعة وجعل أجزاء بدنه مناسبة لما في العالم الأعلى بحكمته وقدرته ليدل على لطيف الصنع وخفيّ الكون فتبارك الله أحسـن الخـالقين وجعـل فـي الإنسـان ثلاثـة أرواح: طبيعيـة وحيوانيـة ونفسـانية، شـارك بالطبيعيـة النبـات وسـائر الكائنـات وشـارك بالحيوانيـة أنـواع الحيـوان وارك بالنفسـانية عـالم العقـل وعـالم الإنسـان ولـه نفسٌ رابعـة انفـرد بهـا نـوع الإنسـان وهـي الناطقـة العاقلـة المنـيرة المفكـرة المـدبرة المسـتمدة مـن النفـس القدسـية الإلهيـة مـا ارتسـم فـي ذاتهـا مـن صـور المعقـولات المرتسمة عن العقل الفعال المستمد من جانب العناية الأزلية فهو يفيض على النفوس من قوته التي استفادها من واهب العقل والجود ومفيض الخير على كل الوجود فتتلقاها النفوس الفاضلة الخيّرة المستمدة منه على حسب استعدادها وقبولها فيرتسم في ذواتها ما ارتسم في العقل الفعال من صور الحقائق

الإلهية فينطق بالكائنات ويخبّر بعجائب الأرضين والسموات ويشاهد العالم الأعلى مشاهدة عيان لا يقطعها الزمان ولا يفرّقها المكان متصلة بالعالم الإلهي أشد اتصال لا تشغلها الشواغل ولا تعيقها العوائق فتلك النفس متحدةٌ بمبداها مستمدةٌ من مولاها وقد نظر إليها بعين رعايته ومن عليها بهدايته وألهمها محبته فكانت من الذين قال الله تعالى ف يحقهم: فرحين بما أتاهم الله من فضله. وإن مالت مع الهوى وغلبت عليها شهوات الدنيا واحتوى عليها الشيطان ونسيت ذكر الرحمن ألبسها ثوب الذل والهوان فحصل فيها الجحود واغلإنكار والمعاندة والاستكبار وكذبت حقائق الأخبار وأطفأت بوبالها الأنوار فحينئذٍ لا تنفعها الأعذار والإنذار فإذاً مصيرها إلى النار وبئس القرار، واعلم أن النفس الناطقة التي في الإنسان لهو قوىً ثمانيةٌ فمنها ظاهرة ومنها باطنة فالظاهرة من الإنسان والباطنة ثلاثة وهي التخييل والفكر والذكر ومجموع هذا يقال له الروح النفساني وإن من شأن القوى الباطنة إذا انجذبت إلى النفس فعلت العدالة والعفة والديانة والنباهة والخيرات، وإذا انجذبت إلى جهة القوى الظاهرة مالت بصاحبها إلى أمور الدنيا ومتى غلبت على النفس الناطقة مالت بصاحبها إلى الرزائل ومناسبة البهائم واكتسبت من

الحيوانات أخلاقاً مفسدة نجسةً مبعدة لها عن روح قدسه ومحل أنسه فهي كمن قال الله تعالى فيهم:

لا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون ، لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون.

ومثله ما رواه حسن بن حمزة الصوفي البلانسي في كتاب التنبيه في القاعدة الثالثة في بيان معرفة الإنسان نفسه ووجوبها عليه إذ بمعرفتها يعرف ربه وفيها تنبيهات فكان التنبيه الأول في بيان معرفة أول ما يلزم الإنسان فقال:

اعلموا إخواني أطلعكم الله على حقائق ذواتكم وأوقفكم على دقائق أسمائكم وصفاتكم أن السادة المؤمنين المتقادمين سلام الله عليهم أجمعين اختلفوا في معرفة أول ما يلزم الإنسان معرفة ربه وليس بين هذين القولين منافاة فإنهم عنوا بالأول من حيث الترتيب الصناعي والثاني من حيث الشرف والفضل لأن معرفة الله جل جلاله أعظم الأشياء وأجل العلوم وألطفها ولما كانت نفس الإنسان أقرب الأشياء إليه وأدلّ دليلٍ يستدل به على معرفة ربه تعالى فيفوز لديه.

كانت أو ما يجب الاجتهاد بمعرفتها لأنها معراجه إلى ما فوقها

وهي أول باب عالم الملكوت وقد قيل أنه ما ،زل الله كتاباً إلا وفيه / يا أيها الإنسان اعرف نفسك تعرف ربك / وقد قال السيد الرسول عليه السلام رمزاً إلى تعليم سلوك الطريق / ابدأ بنفسك ثم بمن تقول / .

وقال عليه السلام: / أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه / وقال عليه السلام: / أنا أعرفَكم بالله وأشدّكم منه خشيةً/ فذكر معرفته لربه بلفظة المبالغة، إذ تقول العرب: /فلانٌ عارفٌ بالشيء وفلانٌ أعرف منه/ فدلنا بقوله: / أنا أعرفَكم بالله/ على أن غيره عارفٌ به تعالى ولم يمنع منها أحداً لمنه نبّهنا على أنه في أعلى درجات المعرفة لإمكان التفاوت في درجات المعرفة. وقد وُجد على باب مدينة حران بالقلم السريالي / من عرف نفسه تألَّه/ وأما معنى قوله/ / أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه/ فله وجوهٌ كثيرة ذكرها الشيخ أبو القاسم الراغب في كتاب النشأتين: /وقع الاختيار منها والاقتصار على ثلاثة وجوه: أولها أن الإنسان أبدعه الباري تعالى عالماً صغيراً من حيث الحجم والمقدار لا من حيث الكمال والأقدار، جمع فيه ما في العالم الكبير علوية ومثالية وسفلية وعقلية وحسية فهو كالنسخة المختصة أو كالزبد من المخيض أو كالدهن من السمسم وهو مظهر سر

الوجود وزبد امتخاض الكون وعلى وجوده معوّل سر التضمين بما فيه من سر التضمين كما قلت في ذلك شعراً:

وفي نشأة الإنسان من كل عالمٍ من الأفق الأعلى إلى منتهى الأرضِ

فمِن سرِّ فيضِ قوةُ عقلهِ ومن فيض ذات النفس ذاتٌ له تُرضي

وقوةُ روح الحسِّ روحاً لجسمه ليبلغَ في الجمع بعضاً على بعضِ

وتركيب جسمٍ بالطبائع ألَّفت يقومُ بها عمقاً من الطول والعرضِ

تناهى به التركيب أشرفَ مظهرٍ ليقضي بهِ حكمُ المظاهرِ ما يقضي

فمَن رامَ يستقصي العوالم كلّها ليشهدَ ما فيها من الرّفع والخفضِ

يشاهد آيات النهى قد تجمعتْ تكاد تردُّ الطَّرف خاسٍ من الغِمضِ

فمن أحبّ معرفة ما في العالم الكبير من القدرة الإلهية والحكمة الربانية يفكّر في ما أبدعه الله تعالى في نفسه وهيكله من القوة

التي اودعها باريه تعالى فيه فإنها حجةٌ له وعليه ودليلٌ واضحٌ فيه من باريه تعالى هادٍ له به عليه فمن علم ذلك وتحققه قاده ذلك إلى معرفة الحق سبحانه وهداه إلى المقالة بالصدق وعرف ربه بمعرفة نفسه واستدلّ بنور عقله على نفي حكم ما في حسِّه وتحقق أن ذلك سر الله تعالى في الإنسان وبه يكون الإنسان إنساناً كما قال الله تعالى: ولقد كرَّمنا بني آدم، فإكرامه بالعقل لا بسواه لأن العقل هو الهادي إلى معرفة الله إذ به النجاة من النار لأن الإنسان أبدعه الله سبحانه مستصلحاً للدارين وأنه تعالى أبدع الملائكة من عالم النور عقلاً بلا شهوة وخلق الحيوان من عالم الظلمة شهوة بلا عقل فلم يكن عالم الملائكة يصلحون للحرث والنسل الذين بهما عمارة الأرض ولم يكن عالم الحيوان يصلحون لمعرفة الله فأبدع الله عالم الإنسان بينهما ففيه النور والظلمة وهو مجموع العالمين فهو يشابه الملائكة باستضائه بنور معرفة الله تعالى وقبول إشراقها عليه ويشابه الحيوان بما يصلح به الحرث والنسل وقد نبَّه الله تعالى على ذلك بقوله: الله وليّ الذين آمنوا يُخرجهم من الظلمات إلى النور... فمن عرف نفسه بما فيها من مجموع العالَمين فقد عرف قدرة الله تعالى في إبداعه الكونين وأنه هو رب المشرقين والمغربين

أي من عرف نفسه بهذا وأطاع عقله هداه ومن عصيَ عقله وبيع هواه أضلّه وأعماه وكان ممن ذمّهم الله تعالى بقوله: أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علمٍ وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشوة فمن يهديه من بعد الله... وإن الإنسان ملكٌ بالقوة وشيطان بالقوة لما فيه من النور والظلمة فمن استنار عقله بمعرفة ربه عند إشراق أنوار وجوده، واستعدّ لقبول ما يرِد عنه وعمل صالحاً شابه الملائكة بمعرفته ولحق بهم وصار ملكاً بالعقل والفعل، ومن غلبت عليه شهوته وأطاع هواه أرداه وشابه الحيوان بالعقل والفعل كما قال الله تعالى: أولئك كالأنعام بل هم أضلّ سبيلاً، ومع هذا فإن الإنسان هو الصراط ما بين الجنة والنار أي بين عالم النور وهو العقل وبين عالم الظلمة وهو الحس.

الوجه الثاني: أنه من عرف نفسه من حيث أنها روحانية لطيفة قُرنت بجسدٍ جسماني كثيف وهما متضادان واجتماعهما من العجب إذ يضرها ما ينفعه وينفعها ما يضرّه وهي لا داخلةٌ ولا خارجةٌ ولا متصلةٌ به ولا منفصلةٌ عنه لأنها جوهرٌ بسيطٌ غير متحيّز وهي حاملة للجسم ليس هو حاملها وهي مدبرة له ليس هو مبراً لها، كراكب الدابة إن أحسن سياستها سار بها على

الطريق الواضح آمناً من العثار، وإن هي ساسته تقحمت به المهالك وأوردته في المتالف فمن عرف نفسه بهذه المعرفة عرب ربّه الذي لا يخلو منه مكان. وأيضاً أنه يعرف ما يموت ويفنى وهو الجسد، وما يبقى ولا يموت وهي الروح وإن كل شيء يعود إلى ما منه بدا، فأما ما كان من التراب عاد إليه وأما ما كان من النور فإنه يعود إليه وأما ما كان من الظلمة فإنه يعود إليها لقوله تعالى: كما بدأكم تعودون فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة.... فبمعرفته لنفسه ومما بدت ومعرفته جسده ومما رُكِّب ومعرفة الجامع بينهما يهتدي لعبادة ربه الصانع الموجود.

الوجه الثالث: إنه من عرف نفسه بالعبودية عرف ربه بالربوبية، فإن النفس أعدل شاهدٍ على وحدانية الله تعالى لقربها منه وأصدق رائدٍ يخبّر عنه بعدها عن التهمة، فإذا برئت من حولها وقوتها وتحققت عجزها عن اختلاف منافعها واجتناب ما يضرها علمت أن لها صانعاً يدبرها وحكيماً يتصرف فيها بمشيئته لا ريب في وجوده ولا شك في وحدانيته فوصلت إلى معرفة ربها بالتحقيق ودانت له بحكم التصديق بدليل قوله تعالى: سنريهم آياتنا / أي الدلالة علينا / في الافاق /يعني في الوجود النوري

المشرق لكون الملائكة الكرام مما عدا كون الإنسان/ وفي أنفسهم / يعني في الوجود الظلي المشرق لكون الإنسان باللطف، وقوله تعالى: وفي الأرض آياتٌ للموقنين، وفي أنفسكم أفلا تبصرون وبالجملة فإن معرفة كيفية النفس على ما هي عليه لا تدخل تحت الإدراك النظري لأنها جوهرٌ بسيطٌ لطيفٌ فلا يمكن أن تُرى وتوجد إلا في جسمٍ والدليل على ذلك أننا نرى النار لا بد لها من جسمٍ تتعلق فيه وكذلك الروح لا بد لها من جسمٍ تتعلق فيه إما بسيط أو مركّب والنار فإذا لم تجد جسماً مركباً تتعلق في جسم الهواء وإنها لا تثبت إلا في جسم الاحتراق، ومما يطابق هذا القول ما قاله محي الدين العربي في بعض أقواله ومصنفاته: إن الإنسان عالَمٌ صغيرٌ مسلوخٌ من العالَم الكبير فكل ما ظهر في الكون الأكبر فهو في هذا العين الأصغر، ومما رواه الشاب الثقة أبو سعيد ميمون في كتاب المعارف عن شيخه أبي الحسين محمد بن علي الجلي يرفعه إلى الحسين أبو سعيد عبد الله الكثيفي، قال: كمعرفة النفس وما معنى قول العالِم منه السلام: أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه وأجهلكم بنفسه أجهلكم بربه، فقال منه السلام: من عرف أشخاص تراكيبه ومحمود أرواحه من مذمومها فقد عرف ربه لأن

الإنسان مركّبٌ على الأعضاء والمفاصل وليس منه عضوٌ ولا مفصلٌ إلا وهو يظهر له عن شخص مفترض عليه معرفته فمتى نقص الإنسان عضواً واحداً من هذه الأعضاء كان ذلك من علّةٍ دخلت عليه من ذلك الشخص كفراً أم جحوداً وإما نقص معرفة أعاذنا الله من ذلك فيجب عليك وعلى إخوانك معرفة ذلك. فقلت: يا مولاي مُنَّ عليّ بمعرفة ذلك .

فقال علينا سلامه: إن ابن آدم خُلِق على أربع طبائع / يبوسة ورطوبة وحرارة وبرودة/ ورُكِّب تركيبه على صورة الفلك، فأما اليبوسة فمقام أبي ذرٍّ وأما الرطوبة فمقام السين وأما الحرارة فمقام المقداد وأما البرودة فمقام عمار، وهي طبائع النور والنقطة التي صوِّر منها الإنسان هي روح الحياة وهي في التشخيص أم سلمة، والوجه سلمان، وفي وجهٍ آخر الميم وبه الوجه إلى المولى تعالى والعينان هما الحاءان والأذنان هما اليتيمان المقداد وأبو ذرّ، والرأس الميم والفم سفينة، وفي وجهٍ آخر إن الرأس الميم وأثقاب الوجه هم أشخاصه الخمسة والأضراس الأولاد المنسوبون إلى العين جلّ ذكره والجبهة فاطر والأنف فمقام الحسن واللسان فمقام المولى الصادق والحنكان زينب وأم كلثوم والحاجبان فضة والرَّباب والكتفان أسماء ومارية

واليـدان صعصـعة وزيـد ابنـا صـوجان والأصـابع الإنـاث مـن الأشخاص والعضدان عبد الله وعبد منـاف والفخذان فـروة ابنـة القاسم وريحانـة والساقان محمد بن أبـي بكر ومحمد بن أبـي حذيفة والرجلان فاختاه وجمانـة...

وفـي الإنسان أيضاً ثلاثمئـة وستون عرقاً فمنها متحرك ومنها سـاكن لهـا ثلاثمئــة وسـتون شخصـاً ناطقـاً وصـامتاً يفترقـان ويجتمعان بنطقٍ واحدٍ من نورٍ واحدٍ ومعدنٍ واحد.

وفي الإنسان أيضاً خمس أرواح السيد الأجلّ محمد عليـه السلام فـروح الإيمـان وروح العقـل وروح الحيـاة ويضـاف إليهـا روح الحركة وروح الشهوة وتلك الأربعة المنعوتة هي دون الميم فأما روح الإيمـان فهـي محمـد ، والتوحيـد منـه وإليـه وروح الحيـاة سلسـل وروح العقـل المقـداد وروح الشـهوة أبـو ذرّ وأمـا الـروح المنسوبة إلى الحركة فمقام عمـار، وخلق الله طبيعة الجسم من النور والنار والريح والمـاء والطين فصار الإنسان يأكل ويشرب بالنـار ويجـامع ويشـمّ بـالريح ويجـد لـذة الطعـام والشراب بالمـاء ويبصر بـالنور، فلـولا النـار الـتي فـي معدتـه مـا نضـج طعـامٌ ولا شرابٌ ولولا الريح ما التهبت نـار المعدة ولا خـرج من بطنـه الثّفل ولولا برد الماء لأحرقته النار ولولا النور لما أبصر ولا عقل ولـولا

الريح لمَا ذهب ولا تحرك فإذا فرّق بين الروح والجسد ردَّت الروح والنور والنار والماء إلى القدد الأول وعاد الجسم إلى الأرض لأنّ جسم الإنسان أصله ترابٌ وهو منسوبٌ إلى هذه الأرض ومنها يُخرج غذاءه وقوته فالأعضاء في الإنسان بمنزلة الصخر في الأرض، والشعر في بني آدم بمنزلة النبت في الأرض، والدم في بني آدم بمنزلة الماء في الأرض فلا حكم في وزنه وقيمته بل إنما تحصل فيه الزيادة والنقصان وذلك مع زيادة القمر ونقصانه إذ كل شيءٍ في الكون ينمو لنموه وينقص لنقصانه وشاهِد ذلك في البحر فإنه يصعد لصعوده ويهبط لهبوطه، ونرجع إلى ما كنا فيه من تركيب الإنسان فأما الأرواح الأربعة المحمودة فلها أضداد أربعةٌ وتسمى أرواح أيضاً وهي مستمدةٌ من شنبويه برواية الشاب الثقة وهم الدم والبلغم والمرّتين والصفراء والسوداء، ولقد قال الله تعالى فيهم: حُرِّمتْ عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهِلَّ به لغير الله. فالميتة الأول والدم المنتن هو الثاني ولحم الخنزير نعثل والبلغم فعبد الله بن عمر وفي رواية أخرى إن المرتين هم أزواج الميم لذكره التعظيم فإذا أنقص الإنسان شيئاً مما يجب عليه من معرفة مراتب الأرواح المحمودة فيجد شنبويه سبيلاً إلى الدخول فيدخل

فيه من هذه الأرواح الخبيثة بمقدار ما نقص من الأرواح الطيبة التي هي من محمد وأتباعه فكيف من جحد هذ التشخيص وزعم أن الصورة الإنسانية لا يعلم عدد تركيبها، فيمكن أن يكون لجحوده تناقصه عن الأرواح الطيبة وتمكنت فيه الأرواح الخبيثة فأبلَسَ نفسه وصار إبليساً بذاته ثم ومن هذه الأرواح الخبيثة تكون الأورا والدم والنفخة والدّبيلة والطاعون وموت الفجأ وما أشبه ذلك. فمن المرّة الحمراء يكون البرسام والجنون وما أشبه ذلك ومن المرّة السوداء يكون البرص والنسيان وذهاب العقل والأكلة وحديث النفس والصداع. ومن البلغم يكون الفالج واللوقة وما أشبه ذلك وكل ما كان من قاذورات أو شيء مذموم منتن كريه الطعم وما كان من عفونة الدم فهو جميعه من آلات شنبويه ذكر هذا المقدّضس المرحوم الشيخ محمود في رسالته مفصحاً ومرَّ به موضحاً إلى أن قال وإن التبس ما ذكرناه في هذا الفصل على أحدٍ وظن برأيه أن للإنسان أربع أرواح من السيد الأكبر وأتباعه ، وأربعة أخرى من شنبويه وأتباعه فيكون إذاً للإنسان ثمانية أرواح فنقول له: ليس الأمر حيث ذهبتَ وأنه لا يصلح أن يكون في الإنسان إلا نفسٌ واحدة وقد سمّاها بعضهم روحاً ولا خلاف بذلك وأنه لو كان في الإنسان ثمانية

أرواح كما ذكرنا فلم تُعرَف أيها المثابة ولا أيها المعاقبة ولكن هذه الأرواح المذكورة في الإنسان هي علّة المزاج وآلة لقيام الجسم وإنما الروح المثابة هي حقيقة واحدة لا يليق بها الاختلاف والكثرة ، وشاهد ذلك من كتاب التنبيه، وهو قوله كما أن ليس في الوجود إلهان ولا في السماء شمسان فكذلك ليس في الإنسان نفسان وإنما لم نذكر ما عداها من النامية والمعدنية والهاضمة والحيوانية وغيرها لأنها جنودٌ وفروعٌ وقوىً لهذه النفس الناطقة الوحدانية التي هي الأصل وهي التي استخلفها العقل على سياسة البدن وفيها يقول الله تعالى: يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي. والأمر هو السيد محمد الأكبر وهو الأصل وجميع الأرواح الموسومة بالإيمان أصلها واحد ومعدنها واحد ليس بينها تفاضل إلا بالإجابة والسبق، وكذلك الأرواح الشيطانية جميعها أصلٌ واحد وعنصرها واحدٌ مبدؤها الخلالالالاف وأصلها الظلمة وعنصرها الكدورة، فلمَ تستقم على الإقرار ولا ترقى من الأكدار، وفي الصفة البشرية هم والمؤمنون على حالةٍ واحدة وصفةٍ واحدة من جهة الصورة ولكنهم مختلفون في اتباع سبل الهداية لقول مولانا علينا سلامه: إن المؤمنين آدميو الهياكل نورانيو الأرواح والكافرين آدميو الهياكل

شيطانيو الأرواح، فأي بيانٍ أبينُ من هذا في معرفة الأرواح وتركيب الصورة الإنسانية ومعرفة أشخاص الأعضاء والعروق وزيادة الدم ونقصانه ومبدأ الأرواح ومنتهاه ومستقرها ومستودعها. لا كما قرر هذا الهائم الهجّام / أن صورة الإنسان التي هو حاملها/ فإذا تفقّه وكان بها أفقه أهل زمانه فهل يُدرك كم بها عضواً أو عِرقاً أو ما حوت عليه دماً وكم هي وزناً ومِن أين أصلها وإلى أين مستقرها وهل يعلم ما يضرها وما ينفعها؟ فيا ليت شعري فبأي شيءٍ استحق اسم الإنسانية إذ لم يعلم معرفة نفسه ولم يعلم ما يضرها وما ينفعها وهذه صفة البهائم الذين لا يعلمون النفع من الضرر والخير من الشر، وما أرى قائل هذا القول إلا كالحمار الذي يُستعمل للرحى والدواليب والمدار فهو طول نهاره يجتهد في السير والنشاط بزعمه أنه قطع في مسيره مفازاتٍ بعيدةً وفيافي كثيرةً فإذا حلّ وثاقه وجد نفسه ما برح من ماكنه ولا انتقل من مقامه، وهذا دأبه طول دهره ويزعم أنه قد بلغ النهاية في معرفة مولاه وهو ما رآه ولا شاهده ساعة قط بعين الحقيقة والإقرار بل بعين الجحود ولإنكار فهذا عين الضرر لنفسه لو تحقق ذلك، ثم قال:

/ولم يتحقق عند إنسانٍ أنه مؤمنٌ أو كافرٌ.../

فأقول إنه لو كان قوله هذا حقيقة لسقط التفاضل بين العارفين والمنكرين، وبطلت منازل المؤمنين وكان المؤمن والكافر في مقامٍ واحدٍ ومنزلةٍ واحدةٍ فأعوذ بالله من هذا المقال الغريب والاعتقاد المريب الذي لا يثبت به للمؤمنين ترتيب وإذا كان لا يعرف المؤمن من الكافر ولا البرّ من الفاجر فعلى أي وجهٍ تكون معاملة المؤمنين بعضهم بعضاً وهل يجوز في حكم العدل أن الباري تعالى يطالب العبد المؤمن بقضاء حقوق إخوانه المؤمنين وهو لم يعرفهم ، والله تعالى يقول:

يرفعُ الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجاتٍ... فإذا كان العالِم لا يعرف نفسه ولا تركيب صورته ولا يعرف أهل الإيمان الذين هم أولياء الله فيواليهم ولا أهل الإنكار الذين هم ا'داء الله فيعاديهم ولا يعرف الله في وجوده ولا يقرّ بريته، فأي شيءٍ علِم وفي حقيقة نفسه لا يعلم أنه مؤمن أو كافر، وإذا كان شاكاً في نفسه لقلة معرفته فكيف في إخوانه وعلى أيّ وجهٍ يتصدق ويفعل الخيرات إذ لم يكن لم يقين في نفسه وفي إخوانه، والله تعالى يقول: محمدٌ رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركَّعاً سجّداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود...

وفي معرفة المؤمنين خبرٌ روي عن مولانا الصادق وأنه سئل : كيف يُعرف المؤمن من الكافر؟ فقال: يُعرف ذلك من آدابهم وإيمانهم ومعرفتهم الحق من الباطل فمن مال إلى الحق وركن إيه فهو من نسل آدم لقبوله الحق واتباعه الصدق... ومن مال إلى الباطن وركن إليه فهو من ذرية إبليس لإنكاره الحق وتركه الصدق.

وقد سئل أيضاً عن أهل التصديق من المؤمنين بأي أحوالهم يعرفون، فقال منه السلام: إذا أردتم أن تعرفوهم فانظروا إلى من حكم على نفسه بالحق وساوى بنفسه المؤمنين ولم يفضلهم في دنيا ولا دين وفداهم بنفسه ولو أتلفها دونهم إذا علم أن في ذلك حياتهم فهو الذي تسألون عنه، وقليل ما هم، وقد تقدم لي قولٌ قلته وذلك في رسالة تذكرة المريدين في الفصل الرابع في شروط الإيمان وهو كلامٌ طويلٌ اختصرنا منه في هذا الموضع ما احتجناه وهو أن الإيمان هو عبارة عن نورٍ يشرق على الأنفس الخيّرة من قبل الحق لإزالة ظلمة الجهل المردي وكشف عوارض حجب الغفلة وقبول ما يرد عن الله تعالى على ألسن رسله من الفرائض المشروعة والسنن المتبوعة المتوصل إليها العبد بواسطة الأدلة الدينية والشرعية الشافية من أمراض الشك

بالتصديق والاعتراف لكل ما دعت إليه الدعاة من معرفة الحق تعالى في وجوده ونفي الصفة عنه والإيمان به في كنه غيبه ويملائكته وكنبه ورسله وموالاة أوليائه ومعاداة اعدائه والتعلق بطاعته واتّباع أوامره والانتهاء عن نواهيه بعد معرفته، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن في أمتي لرجالاً الإيمان في قلوبهم أثبت من الجبال الرواسي، وقال الله تعالى: وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من يشاء.. وقال تعالى: يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسله يؤتِكم كِفلينِ من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به في الناس... شواهد تدلّ على أن الإيمان نورٌ تشرق عنه الهداية والإقرار بوجدان الحق حال تجليه والقيام له بحقيقة الخدمة مع وقوع الخشية في القلب والوقوف في وجلٍ بين يدي الحق واستغراق مناجاته والتصديق به في سائر آياته، لقوله تعالى: إنما المؤمنون الذين إذا ذُكر الله وجِلَتْ قلوبهم وإذا تليت عليهم آياتنا زادتهم إيماناً وعلى ربّهم يتوكلون... وقال تعالى: الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربّنا ما خلقتَ هذا باطلاً سبحانك فقِنا عذاب النار، ربنا إنك من تُدخِل النار فقد أخزيته وما للظالمين

من أنصارٍ، ربنا إنا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفِّر عنا سيئاتنا وتوفّنا مع الأبرار، ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تُخزِنا يوم القيامة إنك لا تُخلف الميعاد. فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عاملٍ منكم من ذكرٍ وأنثى...

فلا يكون الإيمان إلا بإشراق نورٍ إلهي يفيض على الأكوان فتفاد منه النفوس الصافية المستعدة لقبول قول المنادي الذي هو الداعي من مكانٍ قريبٍ فيُشرق عنه التصديق الخالص من الارتياب وهو الإقرار للنور المتجلي للمؤمنين المسمّى أميرهم حال تجليه لهم في الصورتين النورانية والبشرية هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله ما يشركون ، هو الله الخالق الباري المصوِّر له الأسماء الحسنى... وإنما سمي العارف مؤمناً لأنه عرف الله في كل المواطن فاستحق اسم الإيمان.

وقد حثّ أيضاً على الإيمان وقبول قول رسوله وما دعا إليه، بقوله تعالى: وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم ، وقد أخذ ميثاقكم على الإقرار به إن كنتم مؤمنين أي إن

كنتم مصدّقين أنه هو الذي ينزّل على عبده آياتٍ بيّنات ليخرجكم من الظلمات إلى النور ، يعني من ظلمات الجهل إلى نور الإيمان الذي هو التصديق والإقرار به في سائر ظهوراته النورانية والبشرية، والإئتمار بما أمر به والانتهاء عما نهى عنه وإيتاء فرائضه التي فرضها والسنن التي شرعها على ألسن رسله فمن أتاها غير شاكٍّ فهو من الذين نعتهم الله تعالى بقوله: أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيّدهم بروحٍ منه... وهم الذين استقرت عندهم معرفته بالنورانية فأقروا له إقراراً سليماً من علل الشك ممحصاً من شوائب الإفك منزَّهاً عن عوارض الشرك بتصديق جوهر القلب المنير المستعد لقبول إشراق أنوار الرب مع استحكام يقينٍ مجرّدٍ من الممانعة، مستعدم المراجعة، مستحيل المدافعة، مستحكم الأعمال والإيمان باليقين، مستمكن الإخلاص في الرؤيتين، مشغِل الجوارح بوجوب أركان الوجود في الشهادتين إقراراً وتصديقاً ويقيناً وعملاً مخلصاً لقول مولانا الصادق منه السلام: الإيمان الإقرار باللسان صدقاً وتصديقاً وبالقلب إيقاناً وعملاً بالجوارح إخلاصاً. وكذا قال العالِم في كتاب الأسوس: وصيتي إليك أيها السائل أن يكون أكثر إيمانك في قلبك فإن الإيمان والتصديق دائمان في القلب والشرائع والأعمال

فهي بالجوارح وهي تبعاً للإيمان وليست هي الإيمان الخالص لأن الشرائع تختلف فتكون كفراً وإيماناً والتصديق لا خلاف فيه وهو إيمان القلب والشرائع إيمان الأبدان، وما أحسن ما أورده العالِم الفقيه حسن بن حمزة الصوفي البلانسي في كتاب التنبيه حيث قال: فالطريق التي يستند إليها الإيمان على ثلاث أنحاء ، أولها طريق أهل العموم وهو التقليد الذي هو العقد الجازم المطابق من غير دليل. والثاني قيام الدليل والبرهان وذلك طريق أرباب الأفكار والنظر والثالث هم الذين يستند إيمانهم إلى شهودٍ وعيانٍ وهم الراسخون في العلم فسمّاهم راسخين بتسليمهم وهذا طريق أهل المعرفة بالله. وفي معرفة شروط الإيمان ومعاملة المؤمنين أقاصيص وأخبار وروايات وأشعار تعظم عن الحصر ويعيا بها الفكر، ولو ذكرنا البعض منها لكان بذاته كتاباً مفرداً وخرجنا به عن الغرض، وفيما ذكرناه كفايةٌ لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيد. وقال أيضاً هذا الهجّام بعد إثباته أنه /ليس لأحدٍ يعلم أنه مؤمنٌ أم كافرٌ/ فقال:

/وخل يعلم ما يصير إليه في غده أو في شهره أو في عامه من خير وشر، وأيمتى يكون موته وما سبب ذلك؟ فإذا كان العبد عاجزاً عن هذا كله فكيف يجوز له أن يقول إني أرى رب الأرباب

وجبّار الجبابرة فتباً لهم ما أقلّ عقولهم وما أعمى قلوبهم وما أشد كفرهم بخالقهم.../. فأقول:

أما علم أن هذه الأشياء التي جعلها مثلاً لوجود الباري تعالى بزعمه أننا لا نرى المعبود إلا إن كنا نعلم ما يصير علينا في غدنا وأيمتى يكون موتنا، فالباري تعالى لم يكلفنا بعلم ذلك ولا فرض علينا علم تحديد آجالنا وقد نسب علم ذلك إلى نفسه فقط كونه من الأشياء الخمسة التي تفرد بها دون خلقه واستتر بها دون بريته لقوله تعالى: إن الله عنده علمُ الساعة ويُنزّل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفسٌ ماذا تكسب غداً وما تدري نفسٌ بأي أرضٍ تموت إن الله عليمٌ خبيرٌ... وقد تواترت الأخبار والروايات بالأسانيد الصحيحة أن مولانا أمير النحل أخبر بهذه الأشياء الخمسة وأخبر بما كان وما يكون إلى يوم القيامة بما يعجز المخلوقين عن علمه ومعرفته، ولا رأينا ولا نُقِل إلينا أن أحداً نطق تحقيق هذه الأشياء غيره فيا ليت شعري وقت الذي خبّر بهذه الأشياء الخمسة أما كان ظاهراً مرئياً موجوداً في أعين كافة البشر؟ وهذا الهائم يقول:

/فإذا كان العبد عاجزاً عن معرفة هذا كله فكيف يجوز له يقول إني أرى رب الأرباب؟/. فقد منع رؤيته وعطّل وجوده وكذّب

الإجماع والنقل والأنبياء والرسل وكيف ذلك والله تعالى يقول: فأوحى إلى عبده ما أوحى ما كذب الفؤاد ما رأى أفتمارونه على ما يرى ولقد رآه نزلةً أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنّة المأوى إذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربّه الكبرى... وقال سيدنا أبو عبد الله الخصيب: فذكره للبصر يبطل قولكم أنه رآه بقلبه ولم يره بعينه، وقال الله تعالى: ولقد رآه بالأفق المبين وما هو على الغيب بضنين. وقال تعالى: وجوهٌ يومئذٍ ناضرةٌ إلى ربها ناظرةٌ والنضارة بالضاد هي ماء الوجه ونوره ولهذا يقال: فلان نضّر الله وجهه ، ولا يقال /نظّر/ لأن النظارة بالظاء هي نظر العين، وهذا الرجل يقول للذين يثبتون الرؤية بنظر الحقيقة وينزهون الباري تعالى عن أن يقع تحت الإحاطة والإدراك /فتباً لهم ما أقلّ عقولهم وما أعمى قلوبهم وما أشد كفرهم بخالفهم فيا ليت شعري من هم أقل عقلاً وأعمى قلباً وأشد كفراً؟ الذين يثبتون الرؤية ويعتقدون أنها ممكنة ويشيرون إلى رب ظاهر ويعبدون إلهاً حاضراً، أم الذين يشيرون إلى الغيب والاختباط بالريب؟ وقد قيل إنه من عبد إلهاً لا يعرفه حقيقاً، عليه أنه إذا لقيَه لا يعرفه وهو كما قيل فيه:

كشيطان يبصبص حين يدعو إلى شيطانه الرجس الغوِيّ

والشاهد أيضاً بإثبات رؤية البارب تعالى قول السيد أبي عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي نضر الله وجهه في رسالته وهو قوله: فإن قال لنا قائل: ما الدليل على أنه مرئيّ فإن الذي نسمعه من الحجة بغير شاهدٍ من كاب الله يضعف عندنا وتضعف الحجة فيه فإذا قاممت الحجة من كتاب الله تثبت ولم يجُز لأحدٍ ردها فأتى بالشواهد التي تدل على طلبة الرؤية تركنا ذلك اختصاراً ومرّ في القول إلى أن قال عن قول القائل: أريد تبيّن لي أمصيبٌ كان موسى أم مخطىءٌ في طلبة الرؤية، وكذلك السبعون رجلاً وبنو إسرائيل، قلنا بل كل مصيبٌ في طلبه الرؤية، قال فلمَ أخذت بني إسرائيل الصاعقة ولِمَ أخذت السبعين الرجفة؟ ولِمَ خرَّ موسى صعقاً ومَتع أن يرى ولم يمنع الجبل أن يتجلى له، قلنا لاشتطاط بني إسرائيل وقولهم لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرةً، ولو أنهم قالوا بلى يا موسى ادعُ لنا ربك أن نراه جهراً لم تأخذهم الصاعقة وإنما وجبت العقوبة لعم بقولهم / لن نؤمن لك/ ألا ترى أنه أحياهم بعد الموت والسبعين بعد الرجفة وقبِل توبة موسى بعد أمن خرّ صعقاً، قال فهل تجلى لخلقه بنورانية اللاهوت في عهدٍ ما وكورٍ ما ووقتِ ما؟ قلنا له: نعم، قال: اين ذلك من كتاب الله؟ قلنا له: في قوله تعالى: وإذا أخذ

ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألستُ بربكم قالوا بلى... أقررنا فكان هو المتجلي لهم و المتكلم بلا واسطة ولم يزل يراه أهل خاصته في الأكوان الستة: في الكون النوراني والكون الجوهري والكون الهوائي والكون المائي والكون الناري والكون الترابي وهو متجلي لهم يراه كل شخص منهم بمقدار ما استحق من رؤيته إلى أن ظهر لهم في البشرية بالناسوتية فهذا من أدلّ دليلٍ على الوجود النوري المشرق لكون الأنوار السماوية والمراتب العلوية وأنه متجلي يراه كل شخصٍ بمقدار ما قسم له من الحظ في الرؤية وذلك كائن من قبل نشأة آدم الترابي ووجوده بالمثال المضروب من الحمأ المسنون الذي امتحن العالمين النوري والبشري بالسجود له وباقياً يراه عالم النور وعالم البشر إلى الآن ولم يزل باقياً مع دوام الملك والأبد للمشاهدة والعيان وأما عالم البشر فمنهم من يراه بعين الحقيقة والمعرفة والإقرار ومنهم من يراه بعين الجهالة والإنكار، فأما الذين رأوه بعين الحقيقة فهم نخبة العالم وزبدة امتخاض الكون البشري والعالم الأرضي الذين من أجلهم ظهر الله بما به ظهر وأظهر أنواره للبشر كالبشر ليزدادوا بظهوره لهم معرفةً وإيماناً وتصديقاً وإنقاذاً وتثبت الحجة له على من جحد وأنكر وأبى

واستكبر، وليحيا من حيي عن بيّنـةٍ ويهلك من هلك عن بيّنـة ولئـلا يقـول المنكـرون: دُعينـا إلـى مـا لا نـراه ولا نعرفـه فقطـع معذرتهم وأثبـت حجتـه عليهـم بوجـوده وظهـوره لهـم عـدلاً منـه تعالى وإنصافاً، ثم قال هذا الهائم بعد كلامٍ طويل في إبطال رؤيـة الملك الجليل إلى أن قال:

/وإن البـاب يـدل علـى الحجـاب الـذي هـو غايتـه، والحجـاب يـدل على معناه وهو غايته، والصنعة على نفسها تدل علـى صانعها الذي هي مستمدةٌ من نوره وهي في مثلها تحلّ عبارة أن البـاري لا يراه العبد إلا مثله فالبشر يروه بشراً مثلهم وأهل الصفا يـروه مثلهم.../. فأقول:

انظروا يا ذوي الأنـاة إلـى حيرتـه وعمـاه وكيـف هـدم مـا بنـاه ومـا أسسه وقرره سابقاً فـي عدم رؤيـة مـولاه بقولـه: /فالبشرية يروه بشراً مثلهـم وأهـل الصـفا يـروه مثلهـم/ وقـد سـبق قولـه: /فكيـف يجوز للعبد أن يقول إني أرى رب الأرباب/ والآن يقول: :فالبشر يـروه بشـراً مثلهـم وأهـل الصـفا يـروه مثلهـم/ فأثبـت بـهذا القـول ظهـوره للبشـر كهـم ولأهـل النـور كهُـم بعـد أن منـع رؤيتـه علـى الإطلاق فقد نقض قوله بقوله وهدم أساسه بفاسـه، وحيث أثبـت أن أهـل الصـفا يرونــه مثلهـم ومـا نـرى أهـل الصـفا إلا أنـواراً

شعشعانيةً وجواهر شفافة مضيّةً فلا بد من هيئة تجانسهم وتشاكلهم كهيئة صورهم بمقتضى قوله، فلقد دارت على هذا الحائر الدوائر ثم قال وأقرّ أنّ /الحجاب يراه بما لا يراه الباب والباب يراه بما لا يراه اليتيم واليتيم يراه بما لا يراه من دونه ولولا لطفه وجزيل عطفه يتراءى لعباده لكل جنسٍ كجنسه عجزت جميع عباده أن يدركوا شيئاً من معرفته فجلّ من لا تدركه الأبصار ولا تُحيط به الأفكار ولا يعلم ما هو إلا هو الظاهر لكل جنس كجنسه الموري كل موصوف كصفته الداعي من نفسه إلى نفسه المخاطب كل ذي لغةٍ بلغته فسبحان ربك رب العزة عما يصفون، فتباً لمن يقول إنه يراه ويدركه في البشرية أو في النورانية فإنه إذا ظهر قلنا ظهور، وإذا غاب قلنا غيبة، والغيبة فينا لا فيه وليس هو بغائب كما قال شيخنا الخصيبي:

"ولو مضى ساعةً لساختْ بأهلها الأرض في رفاتٍ"

فأقول: لو أن هذا الحائر الجهول تبصر في نفس هذا القول الذي يرويه والكلام الذي يستند إليه ويبديه تسلق منه على موضع الإشارة والغرض المقصود ولكنه تأوله تأوّلاً فاسداً وخرج فيه إلى حيث ذهب ظنّه فزعم بقوله هذا أن الاسم والباب واليتيم وجميع العوالم العلوية كلا يراه على مقداره وذلك في الصورة

البشرية فقط، فكيف يجوز ذلك وهو يقول: /ولولا لطفه بعباده يتراءى لكل جنسٍ كجنسه عجزت جميع عباده أن يدركوا شيئاً من معرفته، والاسم والباب والعوالم ليس هم من جنس الأبشار ولا حلّوا في البشرية أصلاً وجميع أهل التوحيد/ سابق ولاحق/ مجمعون على أن جنس النور غير جنس البشر لأن جنس النور جوهر بسيط مجرد عن التراكيب والأخلاط والمزاج. وجنس البشر مركّب من الطبائع والعناصر والاستقصّات وهو عرض زائل لا يقال له جوهر لأن الجوهر مستقيم مستغني في حقيقة نفسه عن التراكيب بل قائمٌ بنفسه، والعرض زائلٌ فانٍ فاسدٌ لا يقوم بنفسه بل بغيره وجميع هذه المحدثات أعراضٌ بالنسبة إلى الجواهر القديمة البسيطة المعقولة، وإذا كان ظهر لكل جنس كجنسه وخاطب كل ذي لغةٍ بلغته، فالأولى أن يظهر لعالم النور بصفةٍ تضاهي صفاتهم وهيئةٍ تشاكل هيئاتهم وإن كنا قد أثبتنا أنه تعالى جانس البشر تشكيلاً وتخييلاً ليدلّهم على معرفته فما بال جنس النور الذي هو أشرف وألطف وأثبت وأقدم، ولو كان الباري تعالى ما ظهر إلا في البشرية فقط فيمكن أن يكون قبل وجود نشأة العالم البشري ما كان لأهل النور ربٌّ ظاهرٌ ولا إلهٌ حاضرٌ بل كانت إشارتهم إلى الغيب أعوذ بالله من ذلك، وهل

يجوز أو يصحّ في العقول أن أهل النور بعد لطافتهم وعُلوّ منازلهم يشيرون إليه بصورة بشرية لحمية وإذا أقرد هذا الهائم أنه لا بد من صورةٍ تضاهي جنس النور ليفهموا عنها الأمر فقد ثبتت حجتنا، ومما يزيد قولنا نصراً ويورث خصمنا قسراً، قول محمد بن شعبة الحراني قدّسه الله تعالى في كتابه الأصيغر، وهو قوله: لا يمكن أن يشار إلى الصورة إلا بالمجرد المحقق الذي لا يمكن زواله، والصورة الواحدة التي يلزمها الكمال هي الدائمة الثابتة الأزلية، وإنما تُعلم وتُعرف بموضع لا يلحقه الإنثلام ولا يتغير على ممر الأيام، إشارته بذلك إلى الصورة النورانية فهي تُعلم وتُعرف في هذا الموضع الذي هو السماء التي لا يلحقها الإنصرام ولا تتغير على مرّ الأيام، وفي مثله قال المولى الصادق منه السلام حين سئل فقيل له: وهل رأى محمد ربّه ليلة المعراج؟ فقال: وأنا رأيته البارحة ها هنا. وأشار بيده إلى السين. يعني في هذا الموضع، وقوله تعالى: شهد الله إنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط... فالله هو الحجاب. وقد يُطلق على الباب في وقت ما إذا شرّفه بالظهور به، والملائكة هم أهل المراتب، وأولو العالم هم العلماء من المؤمنين الذين أقاموا بالقسط وعرفوا ربّهم بغاية الإمكان وعرفوا

حجابه وبابه وأهل مراتب قدسه، وجرّدوا الله عن سائر المصنوعات وعرفوه في كل المواطن ومع أهل النور في السموات والظهور بالمراتب البشريات، فقالوا ما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين، فمعرفة هؤلاء بالمشاهدة منهم فلما حققوا ما شهدوا به في المراتب الثلاث كُتبت شهادتهم فشهدوا على الحقيقة لا على المجاز لأنّ التوصل إلى تحقيق معرفة الإله تعالى هو أول درجات الفوز والنجاة والسعادة الأبدية، وقد كان أبو الخطاب عليه السلام يقول في تلبيته: يا مُظهر جواهر الأنوار البسيطة المستضيئة بضياء نورك الشعشعاني التي أكملت في الحدث ظهورها فاستضاء جميع خلقك بنورها، ونجى المتأدب بآدابها التابع لأسبابها وهلك الجاحد لها باجترائه عليها، وأما قول هذا الهائم أيضاً: /فتباً لمن قال إنه يراه ويدركه فب البشرية راوها على صصفاتهم ، وهذه الصور والصفات التي اظهرها فلها مواقع كما قال اسحق في كتاب الصراط: حقيقة التوحيد إفراد المعنى بالوحدانية، وتخليصه من أسمائه وصفاته وإنها ذرية محدثة مكوّنة نصبها لنفي الصفة عنه إذا أظهرها في العيان ليوقع صفة ما أظهره على حقيقة موجودة، فالذي أظهره للرؤية فله مواقع الصفة بلغ قرار المعرفة، وقول حمزة بن علي

بن شعبة في كتاب حجّة العارف حيث قال: اعلم أن الصفة تنقسم إلى قسمين: صفة قدِم وصفة حدث فصفة القدم غير مكيَّفة ولا محدودة ودليلها ظهور القدرة، وصفة الحدث هي التي مشاهدة بالأقطار والحدود والجهات الست، والصورة الأزلية ظهور القدرة منها دالّة على صفة القِدم نافيةٌ عن صاحبها أنه محدَث أو مكيَّف أو محدود بل هو ظاهرٌ موجودٌ لوجود العيان لأن الله أعدل من أن يخلُق خلقاً ويكلّفهم عبادة معدوم، وصفة الحدث موقعها التنقل من حالٍ إلى حالٍ في الظهورات بالصور المختلفة في الأكوار والأدوار، وصفة القِدم موقعها السرمدية التي هي غير مكيّفة ولا محدودة ولا مدروكة ولا محسوسة وإنما افترض على الخلق أن يعرفوا مواقع صفات الحِدث لا صفات القِدم لأن ليس في استطاعتهم إدارك صفة القدم والشاهد بذلك قوله تعالى:

فلا أُقسمُ بما تُبصِرونَ وما لا تُبصرونَ.... فأثبت الرؤية ومنع الإدراك بهذه الآية...

وقال تعالى في إثبات وجود الذات الأحدية: كلمةً طيبةً كشجرةٍ طيبةٍ أصلها ثابتٌ وفرعها في السماء باسقٌ تؤتي أكلها كل حينٍ.... فالشجرة الطيبة هي الذات المقدّسة السنية أصلها ثابتٌ

في القدم والديمومة، وفرعها باسقٌ في السماء في الكون النوري تؤتـي أكلهـا مقمِـراً فـي كـل حيـن بنضـاخة النـور أي بزيادتـه ، فالمتجلي بالصفة النورية هو المتجلي بالصفة الظلية فمن عدلـه في بريته وإنصافه في رعيتـه كمـا أنـه تجلّـى لعالَم العقل المجرد عن التراكيب علـى صفاتهم وأمثـالهم اقتضـى فـي حكمتـه تجليـه لعالم البشر حسب استطاعتهم علـى هيئـاتهم وأشكالهم، وشـاهده قـول داوود النـبي عليـه السـلام للجبـال: تصـفَّفن وسـبِّحن للـربّ الــذي يحــي بالقــدرة لينصــف أهــل الأرض كمــا نصــف أهــل السماء،وليعدل علـى أهل الأرض كمـا عدل علـى أهل السماء، وأما قول الشيخ:

ولو مضى ساعةً لساخَتْ بأهلها الأرضُ في رفاتِ

دليلٌ علـى أنـه ظاهرٌ موجود، ولـو غـاب سـاعةً لسـاخت الأرض بأهلها ، وقولـه أيضـاً:

ولو مضى لم نقُمْ سماءٌ ولا أضاءت بزاهراتِ

فأوجب وجود ذاته لكون عدم وجود ذاته تعدم جميع الموجودات، ومع وجودها تنمو سائر الموجودات من المعدن والحيوان والنبات وسائر الكائنات، وقال أيضاً هذا الهائم الهجّام بعد إطالـة الكـلام، في تفسير قول مولانا الإمام، وهو قولـه منـه السلام: بـايَنهم فـي

قِدمه رباً كما بايَنهم في خلقه حِدثاً، فقال:

/باينهم في الذرو الأول أنه قديمٌ، وأبانَ لهم في صورةٍ نورانيةٍ تُشابه صورهم وجنسهم لأنهم كانوا أشباحاً نورانية فرأوه نورانياً مثل صورهم فأقروا له وهو تعالى بائنٌ وأنه مالكهم وربهم وإلهم، ولما أهبطهم إلى الدار السفلانية وألبسهم القمص البشرية ظهر لهم فرأوه بشراً مثلهم فظنوا أنه مخلوق محدثٌ، ولما رأوا القدرة فأقرت له فرقةٌ، وأنكرت فرقةٌ وقالوا إنه ساحرٌ.../.

فأقول: إن قوله هو القول الصحيح والاعتقاد الصريح فلو أثبته استقام عليه وفقِه معناه لكان موحِّداً حقاً لا ريب في إقراره ، وكان من الذين نعتهم الله في كتابه بقوله تعالى: وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءً غَدقاً...

ولكنه ينقض عليه هذا القول لكونه أنه نسب عالم النور إلى الهبوط، ولُبس القمص البشرية وأدخلهم في مجمل كون الجبلَّة البشرية وهذا القول لا يصلح ان يكون في كون العالم البشري فقط، وأما عالم النور فهم منّزهون عن أن يروا باريهم بصورةٍ بشرية مع عدم كدرهم وزيادة لطافتهم وشفافة جواهرهم، فلم يزل مولاهم مستقيم الوجود حسب صفتهم وأن البشرية التي رأوها

أهل المزاج ليس لها حقيقةٌ بل علّةٌ في عيون الناظرين إليه، فلعلّة كدرهم رأوا باريهم بهذه الصفات المنسوبة إلى ذواتهم وأكدارهم، ومع ذلك فإني أرى هذا الرجل مطلعاً على القانون الأصلي والمسلك الحقيقي وما منعه عن التمسك به والإقرار غير العتُوِّ والإصرار والعناد والاستكبار، فهو كما قال الله تعالى فيه: وأضلّه الله علمٍ منه.... بطريق الهدى، ثم قال:

/وأما قول أمير المؤمنين: من وصفه فقد شبّهه ومن لم يصفه فقد نفاه يعني من وصفه فقد شبّهه في صور الآدميين وشبّه به خلقه وهو ليس له شبيه ولا مثيل ولا عديل، ويعجز المخلوقون عن إدراك صفات خالقهم بل إنه يوصف بالقدرة والعظمة والجلالة والربوبية. وقوله: ومن لم يصفه فقد نفاه يعني نفاه أنه غير موجود ولا هو شيءٌ، والنافي ينفي ما رأى ويُثبت ما علِم وإذا لم يكن شيئاً فماذا يثبت وماذا ينفي؟ ولم يرَ شيئاً يثبته ولا شيئاً ينفيه، والله أكبر وأعظم من كل شيء... وقوله تعالى: قل أي شيءٍ أكبر شهادةٍ من الله... فعلمنا أنه شيء لا كالأشياء، وهو كما قال: وهو الحي القيوم لا تأخذه سِنَةٌ ولا نوم... وما من اثنين إلا هو ثالثهم.. الآية. وقوله تعالى: فلما أتاها نُودي من جانب (شاطىء) الواد الأيمن في البقعة المباركة/ إني أنا الله لا

إلـه إلا أنـا فاعبـدني وأقـم الصـرة لـذكري.../. فهـذه الآيـات مـن بعض أوصاف وجوده...

فـأقول: إن هـذه الشـواهد صـحيحة والآثـار مليحـة ولكـن أيـن الفحـص عـن معـنى الأسـرار العميقـة وأيـن البحـث عـن معنـى البـواطن الأنيقـة لأن مقدِّم هذا التقريـر فـي إثبـات الوجـود ونفـي الصفات عن المعبود إذا طولب بالدليل على ما قرّر ونمّق وسطّر من إثبات وجود الحق تعالى وبقائه للعيان وسرمديته فـي الزمـان بالنور المتجلي للأكوان نكص وندّ واكترث وارتدّ لأنـه لـم يـر شيئاً يثبتـه بـل إنمـا نفـى الوجـود بـالإطلاق وحصـل علـى النفـي دون الإثبات ولقد عجبت من استشـهاده بهذه الآيـة الشريفة التـي لـم يقرّ بحكمها ولمِ يأتِها على رسمها وهي عنده تـدل علـى أوصـاف الوجـود وهـو منـك الوجـود الـتي هـي عليـه تـدلّ ومنحـرفٌ بحكمـه فيهـا مـن النـور إلـى الظـل وهـي قـوه تعـالى: قـل أيّ شـيءٍ أكبـر شهادةً قل الله شـهيدٌ وبينكم ولـم يُقرّ بالمشـاهد المرئـي الموجـود لكل موجـود، وكـذلك قولـه تعـالى فـي سورة طـه:وهل أتـاك حديـث موسى إذ رأى ناراً فقال لأهله امكثـوا إنـي آنسـت نـاراً لعلـي آتيكـم منـها بقبسٍ أو أجد علـى النـار هدىً فلمـا أتاها نُودي يـا موسـى إنـي أنا ربك فاخلـع تعليك إنـك بـالوادِ المقدس طُوىً وإنـا اخترنـاك

فاستمع بما يُوحي إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري إن الساعة آتيةٌ أكاد أخفيها لتجزي كل نفسٍ بما تسعى، فلا يصدنّك عنها من لا يؤمن بها واتّبع هواه فتردى، وما تلك بيمينك يا موسى ، قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهشّ بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى، قال ألقِها يا موسى، فألقاها فإذا هي حيّةٌ تسعى، قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى، واضمم يدك إلى جناحك تخرُج بيضاء من غير سوءٍ آيةً أخرى، لنُريك من آياتنا الكبرى.. فهذه آية قدرها عظيم وخطرها جليل قد حوت سراً مكنوناً وجوهراً مصوناً تُفصح عن سرّ التجلي في الوادِ المقدس بالنور المستبين كالنار فلما رآها قال لأهله امكثوا، فأهله هم العوالم العلوية والأنوار السماوية.والمكث هو الوقوف والإقامة على المعرفة والإقرار للنور البادي كصفة النار، والاقتباس هو زيارة الامتداد من فيضات بوارق الأنوار بالسر الجاري من الأعلى للأدنى، لوجدان الهداية، فلما أتاها نودي يا موسى إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طُوىً، تعليماً لنا وتأديباً كي نخلع العلائق الدنيّة تجرداً لمواجهة الحق المجرد الموجود في الواد المقدس بالتحقيق، بدليل قوله تعالى: إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني... أمراً منه أن العبادة له لا لغيره،

وأقم الصلاة لذكري فالصلاة هي المناجاة لأن المصلي مناجي ربّه، والمناجاة لا تصلح أن تكون بغير معرفة وتحقيق أن الساعة آتية وهو اقتراب التجلي بالكمال، أكاد أخفيها عمن لا يؤمن بها لتُجزي كل نفسٍ بما تسعى ، فلا يصدنَّك عنها من لا يؤمن بها يعني غير مصدّقٍ بها واتبع هواه القائد إلى الجحود، فتردى يعني فتهلك أنت بمتابعة من اتبع هواه وقاسَ برأيه وصدّ عنها، وما تلك بيمينك يا موسى، سؤاله ليختبر ما عند موسى من سر معرفة العصا ، فقال موسى: هي عصاي أتوكأ عليها وأهشّ بها على غنمي وليَ فيها مآرب أخرى، فقد جمع الثالوث في سرّ العصا، فقال ألقِها يا موسى/ ليزيده كشفاً في معرفتها، فألقاها موسى حسب الأمر، فإذا هي حيّةٌ تسعى ، في تربيع المظاهر الملكوتية إلى الغاية ثم أمره بضمها إليه، بقوله: خُذها ولا تخف، يعني استقِم على معرفتها ولا تخف، سنعيدها سيرتها الأولى، يعني كانت في يدك قبل إلقائها واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوءٍ، يعني نقيةً من الكدر عند خروجها وهو ظهورها بعد الغيبة، آيةً أخرى لنريك من آياتنا الكبرى التي هي ظهوره بالثالوث وهي النار والعصا واليد البيضاء، ومما رواه الحسين بن حمدان الخصيبي شرّف الله مقامه، قال: حدّثني

عسكر بن محمد الفارسي: قال: قلت لسيدنا أبي شعيب إليه التسليم: يا سيدي لمن العبادة فقال: العبادة لمن قال لموسى عند المناجاة: إنا اخترناك فاستمع لما يوحى: إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري، ثم نرجع إلى قول هذا الهائم الهجّام وما استشهد به من قول النبي عليه السلام:

/وإنه لمّا كان قائماً يصلي في المحراب ورفع يديه إلى منكبيه في تكبيرة الإحرام فقال: الله أكبر إشارة منه لباريه لأنه كان قائماً من ورائه يصلي فأشار بيده إليه، وقال: الله أكبر، إنك أكبر وأعلى وأعظم مني، وأنت الآمر وأنا المأمور فهذا ونظائره يدل على وجود المعنى ، وأنه كان حاضراً معه في المسجد، وقراءته الفاتحة وقوله فيها: إياك نعبد وإياك نستعين، فهذه إشارة تدل على وجود الباري، وإياك يعني إنك موجود معنا، ولو لم يكن حاضراً لم يقل الاسم إياك بل كان يقول إياه نعبد وإياه نستعين... وقال سيدنا الحسين بن حمدان في رسالته الكبيرة فإن قيل لنا هو شيءٌ أم لا شيءٌ؟ قلنا: بل هو شيءٌ لا كالأشياء، وإذا قال: بيّنه لنا من لكتاب أنه شيءٌ، قلنا له: قل أيّ شيءٍ أكبر شهادةً قل الله شهيدٌ بيني وبينكم، فعلمنا أنه شيءٌ وكل الأشياء له وبيده.../. فأقول:

فأما القول في رفع يدي الرسول إلى منكبيه في تكبيرة الإحرام ففيه وجهان أحدهما أنه يشير بذلك إلى مولاه العين الظاهر بالصورة الظلية تلويحاً لأولي الأبصار ليعرفوا ظهوره ويُثبتوا وجوده ويستقيموا على توحيده وليثبت الحجة على أهل الإنكار الجاحدين الذين ختم الله على أسماعهم وجعل على قلوبهم أكنّةً أن يفقهوا قوله لأن تلك الصورة الظلية كانت أقرب لمعارف المريدين من عالم البشر، وظهورها كهم ليفهموا عنها الأمر والنهي وليس في استطاعتهم أن يفهموا إلا عمّن هو على شاكلتهم وإن الصورة النورانية ليست من جنس البشر وليس في إشارة الرسول نفياً للوجود النوراني بل إنما ذلك دلالةٌ على معرفة الأقرب وحثاً على التنزيه إذ به التوصل إلى معرفة الأقصى.

الوجه الثاني: فيه إشارة هلالية يعلمها أولو البصائر في فسح الرسول عليه السلام ما بين الإبهام والسبّابة عند رفع يديه إلى منكبيه إشارة إلى ربه العالي عليه في وجوده وبطونه، وفي قوله الله أكبر تنبيهٌ على شرف جنس النور، وتنزيهٌ لمولاه عن صفة البشر لأنه إذا امتحن المقرّ بالصورة البشرية على إثباتها وبقائها للعيان وسرمديتها في الأوان لم يكن جوابه إلا لم يكن لما رأى من الصفة البشرية حقيقة بل إنما حقيقتها النورانية

ولكنـه أظهرها المعنى في الوجـود ليستدل العبد علـى المعبـود وليظهر العدل فيمن عصاه والفضل فيمن أجابـه وتـوالاه ولكـي لا يكون لخلقه عليه حجةٌ، فأحيا بوجوده النفوس الخيّرة المستعدة لقبـول إشراق ضياء نـوره السرمدي وأثبـت الحجـة علـى الأنفس الخبيثة المنكِرة الملتبسة بعوارض الشكوك الواردة من قبل ظلمـة الجهل المردي بدليل قولـه تعالى: ومَن لـم يجعل الله لـه نـوراً فما لـه من نور. وفـي قول الرسول / الله أكبر/ تنزيـهٌ عن أن يكـون بشراً كما ترونـه، وتثبيتٌ أنه نورٌ. وقد سئل مولانـا الصادق منـه السلام عن النظر إلى الصورة المرئية وكيف حدود ما وقـع عليـه النظر من النـاظر، فأجاب: إن النـاظر ينظر إلـى تلالـي نـور تلك الصورة فيلقـى نـور نـاظره لذلك النـور المنظور إليـه فيمنعـه من الإدراك ويرجع نور الناظر إليه فلا يرى إلا مثلـه، ما أحسن هذا من شاهدٍ يدل علـى أن تلك الصـورة ليست بشريـة وإن البشريـة هي علّة النـاظر، ولهذا أشار الأمير حسن ابن مكزون قدّس الله سره، في إحدى قصائده وهو قولـه:

ولعجزي عن أن أراها بإيا　　　هَا بدَتْ بالصفات والأسماء

بصفاتٍ ممنوعةٍ أن تراها　　　عينُ راءٍ إلا بوصف الرّائي

وأمـا قـول هـذا الهـائم أيضـاً عـن قـول الرسـول فـي فاتحـة

الكتاب /إياك نعبد وإياك نستعين/ وأنها إشارةٌ تدل على وجود الباري، وإياك يعني إنك موجودٌ حاضرٌ معنا ولو لم يكن حاضراً لم يقل الرسول إياك بل كان يقول /إياه نعبد وإياه نستعين/ فأقول: نعم إن الرسول عليه السلام أشار بذلك إلى حاضرٍ موجودٍ لأن كاف الكناية لا يشار به إلا إلى حاضرٍ، والإشارة بالهاء ضمير إلى غائب، وفي الوقت الذي نطق فيه الرسول عليه السلام بهذا الخطاب كان المولى تعالى حاضراً معه فأشار إليه وخاطبه بالكاف، وإذا كنا في وقتنا هذا لم نرَ ولم نشاهد شيئاً فلمن تكون هذه الإشارة بالكاف، وإذا كنّا /والعياذ بالله/ لم نرَ ولم نشاهد شيئاً موجوداً، 6فيمكن أن يكون بطَلَ حُكم هذا الخطاب بالكاف، فأعوذ بالله من التبديل ، وإنما المولى تعالى لم يزل ظاهراً، ولقد ألإصح عن معنى هذا الخطاب أبو صالح الديلمي، قدّس الله روحه، في كتاب هداية المسترشد وسراج الموحّد، فقال:

وما هذا الخطاب بالكاف عند سائر أهل الفضل لم يكن إلا لمن هو موجودٌ، مشاهدٌ مرئيٌّ معاينٌ مواجهٌ لمن يخاطبه، فإن قال قائلٌ واعترض معترضٌ وقال هذا الخطاب كان خطاب رسول الله ونبيّه وقد كان نبيّه يراه دوننا، فنقول وبالله التوفيق بل هذا

خطاب المنبّأ زيد بن حارثة، وبلا خلاف أن عالم الملكوت يرون المعنى القديم والإله العظيم بحسب منازلهم النورانية واستطاعتهم الجوهرية بتمكينه لهم بالقوة الفائضة عليهم من الفيض الإلهي والسر المعنوي فينظرون إليه من حيثهم وحيث شاكلتهم وهو جلّ وعلا من حيث هو حقيقاً، وأنه كما شمل بعدله في ظهوره للعالم النوراني فكذا يعدل ويلطف بظهوره للعالم الجسماني، ولو كان الأمر على ما يتأوّله هذا المعترض لما كان القرآن وصل إلينا، ولامست حلاوة تلاوته ألسنتنا بل كان القرآن في أيدي المشاهدين له، ومحجوباً عمّن لم ير خالقه، ولم يكن لوصوله إلينا فائدةٌ ولا له علينا عائدة. وأما قول هذا الهائم أنّه /قال الحسين بن حمدان الخصيبي في رسالته الكبيرة، فإن قيل لنا هو شيءٌ أم لا شيءٌ، قلنا له هو شيءٌ لا كالأشياء إلى آخر قوله.../. فأقول إنه حرَّف قول الشيخ قدّس الله روحه، وغيره وبدَّله، ولا أتى به كما جاء به مؤلّفه، ونحن بحول الله تعالى نأتي به على حقيقته وهو قوله:

فإن قال لنا قائل: ما الدليل على المعنى، وما كونه؟ وهل هو شيءٌ أم لا شيءٌ جسمٌ أم عرضٌ، نورٌ أم ظلمةٌ، موجودٌ أم معدومٌ، مثبتٌ أم منفيٌّ، معاينٌ أم مفقودٌ، متيقنٌ أم مجهولٌ؟ قلنا

له: هو الدليل عليه. فإن قال لنا كيف كان هو الدليل عليه قلنا له: كان ولا كون معه، قديمٌ أزلٌ أحدٌ فردٌ صمدٌ منشىء، لا شيء معه، فلما شاء أن يكون المكان كوّنه من نوره ودلّه عليه وناجاه حتى أجاب مناجاته فكبّر نفسه فكبّره الميم، وهلّل نفسه فهلّله، وحمد نفسه فحمده وسبّح نفسه فسبّحه، فسمّاه الله وأشرعه لمن يخلُق بعده في جميع ملكه فهو اسمٌ للمعنى يدعى به. وقوله: شيءٌ هو أم لا شيء، قلنا له: هو شيءٌ كما سمّى نفسه في قوله تعالى: قل أيُّ شيءٍ أكبر شهادةً قل الله شهيدٌ بيني وبينكم... ومعنى قوله: أيّ شيءٍ أكبر شهادةً، يعني أي شيءٍ أكبر وجوداً أو ظهوراً أو عياناً أو بياناً، قل الله، فدلّ بهذا أنه تعالى أشهر وأكشف للمشاهدة من جميع الأشياء، إذ لا شيء أعظم منه فيمنع من رؤيته، فأعلمنا أنه مشهودٌ وأنه شيءٌ كلا كالأشياء، وقوله: جسمٌ هو أم عرضٌ، قلنا: هو كما وصف نفسه في قوله: كل شيءٍ هالكٌ إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون. وقوله: ويحذركم الله نفسه. وقوله: ولتصنع علي عيني. وقوله: وقالت اليهود يد الله مغلولةً غُلّت أيديهم ولُعِنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان يُنفق كيف يشاء. وقوله: والسموات مطوياتٌ بيمينه سبحانه. وقوله: يد الله فوق أيديهم. وقوله:

والسماء بنيناها بأيدٍ وإنا لموسعون. وقوله: وإن تقل نفسٌ يا حسرتا على ما فرَّطتُ في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين. وقوله: وكان الله سميعاً بصيراً. وقوله: وكلَّم الله موسى تكليماً. وقوله: الحيّ القيّوم. وقوله: المؤمن المهيمن. وقوله: وإذ قال الله يا عيسى إني متوفّيك ورافعك إليّ. وقوله: إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون.

وقوله: فأينما توليتم فثمَّ وجه الله... فأعلمنا تبارك وتعالى أن هذه صفاته.. وقوله نوراً أم ظلمةً؟ قلنا: فهو كما وصف نفسه في قوله تعالى: الله نور السموات والأرض فأوجدنا أنه نورٌ. وأنه شيءٌ، وأن له ألة الأجسام، إلا أنه نور لا كالأنوار وشيءٌ لا كالأشياء وجسمٌ لا كالأجسام وصفةٌ لا كالصفات وآلةٌ لا كالآلات، إنه لا يُرى إلا كالأجسام والصور والصفات والآلات، ولو لم يُر كهيئة الأجسام والصور والآلات لم يثبُت الوجود ولا صحّ العيان. فإن قال لنا قائل: ما الدليل على ظهوره بصورةٍ مرئيةٍ؟ قلنا له: لو لم يظهر بالصورة المرئية لم يثبت وجوده ولا صح عيانه ولا تيقنه، فإن قال: كل صورةٍ مخلوقة، فكيف يظهر بمخلوقٍ وهو لا يظهر إلا بذاته ونحن وأنتم نقول إن الخالق غير المخلوق والصورة غير المصوّر والمثال غير الممثل والاسم

غير المسمّي والرسول غير المرسل، قلنا له: إن تلك الصورة المرئية التي ظهر بها ليست بمخلوقة ولو قلنا إنها مخلوقة والمعنى من دونها لكنا نحن وسائر الفرق في هذا القول بالسواء، لأنه لا يجوز لأحدٍ أن يقول: إن تلك الصورة لم تكن في الدنيا ولم تخلق وأن تلك الصورة كانت كسائر الصور والخلق، قال: فإذا أجبناك إلى أن تلك الصرة الأنزع البطين الربع من الرجال، الأصلع الرأس، الرحب البلجة، الخاذر العينين، الضخم الدسيغة، العبل الذراعين، البعيد ما بين المنكبين، الأخمش الساقين هي صورته أو هي هو ، أو هي غيره، قلنا له: إن قلنا إنها مخلوقة كنا كسائر الخلق من الأضداد والشراة والناصبة الذي يلعنونه ويتبرأون منه، والناصبة التي تقدِّم عليه غيره وهم يشكّون أنه مخلوقٌ مثلهم، ولكنا نقول: إن تلك الصورة المرئية هي هو إثباتاً وإيجاداً وعياناً وبياناً ويقيناً، لا هو هي كلاً ولا جمعاً ولا حصراً ولا إحاطة.

قال: فما تقول في قوله: لا تدركه الأبصار؟ وقد كانت تلك الصورة مدروكة معاينة قلنا له: إنما الإدراك هو الإحاطة ليس الإدراك العيان والوجود، وقوله: يُدرك الأبصار أي يعاين أبصار الخلائق جميعاً بغير فوات شيءٍ منها ولا يغرب عليه كومنها

لأنه مكونها ومكوِّن كيانها ومكان المكوِّن لها ولا تدركه أبصارهم إلا بقدر ما استحقوه من العيان وأن ليس اثنان يستويان في النظر إليه..

ثم قال هذا الهائم بعد كلامٍ طويلٍ في هذا الباب وأمثالٍ تستعاب في عدم وجود المِلَك الوهّاب غُنينا عن إيرادها في هذا الكتاب إلى أن قال:

/وسمعنا أن أقواماً يقولون: نحن أرباباً لبعضنا بعضاً من دون الله تعالى، وهم أنجس الفرق، ورأينا قوماً يشيرون إلى هذه السماء ويجعلونها المعنى عزّ عزّه، ويقولون: نحن نرى مولانا ونشاهده بأعيننا ونعرفه ونعبده حاضراً موجوداً.../.

فأقول: إن جميع من يعتقد هذا الاعتقاد فقد ذهب إلى الغيّ والفساد، ثم قال: عن قول المولى جعفر أنه من عبد غائباً حال إلى عدم، وقال أيضاً:

/ من صفة الحكيم أن لا يعبُد إلا موجوداً، فالإشارة بذلك أن الباري تعالى ظهر لعباده في دور آدم هابيل فوجدناه وعرفناه وعرّف نفسه لعباده بصورةٍ بشريةٍ فعرفوه بها ولو لم يظهر للعباد كجنسهم بصورةٍ تقارب صورهم لما رأوه وكانت لهم الحجة عليه، وكانوا يقولون: دُعينا لمعرفة مولانا ولم نره ولم نشاهده ،

فبظهوره مثل صورهم ثبتت حجته عليهم ثم غابت صورة هابيل جلّ من لا يغيب، وظهر لهم بشيت ثم غاب شيت وظهر وهو يوسف فوجدوه وغاب يوسف جلّ من لا يغيب، ولما ظهر بيوشع وجدوه وعرفوه بصورةٍ بعد صورةٍ إلى ظهوره بالصورة المرئية الأنزعية فوجدوه وعرفوه في أفعاله ومعاجزه والقدر الذي يعجز عنها الخلق، فهذا أصل وجوده وظهوره للعباد كمثلهم وهذا الوجود الذي قال فيه المولى جعفر / من عبد غائباً حال على عدم/..

فنقول ونقرر أن هذا الرجل يعتقد بربٍّ حاضرٍ ويشير إليه بصورةٍ بشرية وهولا يرى من ذلك شيئاً، فيا ليت شعري ففي أي وقتٍ عاينه بالصورة الأنزعية وقد سبق القول أن تلك الصورة ما كانت في أيامه ولا رآها بعينه، وهو لا يقرّ بوجودٍ غير وجودها في البشرية فق، فعلى أي وجهٍ يسميها مرئية وهو ما رآها ولا شاهدها، وعلى أي وجهٍ يكون اعتقاده في قل المولى الصادق/ من اعتقد غائباً حال على عدم/ وقد سبق قوله:

/فكيف يجوز للجاهل الخسيف العقل ان يقول إني أشاهد رب الأرباب وأعاينه بالصورة البشرية بعلي بن أبي طالب وأراه وأعاينه بالصورة النورانية.../.

أليس من لم يشاهد مولاه ويُثبت العيان قد حال على عدم، وهذا الرجل فهو يقول بقول المقرِّين بالمشاهدة ، المثبتين الرؤية، ويعتقد اعتقاد الجاحدين المنكرين للوجود، فكيف يصح قوله بالرؤية مع عدمها، أم كيف يصح اعتقاده بالغيب مع عدم المعرفة به، وإذا قيل له: أين الوجود الذي تدعيه، تحير في ذلك ولجأ إلى الغيب المعدوم الذي ليس هو شيئاً يُعرف ولا معروفاً يوصف، ثم قال هذا المتحيِّر:

/ وأيضاً ظهوراته المثلية الذي أزال الاسم وظهر المعنى كمثل صورته لئلا يرتاب الجاهل، وظهورات المعنى كلها ذاتية أنزعية، فلما ظهر قلنا ظهور، وإذا غاب قلنا غيبة.../.

فكأن هذا الرجل لا يدري ما يقول، وإما أنه لا يستحي من الكذب، وما أرى قوله إلا كهذيان المريض الذي اشتد به المرض فهو لا يفقه معنى ما يقوله إذا سئل عنه كونه تارةً يقول بقول المولى الصادق/ من عبد غائباً حال على عدم/ فني الغيبة بهذا ، وتارةً يقول: إذا ظهر قلنا ظهورٌ، وإذا غاب قلنا غيبةٌ، فأثبت الغيبة بقوله هذا، ونفاها بقول المولى الصادق، ثم قال:

/ وعالم البشر لا يرون إلا صورةً بشريةً تقارب صورهم وعقولهم../.

فأقول: إنه إذا كان قد ثبت عنده أن عالم البشر لا يرون إلا صورة تقارب صورهم وعقولهم، فما بال عالم النور لا يرون صورةً تقارب صورهم وعقولهم، ثم قال:

/ وإنه عزَّت آلاؤه بلطف منه وعفوٍ ورحمةٍ ورأفةٍ ظهر لعباده بصورة بشر مثلهم بأب وأم وأزواج وأولاد، وتعجز جميع المخلوقات عن إدراك ذلك/ فقد أثبت بقوله أنه تعالى ظهر لعباده بصورة بشرٍ مثلهم، ومنع أن يكون له عبادٌ غير البشر، وأثبت البشرية على الاسم والباب وجملة عوالم النور كونهم جميعاً عباده وفيهم قوله تعالى:

بل هم عبادٌ مكرَمون، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون. ثم قال:

/ فإذا كانت جميع المخلوقات من الإنس والجن تعجز عن إدراك الصورة التي تشابه صورهم فيكف يجوز للعبد أن يُدرك نورانية الباري وباطنه؟.../.

فأقول: أما يعلم هذا الجهول أن الصورة التي ظهرت كهيئة البشر ليست داخلةً في حكم الأبشار، وأنها نورٌ، ولكن بمباشرتها للجنس البشري وقع عليها اسم البشر وهي بخلاف ما نظروها الأنام وفوق ما تُحصّله الأوهام، وإن مظهرها للوجود

ليس هو نوعين ظاهراً وباطناً ولكنه نوعٌ واحدٌ لم يتجزأ ولم يتقسّم ولم يتبعّض ولم يتجسّم، وهذا الرجل فقد جعل الباري نوعين: نوعاً ظاهراً ونوعاً باطناً، تعالى الله عن التنوع والتجزؤ، ثم قال:

/وجميع الخلق عاجزون عن معرفة ظاهره في الصورة المرئية/.

فأثبت أن له ظاهراً وباطناً، وأن الصورة المرئية هي ظاهره، وأن الباطن غيرها وذلك خلافاً لقوله تعالى: هو الأول والآخر والباطن والظاهر... ثم قال:

/ وسأضرب لك في ذلك مثلاً ، لقوله تعالى: ويضرب الله الأمثال للناس لعلّهم يتفكرون... وهو إذا غضب الحاكم على رجلٍ وحبسه وتركه في ظلمات السجن وحجبه عنه فهل يستطيع المسجون النظر إلى من سجنه حتى يُوفي ما عليه من الدَّين أو من الجُرم، ويرضى ساجنه عنه ويأمر بطلقه، وتأخذه القوّاد إلى عند أستاذه فيشاهده بعد الرّضى ولو سجنه في مكان يراه كان المسجون يتوسل إليه ويغلظ في القسم عليه ولا كان يرى له هيبةً ولا يرهق وكان المسجون يخلص منه بالتوبة والمعذرة، فقل للذين يزعمون أنهم يرونه ويطلبون منه خلاصهم من سجونهم التي هم فيها فتباً لهم ما أضلَّ عقوله../.

فأقول: أما هذا الرجل المتردد في حافرة أهل الضلال، السالك على جادة الوبال والنكال، المتبرع بضرب الأمثال، المتشبّه بمولاه برب هذا المثل القياس عند قوله ويضرب الله الأمثال للناس، تراه ينسب أحكام الملِك الحق المبين الرؤوف بعباده القوي الأمين، إلى أحكام الجبابرة المتكبرين الجهلة الظالمين الذين لا يُنصفون الرعيّة ولا يعدلون بالقضية، فإذا أجبناه على حسب قوله ومراده ، ورأيه واعتقاده بأن هذه الدنيا هي سجن الأرواح التي وقع منها الخلاف في البدا والتوقف عن الندا وذلك حين التحقيق، ولكن لا يجوز في حكمة الحكيم العادل صاحب العدل الشامل أن يمنع خلقه من رؤيته أو يحتجب عن بريته، وإذا كان المسجون لا يرى ساجنه على ما قرر في هذا المثل بزعمه أن المخلوق لا يرى خالقه ، ففي أي وقتٍ كان الظهور للبشر كهم في السبعة الذاتية التي تقدم ذكرها، وإذا لم يكن ظهورٌ ووجودٌ فبأي شيءٍ عرفوه عباده؟ أما يستحي من هذه الأمثال الداعية إلى العمى والضلال ، وما كفاه جحود المظهر العلوي المتجلي للملائكة الكرام بالمُهِلّ المبدر المقمر حتى جحد المظهر الظلي المتجلي في السبعة الذاتية والأسامي المثالية، وقد سبق قوله وتقريره بإثبات وجوده تعالى للبشر بأبٍ وأمٍّ

وأزواجٍ وأولادٍ، ثم يقول: إنه لا يرى ثم يشبّه الملك المتكبّر بالظالم المتجبِّر، أين هو عن قول العالم في كتاب الأسوس حين قال له السائل: خبرني هل لله مثلٌ؟ قال العالِم: إذا كان له مثلٌ فهو هو وقول الرسول عليه السلام في الحديث الشريف: ضعوا على المآذن صورة الهلال فإنها تضاهي صورة الرب العلي المتعال. وما علم أنه اثبت نفسه من المغضوبين في هذا المثل الذي ضربه بعدم رؤية مولاه، فغضب عليه لذلك، وتركه مأسور في قرية حاصور، لا يستطيع الإقرار برؤية ساجنه ليتلطف له بالمعاذير، ويطلب منه خلاصه من هذا السجن المظلم الضيق والمكان المزعج الميِّق والقميص الموهن التَّيِق، وما آراه يشتهي ذلك إلا خوف النقلة إلى ما هو أظلم وأضيق وأنتن وأمتق ثم قال عقيب هذا المثل:

/فقل للذين يزعمون أنهم يرونه ويطلبون منه خلاصهم من سجونهم هذه التي هم فيها، فتباً لهم ما أقلّ عقوله.../. فأقول: أما علِم هذا الخسيس أن إبليس اللعين الذي هو أعظم الخلائق ذنوباً وأوزاراً وأشدهم عتواً واستكباراً ، وجحوداً وإنكاراً، وظلمةً وأكداراً، كان يشاهد المولى ويخاطبه شفاهاً ويحاوره مفتخراً على آدم: أنا خيرٌ منه حلقتني من نارٍ، وخلقته من طينٍ. ومثل قوله:

فبعزّتك لأغوينهم أجمعين. ثم استثنى فقال: إلا عبادم منهم المخلصين. فأجابه الحق تعالى على قوله: فالحق والحق أقول للا فلأن جهنم منك وممن تبعك منهم احمعين. وقوله تعالى: إلا عبادي ليس لك عليهم من سلطان. ومثل قوله تعالى: واجلب عليهم بخيلك ورجلِك وشاركهم في الأموال والأولاد.وقد قدمنا أن الخطاب بالكاف لا يكون إلا لمواجهٍ معاينٍ حاضرٍ، فجميع هذه المحاورة دالةٌ على أنه يراه ويراجعه بالقول والخطاب شفاهاً، فإذا كان بدوره من ظلمة الظلمة التي هي أصل مراجعة المؤمنين واعتراضهم، وقد رأى المولى وشاهده، فكيف حال هذا الرجل الذي جحد الرؤية وفاق إبليس بالإنكار، وأيضاً إذا كان قد ثبت أن إبليس كان يرى المولى ، ويشاهده وأباح ذلك له فيما تبين من نُطق القرآن الكريم، فكيف يُحجب المؤمن العارف عن رؤيته، والعالِم لما سمّي عارفاً إلا لأنه عرف الظهور كاملاً، وحقق الوجود باقياً فشهد بما رأى وعلِم وحقق ما وجد وفهم، وإذا كان العبد لا يرى باريه ليطلب منه الخلاص من سجنه وغفران ذنوبه عند إظهار التوبة والإنابة له، فمِن من يطلب الغفران والخلاص؟ وقد قال الله تعالى: ما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدونِ. معناه ليعرفوني. ومما رواه جلال الدين المعمار الصوفي قدس الله

روحه في كتاب التقويم وهو قوله:

اعلم أنار الله برهانك أن الغاية المعبودة إذا كانت عند المحجوبين ممدوحةً بصفات الغيب ، فهي عند أهل الكشف ممدحةٌ بصفات الوجود والعيان، إذ العيان أثبت وأولى بالعبادة والمدح، وأوكد في التحقيق، وأنه من عبد ما لا يُرى لم يعبد شيئاً، ومن عبد مجهولاً وقع على مجهولٍ، ومن عبد غائباً لا يعرفه لم تتميز عبادته ثواباً ولم يُحدث تقصيره عقاباً، إذ معبوده لا حقيقة له ولا هو شيئاً، ثم قال هذا الهائم عن قول مولانا منه السلام: فلا سبيل إلى ذلك إلا بالبحث عن ذلك ، فقال:

/ ومن يقدر أن يفحص ويبحث ويحرص ويدرك كيف هو فسبحان من لا تراه العيون، ولا تدركه الأبصار والظنون، ولا تناله المنون، إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون.../.

فأقول:

إنه إذا كان مولانا منه السلام يقول: فلا سبيل إلى ذلك إلا بالبحث عنه أمراً

منه تعالى بالبحث عن المعرفة في تحصيل الرؤية، وأنها لا تحصل إلا بالبحث، فكيف يسوغ لهذا الرجل أن يراجع المولى؟ بقوله: / فمن يقدر أن يفحص ويبحث ويحرص/ وإذا كان لا

سبيل إلى البحث ولا يقدر المخلوق أن يبحث عن معرفة مولاه، فأية فائدةٍ في تحريض الموالى منهم السلام لتابعيهم ومواليهم على طلب العلم والظَّمأ إليه، والتلهف عليه، والحث على المعرفة؟ وأيضاً إذا كان العالِم بعد اجتهاده بالعلم والمعرفة لا يرى باريه ولا يعرفه موجوداً، فأيّ شيءٍ حاز من العلم؟ وأيّ شيءٍ بلغ من المعرفة؟ وأي فرقٍ بينه وبين الجاهل؟ ولأي شيءٍ فضّل الله العلماء وميّزهم ومدحهم بقوله تعالى: لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون. وقال تعالى: ومن يؤتَ الحكمة فقد أوتيَ خيراً كثيراً... فالحكمة هي المعرفة، وآيٌ في القرآن كثيرٌ تنطق بمدح العلم وتفصح عن فضيلة العلماء ولا سيما أقاويل الموالي ومن تبعهم من كل والٍ، ولو ذهبنا إلى شرح اليسير من ذلك لكان في نفسه كتاباً، ثم نعود إلى ذكر بعض ما شطَّر ونمّق هذا الجاهل المتملق، المكذّب لما صُدِّق.

ومع ذلك فإن رأيت الاختصار مما زخرف أجمل وأليق، كونه وقتاً يثبت وجود الباري تعالى في الصورة البشرية، ويُنكر وجوده في الصورة النورانية، ووقتاً يُنكر الجميع، ويحول إلى الغيب المنيع الذي لا يُرى ولا يوجد، هذا مآل كلامه، وأكثر المراجعة والترداد في ذلك، وحيث اشتهر في عبادة الغيب مقامه، وانقضت على

هذه المقالة أيامه وشهوره وأعوامه، حتى تزلزلت أقدامه، وتكاثرت أسقامه، وذاق حمامه، تقاصرت عن كثيرٍ مما تكلف من الزخارف، لأكون منه بمثابة أهل الحلم والوقار عن أهل التجاهل والاحتقار، ولكني أذكر بع مواضع الأغراض التي سطّرها والإشارات التي حبّرها، البعيدة من المسلك الأصلي، فأقابلها بنقضها وأعتمد على دحضها كيلا يرتاب بها الذين لم يبلغوا أشدَّهم في مراتب المكاشفة بالعلوم الحقيقية والمناهج الأصلية في مسلك هذه الطريقة الخصيبية والفرقة الناجية ثم تدرج هذا الرجل الأسمج في تفسير القداس المذكور بقولٍ متطاولٍ شائراً فيه بأن ليس للباري تعالى في سائر الأكوار والأدوار، ظهورٌ ولا وجودٌ غير ظهوره بالصورة الأنزعية البشرية فقط، وجميع ظهوره وبطونه فيها أبداً لا يتغير إلى أن قال: /هذا هو الظهور لا كما يزعم قليل العقل وخسيف الرأي أنه يظهر بصورة بشرية وله صورةٌ غيرها نورانية يظهر بها، ولم يقنعهم ظهوره بالصورة الأنزعية التي يعجز عن إدراكها سائر البرية، بل يزعمون أنهم يرونه بالصورة النورانية الباطنة الخفية، وكل هذا باطلٌ ومُحالٌ عند أهل الوحيد، وهم يجعلونه اثنين، وهو أحدٌ فردٌ من سائر الوجوه.../.

فأقول وبالله التوفيق: إن الباري تعالى (بإجماع سائر الموحِّدة) هو جزءٌ أصمّ لا يتجزّأ ولا يتبعّض بل هو أحدٌ من جميع الجهات، والتعدد والتقلب في عيون الناظرين إليه، لا فيه، وقد تقدم القول أن الاسم والباب واليتيم وسائر العوالم العُلوية كلٌّ يراه على قدر لطافته وعلوِّ رتبته، وكذلك العالم البشري، كلٌّ يراه على قدر معرفته فلهذا قيل إنه متعددٌ بحسب تعدد الموجودات، وذلك لاختلاف منازل السالكين طريق المعرفة. وقد ورد خبرٌ أنه في بعض الغزوات كان عسكر المشركين تسعين ألف شخصٍ، فتشخّص على عدد القوم، فكان المقتول يراه أنه قاتله، والمهزوم يراه أنه هو هزمه، والمجروح يراه أنه هو جرحه، ولا رجلٌ منهم إلا وهو يراه منتقم عليه، والخبر بطوله، فإذا كان في وقتٍ واحد أورى العباد نفسه في تسعين ألف صورةٍ فكيف لا يجوز أن يورينا في وقتٍ واحدٍ، صورتين نورانية وبشرية، إذ هو القادر الذي لا يعجز ، والباطن الذي لا يتحيّز، وسيأتي الكلام على ذلك في الباب الثاني إن شاء الله تعالى. ثم قال:

/فإذا فهمت وعلمت منزلة الباب وارتقيتَ إلى معرفة الحجاب وعلمت أن الباب من نور الحجاب. والحجاب من نور الذات العزيز الوهّاب. ونزّهته عن الصفات والنعوت من سائر الجهات،

فتكون ممن أرشدته الأسباب إلى معفرة رب الأرباب وهو الذي في السماء إله، وفي الأرض إله، وقد قال السيد الرسول: وهو في السماء إله وفي الأرض إمام، وهو الذي لا يحول ولا يزول ولا تغيّره الدهور، وهو العليّ العظيم.../. فأقول:

فيا ليت شعري، لمن يعني هذا الهائم بقوله هذا؟ / وهو الذي في السماء إله/ ففي أي وقت ظهر في هذه السماء بصورةٍ بشرية حتى يشير إليه بها. مع أنه قد منع أن يكون للباري وجودٌ في ظهوره وبطونه بغير الصورة البشرية التي أوجدت الظهور والعيان كصفة الإنسان، وأجاز مع خسف عقله أن الملائكة الكرام لا يرونه إلا كما رأيناه بشرياً آكلاً شارباً، فتباً لقائل هذا القول ومدّعيه، و نفى عليه وعلى من ينتمي إليه، والحمد لله ملهِم العرفان أهله، وملحق الحرمان بأهله ، وله الشكر على إحسانه وفضله.

الباب الثاني

في إثبات وجود الذات في سمواته وأرضه بالشواهد المحكمة. والأسانيد المبرمة، رداً على هذا الرجل المتكلم بما تخيل له من قياس عقله.

فأقول وبالله القوة والحول إنه لما تناهى فيما تغلغل إليه،

وتجلبب به وتسربل فيه من الهذيان الذي سطّره في الباب الأول، وترسَّل نحوه من البهتان الذي عليه عوّل ، فقال الباب الثاني: /فيمن يجعل الباري تعالى شيئاً من هذه الأنوار الموجودات أو الآيات الظاهرات لقوله تعالى: ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا للذي خلقهنَّ... وفيمن يجعل السماء معنىً، فتعالى الله عما يشركون ، وقصته مع خصيمه إلى آخرها.../. فأقول:

وإني مستعيذٌ بالله من فساد ما طفق فيه من التردد بالقول مع عدم فرقه بين العارف والجهول، فأما هذه الآية التي من جملة التلبيس المشتبه عليه وعلى أمثاله، وأقرانه وأشكاله، فقد أتى بها في ثلاثة مواضع من كتابه الذي ألّفه وهي قوله تعالى: ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر، فالليل والنهار مثلاً على الغيبة والظهور، لقوله تعالى: والليل وما وسق: يعني ما جمع من لون البياض، والقمر إذا اتسق، يعني إذا استرجع ما جمع منه الليل من النور، عند الزيادة وهي الكمال... وأما الشمس والقمر اللذان هما من آياته فهما شمس إبراهيم وقمره اللذان رآهما ليلاً، ثم استثنى على سبيل الرمز فقال: لا تسجدوا للشمس ولا للقمر، فالشمس الثانية هي رئيس درجة الشموس

التي هي خامس درجة من مرتبة الأبواب، والقمر الذي ثنّى به في هذا الموضع، فهو رئيس درجة الأقمار، وهي ثالث درجة من مرتبة الأيتام، فلهذا قال تعالى: لا تسجدوا للشمس ولا للقمر نهياً عن عبادة المخلوق، ورمزاً في تعليم السلوك وليس يعني هذين النيّرين اللذين قال الله تعالى فيهما أنهما من آياته وقال فيهما أيضاً:

لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر، يعني لا ينبغي للرسول أن يُدرك المرسل، ولا الليل سابق النهار، في استيلائه على ما جمع من لون البياض، ولو أن الشمس والقمر والذي ذكرهما أولاً أنهما من آياته هما الشمس والقمر اللذين ذكرهما آخراً، ونهى عن السجود لهما لما استجاز أن يثني بذكرهما بل كان اكتفى بقوله تعالى: ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا ستجدوا لهما بل إنما ذكره للشمس والقمر اللذين هما رؤوس هاتين الدرجتين رمزاً وتحجباً لأن ليس في كتاب الله استعارةٌ ولا استثناءٌ فثبت بهذا أن الشمس والقمر الأولين هما ظهوراته، والشمس والقمر اللذين ثنّى بهما هما عبيدٌ مربوبون لا يجوز السجود لهما، وأما السماء فقد مرّ القول عليها في الباب الأول بأنها مكوّنةٌ مبنيةٌ وهي الباب الأعظم وهي مجمع العالَمين ومن

لحِق بهم من المؤمنين. وأما قوله وقصته مع خصميه يعني بذلك الشيخ معلا وجملة علماء بلاد صافيتا الذين كانوا في عصره ولكنه أتى بالقصة على مراده ونمّقها بتزكية نفسه، وقابل الصدق بعكسه فجعل المقهور منتصراً، والمجبور منكسراً، والكبير محتقراً، وسيأتي ذكر ذلك في موضعه من هذا الباب بمشيئة الملك الوهاب. ثم تكلم هذا الحائر المسكين بذكر المعاجز والبراهين التي أظهرها مولانا العين جلّ ذكره ، ظناً منه وتخمين بأن ليس لمولانا ظهور ولا وجود غي رالوجود البشري فقط، فأت بذكر أشياء من المعجزات والنطق المسموع من مولانا جلّ ذكره ليُثبت بذلك جحده وما ادعاه من خطله وشقاه في عدم الوجود المشرق لكون الملائكة الكرام، فقال:

/ وقد قال أمير المؤمنين منه السلام، على منابر عظمته جهارٌ للخاص والعام: أنا رفعت سماءها وحبكت حبكها، وأنرت شمسها وقمرها، وسطحت أرضها، وأرسيت جبالها ، وأنبتّ أشجارها، وأينعتُ أثمارها، وأجريت أنهارها... وهو زاهرٌ شفاهاً بصورته الذاتية الأنزعية التي بدت منها المعاجز والقدر سماوية وأرضية.../.

فأقول: ما أحين هذا القول لو أتى به كما روي عن الثقات في

هذه الخطبة المشهورة، ولكنه غيّره وبدّله حسب مراده، ولولا حوف الإطالة لأتينا به كما روي نقلاً عن الثقات، غنينا عن ذكره في هذا الموضع لاشتهاره... ثم قال هذا الرجل عن مولانا:
/وهو دحى باب خيبر وسوّاه جسراً، وقتل مرحب، وهزم الأحزاب، وأحيا أحبار اليهود، وكلّم الجماجم النخِرة فتكلمت، وكلّمه الخروف المدسوس والفرخان الحمام ، وإحياؤه أصحاب لكهف ، فردوا سلامه، وعلمه بغائص الأرحام، وعلم الأشياء الخمسة التي تفرد بها. وبيّن أحكامها وأشهرها ، وقتل عمرو بن ود، وأخبار الصفّينيات جميعها. وخبر الدّهقان، وأخذه العمائم، وتكليمه الجري والحيتان وخبّر بما كان وما يكون وما هو كائن إلى آخر الدهر، وفتحه مكة ، وقوله فيها: إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً، وفتح البصرة، وقتله الخوارج المارقين.../.
ثم مرّ في ذكر هذه الأفعال والمعاجز السماوية والأرضية التي أجمع على صحتها الجمهور ولا يُنكرها إلا فاسقٌ كفور، وهي عندنا مشهورة، وفي كتبنا مسطورة، وعن ساداتنا وأسلافنا مأثورة، فأقررنا بها وبربوبية مظهرها لعلمنا بصدقهم في ما أوردوه من كشف أشعة أنوار التوحيد، وما استشهدوا به من إثبات وجود العزيز الحميد، إلى أن قال:

/ وورد سلمان والمقداد إلى داره، فخرجت إليهم فضة، وسؤالهم لها عن أمير المؤمنين. وقولها لهم: تقول لكم مولاتي فاطمة أنه صعد إلى السماء بين عباده يقضي ويمضي، وجلوسهم على الباب قليلاً، وإذا بأمير المؤمنين منه الرحمة هابطٌ على السحاب وبيده ذو الفقار يقطر دماً، وقول سلمان له: يا مولاي ما لذور الفقار يقطر دماً؟ فقال له: قد أنكرت وتناكرت طوائف من الملائكة في الملأ الأعلى فطهّرتهم بسيفي هذا.../. فأقول:

أما هذا الخبر إذا حُمل على ظاهره كان فيه فسادٌ من وجهين: أحدهما أن الملائكة لم يُطلق عليها اسم النكران والتناكر لأنهم منّزهون عن السهو والغلط والنسيان والغواية والعصيان. والوجه الثاني أن الملائكة جواهر بسيطة نورانية شفافة درّاكة ليس لهم تركيب كتركيب الأجسام اللحمية وإذا كان ذلك فمن أين لهم دم؟ وإذا كان لهم دمٌ فلا بد لهم من لحمٍ وعظمٍ وعروقٍ وشعرٍ وأكلٍ وشرب.

وإذا كان ذلك فأيّ فرقٍ بينهم وبين ذوات الأجسام الكثيفة الكدرة، وبالإجماع إن الملائكة ليس لهم طعام ولا شراب إلا التقديس لباريهم والتسبيح له، وما أرى هذا الإنكار والتناكر إلا من أمثال هذا الرجل وأقرانه وأتباعه وأعوانه وشياطينه وأخدانه ومن جرى

مجراه من المتشبهين الحائرين المنكرين، والشاهد بذلك ما رواه الشاب الثقة أبو سعيد ميمون قدّس الله سرّه المكنون في كتاب مجموع الأعياد، قال: سألت الشيخ الثقة أبا الحسين محمد بن علي الجليّ قدّس الله روحه، فقال: رويت عن الشيخ أبي عبد الله رفع الله درجته أنه قال: إن فريقاً من الذين أنكروا النداء مسخهم الله ضفادع، وأسكنهم في بحر الهواء في السماء الدنيا التي ينزل منها الماء وهم يهبطون إلى الأرض وينقُّون ، وذلك النقيق بحسب ما كانوا ألفوه من التسبيح، وقد ذكر ذلك السيد أبو عبد الله أيضاً في بعض قصائده بقوله:

"ثم الأملاك بعد ذلك ضلّوا وثَووا في الحضيضِ والتقصيرِ"

"فبلاهم بالتعّس والنّكسِ سخطاً ممسخين ضفادعاً في البحور"

"في بحار الهواء حطوا حطيطياً في هطيلٍ وسائلٍ ومطيرِ"

"وهم ينزلون في كل يومٍ في مسيلٍ وهاطلٍ وقطير"

"وينقّون فوق ظهر بلاد اللهِ إلفُ التَّسبيحِ والتكبير"

"كلّ هذا بجحدهم مُظهر العجزِ وذا قدرةٍ بغيرِ حصورِ"

قال: فقلت له: كيف يُمسخ من هو في العلوّ؟ فقال: هؤلاء يجرون مجرى الملائكة التي أنكرت وتناكرت من العالم البشري مثل الإسحاقية والشريعية والحسكية والحلاّجية ومن شاكلهم من أهل الارتفاع الذين كانت معهم المعرفة مستعارة مستودعة، وأما الملائكة الذين في الملأ الأعلى الكبير فإنهم لا يختلفون، وإن الاختلاف فهو في تلك الطوائف المذكورة، والذمّ واقعٌ بهم وعليهم.

ونرجع إلى ما ذكره هذا الرجل المتحيّر من ذكر البراهين والقدر، عن خبر الخيط وتحريكه، وخبّر الحصاة التي لحبّابة، وخبر سلمان الفارسي ووثوبهم عليه يوم السقيفة، وعركوا عنقه كعرك الأديم العكاظي، وخروجه إلى الجبّانة ، وشكواه لمولاه وقوله له: أحزنكَ وثوبهم عليك يا سلمان، وقول سلمان: يا مولاي ما حزني إلا فيك، ولا فرحي إلا فيك ثم إنه مد يده اليمنى ، وقبض على أعنّة السموات السبع ومد يده اليسرى وقبض على أزمّة الأرضين السبع، وأراد أن يطبقها على بعضها ويجعل أعلاها أسفلها، وأسفلها أعلاها، ويدمرها جميعاً، ولو شاء لفعل كما فعل بقومِ عادٍ وثمودٍ وأصحاب الرسِّ وغيرهم من الأمم السالفة، وقول سلمان له: لا تفعل يا مولاي فمنك العفو، ما هذا يوم القيامة،

ولا يوم الطامّة، ولا يوم تمور السماء مَوراً، ولا يوم عبوسٍ قمطريرٍ، ولا يوم تبدل الأرض غير الأرض، وقوله لسلمان كم تشهد لي بهذه القدرة، فقال سلمان: أشهدها مراراً كثيرة لا يُحصيها عدداً غيرك قبل أن تكون سماءٌ مبنية ولا شمسٌ مضيّة، ولا قمرٌ ولا ريحٌ تذري ولا فلكٌ يجري ولا كوكب دريّ، وقبل سائر الأكوان، فلك المشيئة تفعل ما تشاء وأنت على كل شيءٍ قدير.../. فأقول:

فأما هذا الخبر، فقد غيّر فيه وبدّل على هواه، وهو مشهورٌ في كثير من كتب أهل التوحيد، ونحن نورد منه ما يقتضي إيراده في هذا الموضع على سبيل الاختصار وهو الخبر المعروف بخبر الأعنّة مرفوعاً إلى سلمان الفارسي عليه السلام...

قال سلمان: لمّا عكف الناس على مبايعة العجل وبايعوه يوم السقيفة، تكلمت وخطبتُ وقلت بالفارسية كردي وبكردي وحق أمير المؤمنين ببردي، فوثبوا إليّ القوم بأجمعهم وعركوا عنقي عرك الأديم العكاظي، فخرجتُ إلى الجبّانة أريد أن أشكو ما نزل إلى مولاي أمير المؤمنين، فتبعني مولاي الحسن والحسين والمقداد، فوقفت بين يدي مولاي منه الرحمة: فقال لي: يا سلمان ،آحزنك وثوبهم عليك؟ فقلت: يا مولاي ليس حزني إلا

فيك، ولا فرحي إلا فيك، فمد يده اليمنى إلى السماء فقبض على أعنّتها، ومدّ يده اليسرة إلى الأرض وقبض على أعنّتها، فلم يبق بين السماء والأرض إلا قاب طولنا، فظننت أنه قد بدّل الأرض غير الأرض والسماوات بغيرها، ورأيت السماء قد طويت وأن خلقه قد برزوا إليه. ثم قال لي: يا سلمان كم تذكر لي مثل هذه القدرة في الأمم السالفة! فقلت: يا مولاي أذكرها عدةً لا أحصيها إلا من علمك وقد علمت أن هذا اليوم ليس هو يوم الآزفة إلا أن تشاء فلك البدا والمشيئة، فأطلق أعنّة السماء والأرض من يده، وأعادها إلى موضعيهما وحالتيهما الأولى. ثم قال لي: يا سلمان، منذ كم تذكرني؟ فقلت يا مولاي أذكرك ولا أرض ولا سماء ولا زمان من الأزمنة الغابرة. وأنت أحدٌ في احديتك. فردٌ في أزليتك، صمدٌ، أزلٌ، لا شيء معك، ثم شئت فاخترعت الشيء فهو اسمك وحجابك ونفسك المحذِّرة وعينك الناظرة وأذنك السامعة ولسانك الناطق، والجنب والجانب والعرش الذي عرّشته على جميع من في فلكك، وألقيت إليه إقليده، وملّكته مقاليده بقدرتك ودبّرته بحكمتك فأنت المسمّي وهو الاسم، وهو الرسول وأنت المرسل، وهو المكان وأنت المكوِّن، وهو دونك وأنت فوقه، ثم خلقتني كما خلقته، وبدوتني كما بدوته، فكنت له كما هو لك،

فلا إله غيرك ولا باري سواك، أظهرته بالرسالة، وظهرت أنت بالوصية وأظهرني بالبابية وأمرني فأيتمت أيتاماً ونقبت نقباء وأنجبتُ نجباء واختصيت المختصين وأخلصت المخلصين وامتحنت الممتحنين، فصلني بأهل معرفتك وخزانة مكنون حكمتك المظهرين لسلطانك بما ملّكتهم من قدرتك. وما منّا إلا له مقامٌ معلوم، وإنا لنحن الصافّون، وإنا لنحن المسبّحون، ونحن حزبك الغالبون وجندك الأعلون، وأنت احدٌ أبداً، واسمك واحدٌ أبداً، وبابك وحدانيةٌ أبدا، وأيتامك خمسةٌ أبداً، ونقباؤك اثنا عشر أبداً، ونجباؤك ثمانية وعشرون أبداً، والمختصين والمخلصين والممتحنين تمام الخمسة آلاف نحن وهم أشخاص لكل ما خلقت من سماءٍ مبنيةٍ وأرضٍ مدحيةٍ وشمسٍ وقمرٍ وليلٍ ونهارٍ وفلكٍ دوّار، وهواءٍ وسحابٍ ورياحٍ ومطرٍ، وبقاعٍ محمودة وشرابٍ مسكوب، وأجنادٍ مجنّدة وأبنيةٍ مرضيّةٍ ، ونباتٍ محمودٍ، وطيبٍ مدخورٍ، وما شاكل ذلك، وجعلت أضدادك وأتباعهم من الخلق المنكوس أشخاصاً لكل ظلمةٍ وطاغيةٍ من الخلق جميعا وما شاكلهم من القبائح والخبائث والعكر والكدر والنجاسات والأرجاس وقدّت الأشياء أبياتاً ومعادن مثلاً بمثلٍ ، سواءً بسواء، بدوام ملكك، وبقاء خلقك، فشقيٌّ وسعيدٌ إلى الرجعة

البيضاء والكرَّة الزهراء وكشف الغطاء وجلاء العمى ثم القصاص والعدل واستيفاء الحقوق والمجازاة ودور الملك ودوامه ونفوذ مشيئتك فيه عدلاً وحقاً وصدقاً، ثم علم ما وراء ذلك فهو إليك وعلينا الرضى بك والتسليم لك ، ثم خررتُ ساجداً...

فقال لي مولاي أمير المؤمنين منه الرحمة: ويلهم يا سلمان لقد سمعوا علم ما قد قلت وأنى لهم بسماعه وقد أ'لنت لهم به وناديت به في القدم فاستكبروا استكباراً مبيناً، وضلّوا ضلالاً بعيداً، وقد جعلت إلى اسمي وحجابي حسابهم ومآربهم فحسبهم به وحسبي عليهم وكيلاً... هكذا روي في هذا الخبر في نسخة الأصل، عمّن هم أهله ورجاله، لا كما قرر هذا الرجل بقوله / إنه أراد أن يُطبق السماء على الأرض ويفعل بها وبأهلها كما فعل بقوم عادٍ وثمودٍ/ . فيا ليت علمي، على أي ذنبٍ لهذه السماء وأهلها حتى يريهم ما فعل بهؤلاء العصاة الذين استكبروا وتمردوا وخالفوا أنبياءهم ، وارتكبوا المعاصي ، وأتوا الجرائم، ومن ذا الذي منعه من مراده، لحَّق الله قائل ذلك بأصحاب الرسِّ وعادٍ وثمود. ثم ذهب هذا الرجل متكلماً بما أظهر السيد الرسول عليه السلام من التصريح بمعنوية مولانا العين علينا سلامه ، وهو قوله:

/ ولما نزلت آية العصمة بقوله تعالى: يا ايها الرسول بلِّغ ما أنزل إليك من ربّك وإن لم تفعل ما بلّغت رسالته وأنت غير نذيرٍ، والله يعصمك من الناس...

فلمّا نزلت هذه الآية عليه، أمر في وقوف من تقدم ، ولحوق من تأخر، واجتمع الناس في مكانٍ يسمى غدير خمّ، وهو ماءٌ مجتمعٌ، وأمر بجمع الأقتاب وهي سبعة أقتاب، وصعد رسول الله عليها وكان يوم الجمعة لثمانية عشر يوماً خلت من ذي الحجة، وقال: أيها الناس، ألم تعلموا أني رسول الله إليكم؟ فقالوا بأجمعهم: بلى يا رسول الله علِمنا وأيقنّا وصدقنا رسالتك، ونشهد بأنك رسول رب السموات والأرض، قال: ألم أبلغكم رسالات ربي الذي بعثني إليكم؟ قالوا: بلى. قال: ألم آمركم بما أمر الله به مما افترضه عليكم من الشهادة والتوحيد لله ربي وربكم والصلاة والزكاة والحج والصيام والجهاد في سبيل الله والولاية له؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: ألم أنهكم عما نهى الله عنه من القتل وأكل الحرام والرِبا والزّنى وشرب الخمر، وعقوق الوالدين وغيره من التحنّن على الفقراء والمساكين.

وإخوانكم المسلمين؟ قالوا : بلى، فعند ذلك قال: اللهم إني أشهدك وأشهد ملائكتك عليهم أني بلّغتهم رسالتك وأنت خير

الشاهدين، ثم قال: إن الله أمرني أن أقيم لكم علياً علماً، فقالوا بأجمعهم: افعل ما آمرك الله به، فحطّ يده اليمنى بيد علي ورفعها حتى بان بياض إبطيهما، وقال لهم: إن هذا علياً ابن عمي ووارث علمي. وقاضي ديني، والخليفة من بعدي، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله وخالفه ونأواه، ثم إنه خطب بالمسلمين خطبة الوداع وكان يوم الجمعة، ثم رقى عليّ كف رسول الله ورفعه حتى بان بياض إبطيه، وقال مصرِّحاً: هذا الذي أرسلني إليكم وهذا باعث النبيين والمرسلين وهذا خالق السموات والأرضين وهذا إلهكم وخالقكم ورازقكم ومميتكم ومحييكم وباعثكم وحاشركم وإليه مرجعكم وهو على كل شيء قدير...

فقام إليه سويد بن نوفل بن قيس الفهري، وقال بأعلى صوته: يا أيها الناس تعالوا إلى كلمةٍ سواءٍ بيني وبينكم ، هذا محمد بن كبشة، قال لنا: صلوا خمساً فصلينا، قال لنا، صوموا، فصمنا، قال: زكّوا ، فزكّينا، قال: حجّوا البيت، فحجينا. قال: جاهدوا بأموالكم وأنفسكم أعداء الله، فجاهدنا بين يديه حتى قاتلنا أهلنا وأقاربنا. ثم إنه بعد ذلك رفع ابن عمه علياً على رؤوس الأشهاد، وقال: هذا باعثني إليكم وربي وربّكم فاعبدوه، اللهم إن

كان محمدٌ كاذباً فيما ادّعاه أن تُنزِل عليه نقمتك. عاجلةً غير آجلةٍ حتى يكون آيةً لمن بعده! وإن كان محمد صادقاً في قوله، أن تُنزل نقمتك عليَّ عاجلةً غير آجلةٍ حتى أكون آيةً لمن بعدي إلى آخر الدهر... فقالت الجماعة: آمين! فركب ناقته وخرج من بين الناس إلى الأبطح ، فنزلت حجرٌ من السماء على رأسه فخرجت من دُبُره، وعجّل الله بروحه إلى النار وبئس القرار فصار آيةً لمن بعده... فأنزل الله تعالى هذه الآية فيه: سأل سائلٌ بعذابٍ واقعٍ للكافرين ليس له دافعٌ... فهذه البيعة الرابعة المشهورة بين الخاص والعام... فهل يا إخوتي تريدون أصدق من محمد صلى الله عليه وسلم رسولاً وقولاً وناصحاً لكم غيره، وهل لنا على إلهٍ غير عليّ أو اشار إلى غيره، لقمرٍ أو لشمسٍ أو لسماءٍ أو لفلكٍ أو لنهارٍ أو لليلٍ أو لبرقٍ أو لصنمٍ أو لوثنٍ؟ وهذا خبرٌ أشهره رسول الله للخاص والعام، من مؤالف ومخالف ولم يكن بعده إلا الرجعة البيضاء والكرّة الزهراء وكشف الغطار وظهور محمد بن الحسن صلوات الله عليه ورجاله عدّتهم ثلاثمئة وثلاثة عشر رجلاً، ويُحي الموتى جميعاً، ويحاسبهم على ما جنوه من ا'مالهم، وتحضر الأنفس الشحّ، ويظهر مولانا الأنزع البطين من عين الشمس، وتخشع له الأصوات، والاسم

محمد صلى الله عليه وآله، بين يديه، ينادي ويصرِّح كما نادى وصرّح في يوم الغدير، والباب سلمان.../. فأقول:

فأما هذا الخبر الذي أشهره السيد الرسول عليه السلام في يوم الغدير: فهو ظاهر قد أجمع على صحته كامل أهل القبلة من مؤالف ومخالف، واعتقدته كافة الموحِّدة وإشارتهم فيه مضمونها ينافي مضمون إشارة أهل الظاهر وسائر الشيعة وسبب إشهار السيد الرسول بهذه الدعوة في اليوم المذكور، أمرٌ من الله تعالى، كونهم تزايد شكّهم في مولانا، وأثبتوا عليه ما رأوه في أنفسهم من البشرية، فصرّح السيد الرسول عليه السلام مفصحاً بكلمة الإخلاص، وأخذ له البيعة عليهم بالولاية والإمامة لما أرد الغيبة، وذلك أنه ، صلى الله عليه وسلم، لما خطب بالناس يوم الغدير وأظهر ولاية أمير المؤمنين منه الرحمة ظاهراً وباطناً على رؤوس الأشهاد للخاص والعام كما أمره مولاه وباريه ومعناه، ثم مد يده للناس فجعل الناس يهرعون إليه أفواجاً يصفقون على يده فوجاً بع فوجٍ، ويد أمير المؤمنين فوق أيديهم وهو يتلو: إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بمن عاهد عليه فسيؤتيه أجراً عظيماً حتى أخذ الميثاق عليهم وما تركهم في غمَّةٍ، فقال وهم

يسمعون وينظرون: هذا ربكم فاعبدوه وهذا خالقكم فاعرفوه ، هذا باريكم قد دعاكم من نفسه إلى نفسه فأطيعوه ولا تنكثوا ، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه، ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله.. فقال عمر /لع/ بَخٍ، بخٍ، يا بن طالبٍ أصبحت مولاي ومولى المؤمنين! فقال الرسول عليه السلام: صدقت يا عمر، إن الله مولاكم فنِعمَ المولى ونعم النصير فهذا وأمثاله من خبر الفهري وخلافه تصريحٌ من السيد الرسول بمعنوية مولاه، وذلك لزيادة شكّهم في النور المتجلّي، فأثبت الحجة على المنكرين وأوضح المحجة للراشدين، فأهل الشك رأوا تصريحه أنه استخلفه فيهم إماماً بشرياً، وخليفةً في المسلمين وسمعوا قوله / من كنتُ مولاه فهذا عليٌّ مولاه/ . وأهل الباطن سمعوها من كنت ولاه فهذا عليٌّ معناه...

وهذا الرجل فقد زيَّد ونقَّص في هذه الأخبار المشهورة في يوم الغدير وغيره التي رواها الشاب الثقة في مجموع الأعياد غنينا عن إيرادها ههنا في هذا الموضع وأما قول هذا الرجل أيضاً يعنينا بذلك:

/فهل تريدون أصدق من محمد رسولاً؟ وهل دلّنا على إلهٍ غير عليّ؟ وهل أشار إلى غيره: لقمرٍ أو لشمسٍ أو لسماءٍ أو لفلكٍ

أو لنهارٍ أو لليلٍ أو لبرقٍ أو لرعدٍ أو لصنمٍ أو لوثنٍ.../. فأقول: أما نحن فبحوله تعالى من المصدقين المقرّين المعترفين بما صرّح به السيد الرسول عليه السلام بمعنوية مولاه العين منه الرحمة ونثبت وجوده في الحالين، ونقرُّ بتوحيده في الوجودين إقراراً بما عرّض به في الذكر الحكيم تعريضاً، ودلّنا عليه من كلامه تلويحاً، ثم صرّح به في خطابه تصريحاً ، فالعاقل يكتفي بالتلويح، والجاهل لا ينتفع بالتصريح، ودليل ذلك ما ورد في ليلة الإسراء أنه قال/ صلى الله عليه وسلم/ صبِحتَ ليلة أسرى بي فرأيت ربي بصورة الشاب المؤنق الأمرد، بنعلين من ذهب وشعره قطَطٌ أجعد، وقال الله تعالى: سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله... فدلّ من قوله تعالى، ومن كلام نبيّه أن المعراج كان ليلاً ولم يكن نهاراً، وقد سئل عليه السلام عن رؤية ربّه ليلة معراجه، فقال: ما رأيته هناك إلا كما رأيه ههنا، وما رأيته ههنا إلا كما رأيته هناك، دليلاً على أنه لا تختلف عليه رؤية ربه في الوجودين: النوري والبشري وأنه أحدٌ لا يتغير، فقيل له: كيف رأيته يا رسول الله؟ قال: بصورة الشاب المؤنّق قيل: وما المؤنَّق يا رسول الله؟ قال: ابن الأربعة عشر، جالساً على كرسيٍّ من

ذهب وإلى جانبه فراشٌ من ذهب، فخاطبني بلسان عليٍّ.

فهذا وأمثاله من دلائل النبي عليه السلام على وجود مولاه في الكون النوري والبشري، وأنه رآه ليلاً ونهاراً، لقوله تعالى: إن ناشئة الليل هي أشد وطأً وأقوَم قيلاً إن لك في النهار سبحاً طويلاً... ومما ورد في كتاب الصراط عن مولانا الصادق منه الرحمة وهو قوله: اعلم يا مفضل إن النجوم في الليل تسير سير القمر وتضيء دونه إذا حلّ معها، فإذا غاب القاف عنها ضاءت الضياء الذي يبهر لمن يراه، فذلك ضوءها في ذاتها، وإذا ظهر القاف معها كانت تضيء دونه لأن له منزلةً في خدمته لا يحلّها سواه، فظهوره أول الشهر هلالاً ثم يزيد إلى أن يتكامل في ليلة اربع عشرة، ثم ينقص ويضعف إلى أن يغيب في آخر الشهر، وذلك إشارة إلى العالم بأن المعنى عزّ عزّه حال ظهوره للبشر يُظهر الصغر والطفولية والزيادة إلى الكمال والقوة ثم يُظهر النقصان إلى الكِبر والضعف، وهذا كله امتحانٌ للعالَم في سائر الأوقات، فظهور القاف كظهور أمير المؤمنين، غيبته كغيبته، وقد قال المولى الصادق أيضاً: إن مثَل أمير المؤمنين عند الجاهلين كمثل القمر يزيد وينقص، وعند العارفين بخلاف ذلك يعني لا زيادة فيه ولا نقصان بل العلة في الناظر لا في المنظور

إليه، ومثله أيضاً قوله في كتاب الحجب والأنوار: أنه مثل القرص كذاته، ومثل الشعاع كحجابه، ومثل الهلال في الزيادة والنقصان كمثل أمير المؤمنين. وقال أيضاً محمد بن سنان في نفس هذا الكتاب: وقد رأينا المعنى تعالى أظهر في الأرض الحمل والولادة والتربية والنشوء والعجز والمُعجِز ، وكل ذلك قدرةٌ، لأن العجز من القادر قدرة. ثم قال: فقلت سيدي تخبرني عن الظهورات بالنورانية، فقال: هي محنةٌ امتحن بها خلقه، وأما الهلال فلا يزيد ولا ينقص وإنما تراه على مقدارك، والشك فيك لا فيه.

ومما روي عن أصحاب الحال من أهل الظاهر، إن الله سبحانه وتعالى يتجلّى في ليلة النصف من شعبان، وذلك من غروب شمسها إلى طلوع فجرها.

ورواه بعضهم أن الله يتجلى في الليل ثم ينادي: أين المدَّعون محبّتي في النهار؟ أليس كل محبٍّ يحب الخلوة مع حبيبه؟ فها أنا متجلي على أحبابي أشاهدهم ويشاهدونني، غداً أقرّ أعينهم برؤيتي.

فإذا كان أهل العمى والضلال يثبتون له التجلي في الليل والمشاهدة لمحبيه فقد يكون التجلي عند أهل الحقيقة أثبت

وأولى بالمشاهدة والعيان.

أما يقنع هذا الجاهل بهذه الدلائل والشواهد التي هي من قول الله تعالى، ومن كلام رسوله وكلام الموالي منهم السلام، استشهاداً على إثبات ما أنكر من وجود الملك المقتدر مما فيه جلاءٌ وهدىً وتبصرةٌ لمن تبصر واهتدى. وجميع الشواهد الأصلية والروايات الحقيقية تعبّر عن تجليه بالصورتين وإن كان له سبق الوجودين، ولكنه من عدله وإنصافه، ورفقه وألطافه تلطف للعالَم العلوي النوراني بصورةٍ نورانية علويةٍ تشاكل ذواتهم، وصفة تضاهي صفاتهم وهيئةٍ تماثل هيئاتهم حتى ظنوا أنه منهم، فأوجدهم القدر والآيات والبراهين والدلالات، فعلموا أنه مبديهم ، ومبدعهم ومنشيهم، وأظهر للعالم الجنسي البشري بهيئةٍ بشريةٍ، بأبٍ وأمٍ وأزواج وأولادٍ وما شاكل ذلك، وأظهر جميع ما يجري على البشر من العجز والغلبة وغير ذلك حتى ظنوا أنه منهم ويجري عليه ما يجري عليهم ثم أظهر المعاجز والبراهين والقدر والتمكين، واشار إلى ذاته بأنه هو القوي الأمين، ودل عليه اسمه وحجابه بالتصريح والتبيين، فعرفه المؤمنون العارفون وأقرّ بتوحيده المقرّون الثابتون، لما رأوا نفوذ قدرته وسلطانه في سمواته وأرضه، وأنكره الجاحدون المنكرون،

وشك به الشاكّون الملحدون، ونسبوا أفعاله وبراهينه للسحر والكهانة، والجهل والخيانة، وقالوا بألسنتهم من الطاعة ما ليس في قلوبهم من الإصرار على الجحد والإنكار، فعلم منهم ما اعتمدت عليه قلوبهم وذهبت إليه ظنونهم من مكرهم الذي مكروه، وكفرهم الذي أظهروه، فلذلك أظهر لهم ما اظهره من العجز والفقر مما تقدم به القول وهو يجلّ عما رأوه ويعظم عما نظروه، فكان كما قال الله تعالى: ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين، فكان من مكرهم أنهم أظهروا الطاعة له، وأخفوا الشك فيهن كان من مكره أنه أظهر نفسه عاجزاً ومغلوباً ومقهوراً ومحتاجاً، فتعالى الله عما يظنون، وعزّ عما يقولون، وهو الذي نعبده ونشير إليه بأنه حاضرٌ موجودٌ في سمواته وأضه، استدلالاً من قوله في كتابه، ومن كلام رسوله وحجابه، ومن قول الموالي منهم السلام بإجماع السادة السلف المسندين عنهم بالنقل الصحيح والقول الصريح، فجميع رواياتهم وإشاراتهم في كتبهم وكنَّاشاتهم، وأشعارهم ومصنّفاتهم، دالةٌ على أن الشمس والسماء والفلك الدوار، والليل والنهار، والبرق والرعد وجميع ما هو كائنٌ سماءً وأرضاً فمفعولين للفاعل الحكيم ، ومصنوعين للصانع الحليم.

ثم نرجع إلى ذكر ما ضمّنه هذا البهيم المستهيم من الاستشهاد في نفي وجود العزيز العليم على زعمه وما علم أن في في ما استشهد به قمعه ورغمه، إلى أن قال:

/وهذا خبرٌ من كتاب الهداية: أنهم أتوا مشركين قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالوا له: يا محمد /ولم يقولوا له، يا رسول الله/ أنت تزعم أنك رسول من عند الله، إله السماء، وأن الملائكة تنزل عليك وتكلمك، ولم نر لك شيئاً من الفضل، وما نظنك إلا كاذباً أو ساحراً، وما أنت عندنا إلا مثل هذه الكهنة والسحرة، وجميع ما تُرينا من المعاجز أرضيةٌ، فإن كنت صادقاً، وإلهك له حكمٌ في السماء كما له حكمٌ في الأرض فأرنا آيةً سماويةً. فقال لهم رسول الله: ما جئتكم إلا من عند إله السماء ألا تعبدوا صنماً ولا وثناً ولا حجراً ولا سماءً ولا شمساً ولا قمراً، وما جئتكم إلا أن تعبدوا إله السماء والأرض وهو الذي يحي ويميت وإليه ترجعون. فقالوا له: أرنا آيةً سماويةً. فقال رسول الله: ىيَّ آيةٍ تريدون؟ قالوا: ادعُ لنا ربّك يشق القمر نصفين: نصفاً ينزل على الصفا، ونصفاً على المشعرين. قال: إن ربي يفعل ولكن لا تؤمنون. فلما جنّ عليهم الليل أتوا إليه وهم سبعون رجلاً من سادات قريش، وقالوا: يا

محمد، هذا الليل وهذا القمر، فأتِنا بما وعدتنا إن كنت من الصادقين. وكان عليٌّ منه السلام يومئذٍ صغير السن وهو جالسٌ عند رسول الله، فقال: قم يا عليّ، وشق القمر نصفين: نصفٌ ينزل على الصفا، ونصفٌ على المشعرين، وأمره أن يتكلم بالعربية ويشهد لخالقه بالوحدانية، ولي بالرسالة، فقام عليٌّ منه السلام، مهرولاً حتى وقف بين الصفا والمشعرين، ودار وجهه نحو القمر، فرأينا شفتيه تتحركان، فماجت بهم الأرض وتزلزلت والزلازل، فهذا القمر، فقال لهم: يا ويلكم، إن كان هان عليكم القسم الذي قسمته على القمر، فإن الأرض لم تحمله، ثم أشار بإصبعه /الشاهد/ إلى القمر حتى رأى المسلمون أثر إصبعيه في القمر، وشقّه لهم نصفين: نصفاً وقع على الصفا، ونصفاً على المشعرين والخلق تنظره من مؤالف ومخالف، وتسمع كلامه عربياً، وتوحيده لخالقه، خالق السموات والأرض، وشهادته لمحمد صلى الله عليه وآله بالنبوّة والرسالة.

فهذا من بعض البعض من دلائله ومعاجزه وبراهينه التي قرّت بها سائر الأمم والطوائف من مؤالف ومخالف، فويلٌ لذوي العقول الفاسدة الذين يعبدون المخلوقات دون الخالق، الذين شهدت بهم سائر الكتب المنزلة أنهم مخلوقات مصنوعات

مفعولات مدبّرات ومسخّرات يعني مأمورات، هكذا جاء في التوراة.../.

فأقول وبالله التوفيق والثقة أن هذا الخبر هو من الأخبار المشهورة، والآثار المذكورة، وهو في كثيرٍ من كتب أهل التوحيد مرسوم، وعند جمعهم مفهوم وقد أجمع عليه كافة الشيعة وكامل أهل القبلة، ولكنهم رسموه على نسخة الأصل كما جرى حكمه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما بدلوا شيئاً من حكمه ولا حرّفوه عن رسمه، وهذا الحائر فقد حرّفه عن أصله، وغيّره عن شكله، وهو مسطور في كتب الشيعة وكتب أهل السنّة في مواضع عديدة، وما ذكروا فيه أن القمر خاطب عليّاً بالشهادة، وأقرّ له بالوحدانية ولا لمحمد بالرسالة، ولا غروَ إن كان ذلك ، لأن العين علينا سلامه كان يقول: أنا عبد الله وأخو رسول الله، وإن احتجّ واتّهم الشيعة وأهل السنّة بأنهم لعدم إقراراهم بمعنوية العين تعالى، فلا يجوز عندهم ارتسم ذلك في كتبهم. فما قوله في الشيخ الخصيب صاحب الرأي المصيب فلقد سطّر هذا الخبر في رسالته التي هي أصل مقالته، وأودعها محض إشارته، وما ذكر في هذا الخبر أن القمر خاطب علياً بالشهادة، ولا أنه شهد لرب السماء بالوحدانية، ولا لمحمدٍ

بالرسالة، وكذا كتاب الهداية ألّفه الشيخ على مذهب الإمامة ولم يذكر فيه شيئاً من ذلك، بل إنه قال: ولقد اجتمع مشركو قريش في ستمائة رجلٍ وفيهم ألو لهب وأبو سفيان وأبو جهل وعقبة بن أبي معيط، إلى رسول الله صلعم، قبل هجرته إلى المدينة، فقالوا له: يا محمد، كل ما ترينا من سحرك أرضيٌ، فإن كلن إلهك له حكمٌ في السماء فسأله أن يشق القمر شعبتين، فليلقِ شعبةً منه على الصفا، وشعبةً على المشعرين، فإن أنت أريتنا هذا صدقناك وعلمنا أن إله السماء أرسلك، فقال لهم: موعدكم إلى أن يجنّ الليل علينا، وتحرون حتى ىترون ما سألتم، فلما جنّ الليل عليهم، قال له المشركون: هذا الليل، وهذا القمر، فقال رسول الله: يا أبا الحسن، قم بجانب الصفا، وادعُ الله واسأله أن يشق القمر شعبتين، شعبةً تقع على الصفا وشعبةً تقع على المشعرين، فقام أمي رالمؤمنين منه الرحمة مهرولاً إلى أن وقف بجانب الصفا، ودعا بدعوات خفياتٍ، والمسلمون والمشركون ينظرون إليه، فإذا القمر قد انشق شعبتين، سقطت واحدةٌ على الصفا، وواحدةٌ على المشعرين، فخرّوا المشركون لوجوههم فلما أصبحوا آمن منهم نفرٌ، وقال الباقون: اقتلوا محمداً قيل أن يفتنكم بسحره ويدخلكم في ملّته...

هكذا سطّر في رسالة الشيخ الكبيرة في كتابه المعروف بكتاب الهداية. وقد وردت هذه الرواية بعينها في رسالة /المصرية/ كما في رسالة الشيخ /الرستباشية/ على القانون من غير زيادة لا نقصان، لا كما تخّرص هذا المفتون المدّعي ما لا يكون. وقوله أيضاً:

/فويلٌ لذوي العقول الفاسدة الذين يعبدون المخلوقات دون الخالق، بذلك، بل ويلٌ وألف ويلٍ للذين يجحدون ويُشنّعون على عباده بإيجاده من دون الخلائق، فكان إقرارهم عن معرفة ويقين، لا بالظنّ والتخمين، ولقد عجبتُ من قوله عن الأنوار السماوية أنهم مسخراتٌ ومأموراتٌ، هو ما جاء في التوراة... ونحن نرى في التوراة المقدسة يقول:

وجاء النور من طور سيناء واستعلن من ساعير وأضاء وأشرق من قاران – فطور سيناء هـ السماء وفيها يقول الله تعالى حكايةً عن موسى عليه السلام:

ناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجياً، فالطور الأيمن هو السماء، وأما النداء من جانبه ، إشارة إلى إشراق الوجود النوري من جانبه وببزوغه بالطفولية لكون العوالم العلوية وإسراؤه بين الخطوط الناميات من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، أي

من ابتداء المدار إلى انتهائه في الصور الثلاث التي هي فروع شجرة الطور المنعوتة في الكتاب المسطور بقوله تعالى: وشجرةٍ تخرج من طور سيناء تُنبت بالدُّهن وصِبغٍ للآكلين، فالشجرة هي الذات الأحدية النورية ، وخروجها هو ظهورها للعيان والمشاهدة، والآكلين هم العارفون ظهورها ووجودها .

ثم قال هذا الهائم: /فلو قيل لأحدٍ من اليهود، اسجدوا للشمس أو للقمر وإلا أقتلنَّك، فيختار القتل ولا يسجد لشيء منهم، مما رأى في التوراة، كذلك النصراني الذي هو من أهل الإنجيل، كذلك أهل الزبور وأهل القرآن العظيم الذين هم أشد مما ذكرنا لعلمهم انهم مخلوقات في الكتب الأربعة ولهم خالق ومكوِّن ومدبِّر، وهم تحت حكم طاعته وأمره.../. فأقول:

الحمد لله رب العالمين الذي ألهم هذا المسكين فإقراره من لسانه على خروجه من جملة المقرّين، وتبسطه في ورطة المنكرين، ومطابقته بالقول والفعل لجملة اليهود والنصارى والملحدين. بعدم سجودهم للملك الحق المبين، وعنده أنهم كافرين وضالّين مضلّين، فاقتدى بهم بالإنكار، واتّبع ملّتهم على الإصرار، إهمالاً لما خاطب الله به رسوله بقوله تعالى: إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ولا تسأل عن أصحاب الجحيم، ولن ترضى عنك اليهود ولا

النصارى حتى تتبع ملّتهم، قل عن هُدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من وليٍّ ولا نصير، الذين يتلون الكتاب حق تلاوته أولئك يؤمنون به ومن يكفر فأولئك هم الخاسرون... وهذا الرجل المفتون يجعل العتب علينا والعائد عندنا، إذ لم نكن كهم ونتّبع ملتهم بالإنكار والجحد والاستكبار حتى يرضوا عنا مع علمنا بالسر الذي وصلنا إليه واطّلعنا عليه، عمّن هم أهله ورجاله إنا لهم الرضى ومع ذلك فإن اليهود والنصارى والنواصب جميعهم ملعونين وعن السر مبعدين وما استحقوا الخزي واللعن إلا بإنكارهم الحق في وجوده وعدم تصديقهم لرسله فكيف لا يعتب على نفسه بتزكيتهم دوننا مع علمه بعدم إقرارهم لمن يدعي أنه مقرٌ به ومثبتٌ رؤيته في البشرية التي هي أقرب لأفهامهم، وهم كانوا أشد الأعداء له وقد نصبوا له الحرب والقتال، وثاروا عليه بالجيوش والرجال حتى أزالوه بزعمهم عن مقامه بالإمامة خلافاً لما عاهدوا عليه صاحب الشفاعة والكرامة، وأكثر جهاده في اليهود والنصارى لإنكارهم وعدم إقرارهم، ولو أنهم آمنوا به وأقروا له، رفع عنهم الجهاد وكانوا من أفخر العباد، أما يستحي هذا الرجل من هذا المثل الذي مثّله؟

أما يرى إلى هذا القول الذي صوّره وعدّله؟ أما ينظر إلى ما اقترف من الصدود عن السجود للمتجلي الموجود بما طابق به النصارى واليهود ، والنواصب الذين جردوا لقتاله الصوارم الهنود، وعطّلوا سنّة نبيّه محمد المحمود، ثم قال هذا المبعود محرّضاً على الإصرار والجحود، بقوله:

/ وأما المشايخ القدماء السالفين، رضي الله عنهم، ما قالوا في كتبهم من هذا شيئاً فالحذر كل الحذر منه وممن يفعله، فإذا كان لا يرضى هذا يهوديٌ كافر قد غضب الله عليه، ولا نصرانيٌّ مشركٌ قد عادى الله ورسوله، ولا عامّة أهل التقصير الذين يعبدون الجِبت والطاغوت ويفضّلونهم على المعنى، وهم في الحقيقة مشركون فكيف يراضه من يدعي أنه مؤمن مسلمٌ مقرٌّ لله بالوحدانية ولرسوله بالرسالة والنبوّة ويرجو الآخرة ويقبل الزكاة وتطلب الناس دُعاه، فيا بؤساه ما أضلّه وأشقاه وأطاع هواه، وباع آخرته بدناه، فهؤلاء الذين زيّن لهم الشيطان اعمالهم فصدّهم عن السبيل فهم لا يهتدون، ألا يسجدوا الله الذي أخرج الخبأ في السموات والأرض ويعلم ما يُخفون وما يعلنون الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم.../.

فأقول: إنه قد صدق المولى الصادق في قوله: ما لله سرٌّ إلا

وهو على ألسُن خلقه، ولا لله حضنٌ أمنع من جهلهم به. وهذا الرجل فقد جهل السر، وندَّ عن باطن الأمر، وقد ظهر من نفس قوله أنه لا يرضى إلا بما يرضونه اليهود والنصارى والنواصب، وهم لا يرضون أن يكون العين رباً، وجميعهم مُجمعون على إنكار ربوبيته وجحود معنويته ، فلمَ لا يطابقهم على ذلك؟ ولِمَ لا يقول بقولهم ولِمَ يُعيّر غيره باعتقادٍ ولم يرضوا به اليهود والنصارى وغيرهم، وهو يفعل ذلك فلله درُّ القائل شعراً:

ومن يعِبْ غيره يطلبْ معايبه ومن رأى عيبه في الناس لم يعِبِ

وإن هؤلاء الفِرَق التي ذكرها لا يجتمعون على اعتقادٍ واحدٍ، بل كلٌّ يكفِّر الآخر، ويشتمه ويلعنه ولا يرضى بمقالته، وتصديق ذلك في قوله تعالى: وقالت اليهود ليست النصارى على شيءٍ هم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فسه يختلفون ، ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يُذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين، لهم في الدنيا خزيٌ ولهم في الآخرة عذابٌ عظيم، ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثمّ وجه الله إن الله واسعٌ عليمٌ... فقوله: ولله المشرق والمغرب،

دلالـة علـى الظهـور والغيبـة فقد تبيـن فسـاد مـا ذهـب إليـه هـذا الرجـل، وحـق فيـه قـول الله تعـالـى، عـن قـول اليـهـود والنصـارى: وكذلك قـال الـذين لا يعلمـون مثـل قولهم، يعنـي مثـل الـذي قـالوه اليهـود والنصـارى مـن الجحـود ومنـع مسـاجد الله، وسـعى فـي خرابهـا بجحـوده كمـا فعلـوا القـوم المـذكورون، فمـا كـان لـهـم أن يدخلوها إلا خائفين، يعني المساجد التي هي بيوت الحكمـة التـي هي المعرفة، ما كان لـهم أن يدخلوها إلا خوفاً من أهلهـا، فبـاؤوا بـالخزي والخذلان فـي هذه الـدنيا ولـهم فـي الآخرة عذاب عظيـم، جزاءً علـى ذلـك، ليـس إنكـار هـذا الرجـل علينـا الإقـرار بالصـورة النورانية، واحتجاجه بعدم سجود اليهود والنصارى والنواصب لـهـا هـو ممـا يـدفع الحـق ويضـادد الصـدق بـل إنــه عليـه مـن أوكـد الحجج لكونـه تمثّل بهم بالإنكـار وطـابقهم بالإصرار، فعدم إقراره بالصـورة النورانيــة كعـدم إقـرار النواصـب وأهـل التشـبع بربوبيــة العين جلّ ذكره، وعدم إقرار النواصب وأهل التشيُّع بربوبيـة العيـن كعـدك إقـرار النصـارى برسـالـة محمـد ووصـية العيـن، وولايــة شمعون الصفا منـه السلام. ولقد ذمّ الله اليهود فـي مئـة وثمانيـن موضعاً من القرآن، وذمّ النصارى فـي ثمـانين موضعاً. هكذا ذكـر الشاب الثقة فـي كتـاب الحـاوي الـذي هـو قـانون المـذهب وميزان

الطريقة، وهو مما سمعه من الشيخ الثقة أبي الحسين محمد بن علـي الجلـيّ، قـدّس الله روحهمـا، ممـا يتعلـق بباطن البيـت الخصيبي والسرّ الشعيبي. فا/ا ذم اليهود فنتلو من شرحه ما تيسر، وهو كقوله تعالى: وقالوا يا موسى إنا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرةً هذا على سبيل الإصرار على الجحد والاشتطاط والصد كما تخيل لهذا الرجل من الصد وكقوله تعالى: ومن الذين هادوا يُحرّفون الكِلَم عن مواضعه، كدأب ناصر، ويقولون سمعنا وعصينا. وقوله تعالى: وقالوا إن الله فقيرٌ، قالوا في العين إنه فقير، كقول ناصر في القاف إنه مسخّر ومأمورٌ. وقوله تعالى: وقالوا لن ندخلها أبداً ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون، كقعود ناصر عن الإقرار بجلالة الأنوار، وعدم دخوله بالمعرفة ماداموا أهلها فيها عناداً وخلافاً لهم. وقوله تعالى: ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ككفر ناصر بالآيات السماوية وقتله العلماء الذين هم ورثة الأنبياء، بقوله عليهم ما لم يقولونه. وقوله تعالى: وقالوا يا موسى اجعل لنا آلهةً كما لهم آلهةٌ، كفعل ناصر وإشارته إلى الغيب عوضاً عن الموجود. وقوله تعالى: يد الله مغلولةٌ، كقول ناصر إنه مسخَّر، غُلَّت أيديهم ولُعنوا بما قالوا بل يداه

مبسوطتان يُنفق كيف يشاء، من الزيادة والنقصان. وقوله تعالى: ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت، كاعتداء ناصر على جحود النور، فقلنا لهم كونوا قِردةً خاسئين. وقوله تعالى: وقولهم إنا قتلنا المسيح بن مريم رسول الله، كمن قتل العلماء العلماء باتهامهم بفعل غير الواجب، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبِّه لهم، فهذه الأفعال ونظائرها مما يوجب ذمّهم ولعنهم لأنها أسباب البعد عن الله وعن طريق الحق.

وأما ذم النصارى في ثمانين موضعاً أقل من اليهود لأنهم أقل اجترارا على الله ولا كذّبوا موسى، فهم أقرب إلى الحق من اليهود، لأن اليهود اجترأوا على موسى وكذبوا عيسى، فأكثر ذمّ النصارى مشتركٌ مع اليهود، كقوله تعالى: وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحبّاؤه. وقوله تعالى: لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم. وقوله تعالى: لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة. وقوله تعالى: إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله. وقوله تعالى: وقالوا اتّخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئاً إدّاً... ونظائر هذه الآيات...

فاليهود منكرون بنبوّة عيسى وهو عندهم بمنزلة الأضداد،

والنصارى كذلك منكرون بنبوّة محمد وهو عندهم ضدٌ كافرٌ ومحتالٌ ساحرٌ،وإنه استعلم النبوّة من بحيرا الراهب، هذا قولفريقو منهم، وكذلك المسلمون اجترأوا على محمد وغيّروا سُنّه ونقضوا عهده عند تقدمهم على الخلافة دون عليّ، وكذلك الشيعة الإمامية الذين يسمّون أهل التفويض فإنهم يعتقدون أن العين يقدر على كل شيء من الأفعال والقدر تفويضاً من ربّه وباريه، وعندهم أيضاً أنه لو أتى العبد على جميع ما أمر الله به من صلاةٍ وصيامٍ وحجٍّ وزكاةٍ وجهادٍ وأفعال خيرٍ وصدقاتٍ بدون ولاية عليّ والبراءة ممن يعاديه، لم يقبل الله عمله، وأنه لا يضر مع ولايته وحبه شيءٌ من الذنوب والأفعال ومع هذا فإنهم يكفّرون من يعتقد بربوبيته.

وهذا الرجل: فتارةً يُقرّ بربوبيته، وتارةً يرجع القهقهرى إلى التفويض، ولو ثبت على إقراره بالصورة البشرية، وتمسك بالأجوبة الفرعية، ووقف عند وقوف فهمه من غير عنادٍ ولا كبرٍ، لكان غير ملومٍ بعدم إقراره بالصورة النورانية لعدم استطاعته ومثله في ذلك مثل الخفاش مع الشمس لمنيرة، فهو لضعف بصره لا يستطيع رؤيتها، ثم لم يرض بجحود الوجود وإهماله حتى أثبت انه مسخّر ومقدّر ومأمور ومربوب ومذموم

هو وجملة جنوده من العالمين العلوي والسفلي ومن لحق بهم من أهل الصفا. ولقد عجبت من استشهاده بهذه الآية الشريفة التي هي قوله تعالى: ألا يسجدوا الله الذي يُخرِجِ الخبئ في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون. فحقاً أقول: إنه لو اطلع على مكنون سر هذه الآية لغمض عنها ولم يذكرها في كتابه ولم يلفظها في خطابه كونها تدل على خراب ما شيّد، وفساد ما ضمّن وعدّد ، ولكنه عن سرها عميَ وتبلّد، إذ هي تُفصح عن وجود الحي القيوم الذي يُخرج الخبء الموهوم لأهل السموات والأرض في المحل المعلوم على حسب العوائد والرسوم. ثم قال من غير حياءٍ من الله: / ورأيت في زماني طرائق منكرة مكروهة ما امر بها وأستحي من ذكرها، وإن كتمتها أخاف على نفسي مما قال السيد الرسول صلى الله عليه وسلم: إذاظهر البدع في الأرض، وكتم العالِم علمه، فعليه لعنة الله. ورأيت هذا البدع ظهرت واشتهرت بين هذا العالم، وأنكروا جميع بعث الأنبياء والمرسلين، من عهد آدم إلى السيد محمد، ونكروا الأئمة من بعده صلوات الله عليهم أجمعين، ونكروا جميع ما جاءت به الوراة والإنجيل والزبور والقرآن العظيم وقصص النبيين التي جاءت بها الكتب الأربعة وجميع الأبواب التي ظهرت مع

الأنبياء والرسل، ونكروا ظهور جميع الأولياء وظهور العالَمين الذين ظهروا مع الأنبياء والرسل، ويقولون، ما جاء للأرض رسولٌ ولا نبيٌّ، ولا ظهر آدم ولا هابيل ولا شيث ولا يوسف ولا يوشع ولا آصف ولا شمعون ولا عليّ ولا محمد، ولا يُقرّون في شيءٍ من بعث الأنبياء والمرسلين ولا يُقرون بالثورة المرئية التي بدت منها المعاجز والقدر، ونكروا جميع أفعاله في الدنيا ومعاجزه ، سماويةً وأرضية، لا يقرون في رسالة محمد، وينكرون جميع قصص الأنبياء والرسل، ويقولون إنها ما صارت ولا كانت ولا وُجدت في الدنيا. ولا أحد رآهم غمّضوا وعمَوا وتاهوا وضلّوا ضلالاً بعيداً وخسروا خسراناً مبيناً. كما قال الله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين. كذا قال شيخنا الحسين قدّس الله روحه:

"عمُوا وصَمُّوا ولم يجيبوا نِداكمُ في المظلَّلاتِ"

وقال أيضاً:

عموا وصموا وتاهوا عن مليهكمُ وربُّهم ظاهرٌ في السّهل والجبلِ

وهؤلاء الجماعة جحدوا ظهور الباري في الصورة المرئية التي بدت مها المعاجز والقدر.../

ومرّ يتطاول علينا بالمقال ويتناول أعراضنا بمستقبح الأفعال، ونسب اليهود والنصارى والنواصب إلى القول بالحق، ونسبنا نحن إلى البُعد والسُّحق وهو قوله: /ورأيت هذه الجماعة (يعنينا) أشد إنكاراً من الجميع، وإنهم ينكرون الرجعة البيضاء والكرّة الزهراء، وظهور العلي الأعلى، ويجعلون السبعة الذاتية إنها هي السبعة الأيام، التي في أول الشهر العربي وعندهم أول يوم هابيل و ثاني يوم شيث إلى آخر السبعة الأيام، وسابع يوم هو عليّ، ويقولون ما ظهر لنا نبيٌّ ولا معنى غير الذي نراه اليوم يغيب ويظهر، ونشاهده ونعيده حاضراً موجوداً، اتصل جحدهم ببعضه، كما قال الله تعالى: ظلمات بعضه فوق بعضٍ إذا أخرج يده لم يكد يراها.../. فأقول وعلى الله قصد السبيل:

أما هذا الاعتقاد الشنيع والرأي الوضيع الذي يؤول إلى الخسف والتبخيع الذي نسبنا إليه، ليس هو رأينا ولا رأي من سلف من آبائنا وليس هو مذهب من المذاهب الموصوفة، ولادين من الأديان المعروفة، ولا تعتقده فرقةٌ من سائر الفرق التي تنتمي إلى الإسلام ، فلقد تقوّل علينا ما لم نقله، وتهجّم علينا بما لا أصل له، أين هو عن قول أبي جعفر: باقر العلم، منه السلام، إنه قال: ما شهد رجلٌ على رجلٍ بكفرٍ قط إلا وأنا بريءٌ من

أحدهما. وعن مولانا جعفر بن محمد منه السلام أنه قال: من روى عن مؤمنٍ رواية يريد بها شينه وهدم رتبته ليسقط من أعين الناس أخرجه الله من ولايته إلى ولاية الشيطان ولا يقبله الشيطان. أما يخاف هذا المنبت من الوقوع في العنت والمقت مما رمانا به من الجحد والقول الموعر الصد؟ أما يزجره قول الله تعالى: ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً، فكرهتموه . وقوله تعالى: إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذابٌ عظيم. أما يتعظ ببعض آيات الكتاب وأخبار الأئمة عن الشطط في غيبة أهل الإقرار، وعن ثلث المؤمنين الأبرار بقوله /إنهم نكروا جميع الأنبياء والرسل والموالي منهم السلام/ فهذا قولٌ لا نراه فر رأينا ولا هو ديننا ولا اعتقادنا، وأما قوله علينا عن السبعة الذاتية / إنها هي السبعة الأيام / فهذا شيء يبعد عن قياسه وسرٌّ يغرب عن فهمه، ولو أمكن شرح ذلك لشرحناه رغماً عن أنفه، إذ هو ضد اعتقاده تركناه مرموزاً لأهله، ونحن نقتدي وندين بأن الله تعالى ظاهرٌ موجودٌ مرئيٌّ في الشهادتين النورانية والبشرية، وإن الذي نراه في السماء هو الذي نراه في الأرض، هو هو ظاهر بذاته ، لا بشيءٍ من صفاته ولا يمازج مخلوقاته، وهو الظاهر المشهود

والباطن الذي غير مفقود، والشاهد بذلك ما روي عن محمد بن سنان، أنه قال: دخل رجلٌ على مولانا الصادق منه السلام فقال لـه المولـى الصادق: يا فلان لا تشرك بالذي تراه شيئاً، فقال الرجل: أعوذ بالله أن أشرك به، فقال لـه: إن الذي تراه في السماء هو الذي تراه في الأرض، فقال الرجل: أشهد أنك أنت هو يا مولاي، فقال لـه: اكتمْ ذلك يرحمك الله ولا تُحدِّث به غير أهله فيذيقك الله حرَّ الحديد وبرده. وروي عنه أيضاً منه السلام أنه قال: محلّ الإمام في الأرض محل الباري في السماء، وأن الملك لا يجوز أن يملكه ويدبره إلا واحدٌ...

وقول السيد الرسول منه السلام في الكتاب إشارةٌ إلى باريه ومخترعه ومنشيه: هو الأول والآخر والباطن والظاهر وهو بكل شيء عليم... فصرح بها مولانا أمير المؤمنين تصريحاً بقوله / إنا الأول والآخر، والباطن والظاهر، وقال الله تعالى: وهو الذي في السماء إلهٌ وفي الأرض إمامٌ وهو الحيكم الخبير. هكذا كانت قراءتها قبل تحريفها، وأن الحكيم الخبير لمّا خلق الخلق ظهر لهم بينهم وينتقل فيما ينتقلون فيه ثم دعاهم إلى وحدانيته والإقرار بربوبيته ، فمن عرفه هناك عرفه ههنا، ومن أنكره ههنا وكفى بجهنم سعيراً. فلو تبصّر هذا الهائم المقصِّر، الهجّام

المتحير في معنى ماتقرر، تأوه وتحسر على ما أسلف من الإنكار، وعلم أنه في اعتقاده مخصوم، وفي ما ادعاه مأثوم، وإني أقول حقاً أنه ما تفوّه علينا بهذه الأقاويل ، وتقوّل علينا بهذه الأباطيل التي هي دلالة النفي والتعطيل، إلا لمرض الشك الذي شحن به حيزومه الوارد من قبل الجهل المردي المستولي على تاموره، فانعكست أنوار بصيرته عن الاستعداد لقبول إشراقات شموس الحق في وجوده وتنويره في المحل الأثير الذي لا يلحقه الاضمحلال والتغيير، فأثبت على باريه العلي الكبير التسخير ولا تقدير ، وعلى اسمه وحابه الأعظم، وعلى بابه الأكرم، وأيتامه المصطفين وعوالم قدسه أجمعين الموصوفين بالهداية والتمكين، بقوله تعالى: وعلاماتٍ وبالنجم هم يهتدون. وقوله تعالى عن لسان الباب تفخيماً للعوالم العلوية والأنوار القدسية: وإنا لنحن الصافّون ، وإنا لنحن المسبّحون. وحيث خامرت قلبه خمرة الشك والعناد، والغي والفساد، والتجأ إلى القول في نفي الوجود النوري المشرق لكون الأنوار كإشراق نور الشمس على الجواهر الشفافة ، ذهب إلى اتهام خصمائه في نفي الوجود البشري المشرق لكون الجبلّة البشرية بالصورة الأنزعية وذلك لمّا نزّهوا باريهم عن الدخول تحت حكم الحواس،

وعن أن تقع عليه حقيقة التصوير في الجناس وما كانت إشارتهم بذلك إلا لينفو التصوير عن المعبود بعد إثبات الوجود، لأنه لا يجوز في فطن العقول أنه إذا كان أورانا ذاته بصفةٍ تشاكل صفاتنا وهيئةٍ تضاهي هيئاتنا. لطفاً بنا وإيناساً لنا، ليُفهمنا ويعلمنا أن نثبت تلك الصفة عليه، إذ هي صفة الإنسان وعلّة المعلول لأن الصورة الأنزعية وإن رأيناها بشرية فهي في الحقيقة نورانية، وإنما رأيناها بشرية لعلة المزاج التي فينا، كالناظر في المياه والزجاج فإنه يرى نظير صورته، الشاهد بذلك قول مولانا الرضى منه السلام إن الذي عاينتموه بأبصاركم إنما هو ظاهرٌ لكم بحسب ما أنتم لأنكم لا تفهمون عن خلافكم. وقال منه السلام: إن الذي عاينتموه بأبصاركم هو الله بإضافته إلى القدرة وليس هو الله بإضافته إلى الصورة لأن من تلك صورته على الحقيقة فلا يستطيع أن يظهر المعجر، ومن أظهر المعجِز فليس تلك صورته في الحقيقة، بل هي صورة الإنسان العاجز، فأثبت بهذا القول أن البشرية التي رأيناها هي علّة الناظر لأنه لا يليق التصوير بمُظهر القدرة أصلاً ولا يكون معلولاً لأنه علة العلل، ويؤيد ذلك قول العالِم في كتاب الأسوس: أن الله شاء وأراد وقدّر وقضى، فتكلم وظهر للخلق فكانوا يرونه ويثبتونه

وذلك إنهم كانوا روحانيين، فمكنهم النظر بلطف ذواتهم فحينئذٍ وقعت الصفات ونُسبت الأماكن.

قال السائل: أيظهر الرب من الشجر والحجر والماء كما يظهر من البشر؟ قال العالم: يظهر الرب من حيث يشاء فإن القدرة والإرادة له، وله أن يظهر كصورة الإنسان ل،ها على صورته وليست صور الشجر والحجر والماء على صورته. قال السائل: فأراد أن يشبه الخلق؟ قال العالم: إنما يقع الشبه في الأجناس وليس هو من من جنسهم، يعني ليس هو من جنس الخلق ليشابههم . قال السائل: فهو سبحانه يظهر كأنه خلقه، أم يخلق خلقاً يستتر به فيتكلم منه؟ قال العالِم: لحاجة المخلوقين إليها كحاجتهم إلى الكلام لأنه لا كلام إلا من صورة وأن المعرفة بالقدرة فأتاهم من حيث يعرفونه ، ثم قال العالِم: اعلم أيها السائل أن الزمان كله للرب، فكما ظهر في أوله فكذا يظهر في آخره وكذلك في أوسطه فلا تكذبنَّ في ظهوره ولا تكذبنّ الأوقات عليه ولا تُحيزّها، وكما عدل على أو لخلقه كذا يعدل على آخرهم وأوسطهم، وكما عدل على الملائكة كذا يعدل على الآدميين، ثم قال السائل: فكيف طوّل على العباد ولم ينادِهم من موضع واحدٍ بلا تفريق، يعني لِمَ لا يظهر ظهوراً واحداً لا اختلاف فيه ولا

غيبةٌ لـه؟ قال العالم: فإذا كانت القدرة للقادر، فعلى الناس أن يجيبوها من حيث جاءت ويصدقوها من حيث ظهرت وإن اختلف الصور، فلم تختلف القدر... فهذا من أدلّ دليلٍ على بقاء القدرة ونفي الصورة والصفة الموجودة في أعين البشر، وإن السماء والصفات وُضِعت للتعرفة، وهو في حقيقة ذاته مستغنٍ عنها، كونها عبارةً أوجدها لحاجة المخلوقين إليها ليدعوا بها خالقهم. لأنك إذا قلت / الله/ فهو اسم، وإذا قلت /الرحمن/ فهو صفة المشرق لكون الأنوار كإشراق نور الشمس على الجواهر الشفافة، ذهب إلى اتهام خصمائه في نفي الوجود البشري المشرق لكون الجبلّة البشرية بالصورة الأنزعية وذلك لما نزّهوا باريهم عن الدخول تحت حكم الحواس، وعن أن تقع عليه حقيقة التصوير في الأجناي وما كانت إشارتهم بذلك إلا لينفوا التصوير عن المعبود بعد إثبات الوجود، لأنه لا يجوز في فطن العقول أنه إذا كان أورانا ذاته بصفةٍ تشاكل صفاتنا وهيئةٍ تضاهي هيئاتنا. لطفاً بنا وإيناساً لنا، ليُفهِمنا ويُعلِّمنا أن نثبت تلك الصفة عليه، إذ هي صفة الإنسان وعلّة المعلول لأن الصورة الأنزعية وإن رأيناها بشرية فهي في الحقيقة نورانية، وإنما رأيناها بشرية لعلّة المعلول لأن الصورة الأنزعية وإن

رأيناها بشرية فهي في الحقيقة نورانية، وإنما رأيناها بشرية لعلة المزاج التي فينا، كالناظر في المياه والزجاج فإنه يرى نظير صورته، والشاهد بذلك قول مولانا الرضى منه السلام إن الذي عاينتموه بأبصاركم إنما هو ظاهرٌ لكم بحسب ما أنتم لأنكم لا تفهمون عن خلافكم. وقال منه السلام: إن الذي عاينتموه بأبصاركم هو الله بإضافته إلى القدرة وليس هو الله بإضافته إلى الصورة، لأن من تلك صورته على الحقيقة فلا يستطيع أن يُظهر المعجز، ومن أظهر المعجز فليس تلك صورته في الحقيقة ، بل هي صورة الإنسان العاجز، فأثبت بهذا القول إن البشرية التي رأيناها هي علة الناظر لأنه لا يليق التصوير بمُظهر القدرة أصلاً ولا يكون معلولاً لأنه هو على العلل، ويؤيد ذلك قول العالِم في كتاب الأسوس: إن الله شاء وأراد وقدّر وقضى، فتكلم وظهر للخلق فكانوا يرونه حقاً ويثبتونه وذلك إنهم كانوا روحانيين، فأمكنهم النظر بلطف ذواتهم فحينئذٍ وقعت الصفات ونُسبت الأماكن. قال السائل: أيظهر الرب من الشجر والحجر والماء كما يظهر من البشر؟ قال العالِم: يظهر الرب من حيث يشاء فإن القدرة والإرادة له، وله أن يظهر كصورة الإنسان لأنها على صورته وليست صورة الشجر والحجر والماء على

صورته. قال السائل: فأراد أن يشبه الخلق؟ قال العالم: إنما يقع الشبه في الأجناس وليس هو من جنسهم يعني ليس هو من جنس الخلق ليشابههم . قال السائل: فهو سبحانه يظهر كأنه خلقه، أم يخلق خلقاً يستتر به فيتكلم منه؟ قال العالم: هذا ما لم يُمكن أن يحوِّل نفسه عن هيئته. قال السائل: فكيف صارت له صورة؟ قال العالم: لحاجة المخلوقين إليها كحاجتهم إلى الكلام لأنه لا كلام إلا من صورة وإن المعرفة بالقدرة فأتاهم من حيث يعرفونه، ثم قال العالم: اعلم أيها السائل أن الزمان كله للرب، فكما ظهر في أوله فكذا يظهر في آخره وكذلك في أوسطه فلا تكذبنَّ في ظهروه ولا تكذبنّ الأوقات عليه ولا تُحيّزها، وكما عدل على أول خلقه كذا يعدل على آخرهم وأوسطهم، وكما عدل على الملائكة كذا يعدل على الآدميين، ثم قال السائل: فكيف طوّل على العباد ولم ينادهم من موضعٍ واحدٍ بلا تفريق، يعني لِمَ لا يظهر ظهوراً واحداً لا اختلاف فيه ولا غيبةٌ له؟ قال العالم: فإذا كانت القدرة للقادر، فعلى الناس أن يجيبوها من حيث جاءت ويصدقوها من حيث ظهرت وإن اختلفت الصور، فلمَ تختلف القُدَر... فهذا من أدلّ دليلٍ على بقاء القدرة ونفي الصورة والصفة الموجودة في أعين البشر، وإن الأسماء والصفات

وُضعت للتعرفة، وهو في ذاته مستغنٍ عنها، كونها عبارةً أوجدها لحاجة المخلوقين إليها ليدعوا بها خالقهم. لأنك إذا قلت /الله/ فهو اسم، وإذا قلت /الرحمن/ فهو صفة فالعجز الذي رأيناه هو منسوبٌ إلى الصورة، ولاقدرة التي ظهرت فهي منسوبة إلى الأزل القادر. وقد قال صاحب كتاب حجة العارف: إن الصفة تنوب مناب الاسم وتسد مسده وتؤدي عن معنى الإشارة والدلالة بأن البشرية لم يكن لها حقيقة، إنه لا بد لكل جسم من ظلٍّ إذا قام في الشمس أو في القمر، وقد أجمعت الأمم على أن العين لم يكن له ظلٌّ في الشمس ولا فيء في القمر، ولم يُرَ له نجوى.

وكذلك حجابه الذي هو السيد الميم، وهذا بإجماع كافة المسلمين. فتبين أن تلك الصورة البشرية المشاهَدة كصورة الإنسان هي حجاب تقع عليه الأبصار ، أظهر لإثبات الوجود، وليستدل على المعبود عند إظهار القدرة والنطق المسموع، فلما ظهرت القُدر الربانية من تلك الصورة الإنسانية، علمنا أن تلك الصورة بخلاف ما رأيناه من تركيب البشرية، بل حقيقتها الربوبية وأن القديم يُظهرها إيجاداً لخلقه ليفهموا عنه الأمر والنهي وهو في الحقيقة ليس له صورة ولا مثال ولا شبح ولا خيال ولا حدٌّ تضرب به الأمثال ولا فيه للقائل مقال بل ما أظهر

من الصور والأمثال والنعوت والأشكال علاماتٌ لوجوده ليدل بها عبيده على معرفته وتوحيده وتقديسه وتمجيده لأننا إذا نفينا الأسماء والصفات من غير إثبات مظهرها أنه موجودٌ حاضرٌ عجزنا عن الدلالة عليه. ومما يؤيد قولنا هذا وينوّره ما رواه محمد بن مقاتل القطيعي عن شيخه قال: حدثني أبي عن أبيه أبي اسحاق الرقاعي، قال: قال لنا سيدنا أبو عبد الحسين بن حمدان الخصيبي قدس الله روحه. ونحن بحضرته جماعةٌ من أولاده: :كلُّ عبدَ غيباً لا يعرفه وربّاً لا يُثبته إلا نحن عبدنا من سمعنا كلامه، وحذرنا من عقابه وعذابه، ووعدنا برحمته ثوابه وقال لنا على منابر عظمته /أنا/ ولا يُعلن بنون العظمة إلا المعنى جلّ وعلا، فلأجل ذلك سُمّينا موحِّدة لأننا عبدنا من رأيناه، ودلّنا على معرفته فعرفناه. وكذا قال الشاب الثقة قدّسه الله: نحن معاشر المؤمنين قد وصفنا ما عرفنا، وعبدنا ما وجدنا، وتحققنا فوحَّدنا، فمن جهل موجوداً مرئياً مع وجود قدرته كان كافراً، والأولى أن يجهل ما لا يرى ولا يوجد ، لأن كل موجود معروفٌ وكل معروفٍ موصوفٌ وكل معدومٍ مفقود وكل مفقود مجهول.

هذا ما تلقيناه عن شيوخنا وساداتنا، ورأيناه في كتبهم مسطور،

وفـي رواياتهم مشـهور، وعنهـم منقـول ومـأثور، وهـو سرّ ديننـا واعتقادنـا، ومضـمون رأينـا واعتمادنـا، وأصـل طريقـة آبائنـا وأجدادنا، فهل في هذا القول نكرانٌ، أو يُنسب معتقده إلى الجهل والحرمـان؟ فـو الله م أنصـفنا هـذا المجـترىء بمـا أحلّنـا بـه مـن المحلِّ الزريّ ثم تـهجم علينا هذا التهجّم بما هو أهله، وتكلم فينـا بما هو شكله إلى أن قال:

/ وهؤلاء الجماعة اتخذوا لهم أعياداً، ما هي في كتب التوحيد، وهـي غير أعيـاد الشـيعة ولا هـي مـذكورة فـي مجمـوع الأعيـاد العربية والفارسية والروميـة الـذي صنّفه الشاب الثقـة أبـو سعيد ميمـون بـن القاسـم الطبرانـي رضـي الله عنـه، ومـا رواه فيـه عن السـادة السـالفين قدّسـهم الله تعـالى، وبيّـن فيـه مشـكلها وأصلها،وشرح لكل يوم منها شرحاً، واثبت خطبها وأدعيتهـا، ومـا يوجب علـى كل مـؤمن أن يعمـل بهـا، واشـهر فضـل النفقـة فيهـا علـى المـؤمنين وجزيـل الثـواب مـن الله تعـالى، ولأي سـببٍ كانـت ولأي شـيءٍ وعد صـانعها الأجـر والثواب دون غيرهـا، وجمعهـا فـي هذا الكتـاب المذكور بإسنادٍ صـحيح عن شيوخه القدماء، وعن الأئمة والأنبيـاء صلوات الله عليهم أجمعين، ومواليـدهم فيهـا وقـد نطق القرآن العظيم بها جهراً، وقرّت بفضلها سائر الكتب والرسل

وجميع الأولياء الصالحين أمروا بفعلها، وهؤلاء الفرقة تركوها اعتماداً وجعلوا لهم أعياداً غيرها من تلقاء أنفسهم يجعلون أول يومٍ من الشهر العربي عيداً، ويوم الأربعة عشر منه عيداً، ويوم التاسع والعشرين منه عيداً، فقلت لهم: يا ليت شعري من علمكم هذا أم على الله تفترون؟ فقالوا لي تكون المؤمنين مجتمعين في السماء ونجن نجتمع في الأرض، مثلما يجتمعون ، فقلت لهم هل أتاكم أو عندكم دليل بهذا، أو شيخٌ أو كتابٌ أو كتابٌ علّمكم هذا، أم هذا افتراءٌ من عندكم.../.

فأقول: أما هذا القول الذي رمانا به، والبُهت الذي نسبنا إليه من التغيير والتبديل في أمر هذه الأعياد المذكورة المشهورة، فليس هو شأننا، ولا شأن ساداتنا وإخواننا، بل بحوله تعالى دائماً سالكين المسلك الواضح، ومتجرنا هو المتجر الرابح، وثابتين على ما ارتسم من لدن السادة السالفين، والعصابة الموحّدين من الأعياد والمواسم والقوانين من مواليد الأنبياء والأئمة وما أظهروه لمواليهم وتابعيهم من الهدى والبيّنات، والقدر والمعجزات، والتصريح والإعلان والكشف والبيان مما أفصح عنه الشاب الثقة أبو سعيد ميمون بن القاسم الطبراني قدّسه الله في كتاب مجموع الأعياد، وبيّنه على الترتيب والقواعد

الأصلية الداخلة في حكم الأشهر الاثني عشرية المنصوص عليها في محكم الكتاب على لسان خير البرية بقوله: إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق الله السموات والأرض...منها أربعةٌ حُرُمٌ ذلك الدِّين القيِّم فلا تظلموا فيهنّ أنفسكم... فعرّفنا وعلّمنا أن أشهر السنة اثنا عشر شهراً، لا تزيد ولا تنقص على اختلاف التواريخ والألسن واللغات، ويكفي العارف لفظة شهر، فإنه إنما سمي الشهر شهراً للاشتهار والبيان والشاهد بذلك قوله تعالى: فمن شهد منكم الشهر فليصمه، فقوله /شهد/ بمعنة/ نظر ، أي من نظر منكم الشهر فليصمه يعني فليكتمه عن غير أهله وعارفيه، هذا في بعض البواطن، ثم ثال الشاب الثقة: فأول التواريخ سنة الفُرس بلغة الفرس إفروزديرماه وازد بهشتماه وجردادماه وما يليه من شهر السنة، وأول يومٍ منه يوم النوروز، وأول سنة الروم/ كانون الأول وكانون الثاني وشباط وآذار، وفي العشر الأخيرة من كانون الأول أظهر السيد المسيح الولادة. وأول السنة العربية في القبة المحمدية: المحرّم وما يليه من الشهور، وأول سنة الموحِّدين أعني الطائفة الخصيبية الجليلة الجليّة: شهر رمضان وهو أول الشهور على ما رتبه السيد أبو عبد الله نضر الله

وجهه في رسالته حسين سُئل عن السنة والاثني عشر شهراً. وعن شهر رمضان فيها وعن الثلاثين يوماً أيامه، وعن الثلاثين ليلة لياليه، غنينا عن شرحها في هذا الموضع. هذا ما رتّبه السيد أبو عبد الله نزّه الله شخصه، وههنا إشارةٌ دقيقة يستعملها العارف البالغ ويلحظها من قول رسول الله صلعم حين قال أصحابه: يا رسول الله قد ذهب رمضان، فقال صلى الله عليه وسلم: رمضان لا يذهب ولا يجيء ولا له عوضٌ بل شهر رمضان يذهب ويجيء عوضاً، فلا تقولوا رمضان فإنكم والله لا تدرون ما رمضان ، ولكن قولوا، شهر رمضان فإنما تشهدون الشهر وأما رمضان فلا تقدرون أن تشهدوه، ثم ذكر من شرفه وفضله ما يزيد العارف رغبةً وشوقاً إلى أن قال: أوله شهادة وأوسطه رفاعة وآخره معرفة، فمن فهم الرمز فقد ظفر بالكنز، ومن وقف عند الجدار فما استكمل المدار. وقد قيل إن لفظة رمضان تاريخ ما بين غيبة محمد بن الحسن الحجة إلى حين ظهوره بالكشف، فلذلك جعل صيامه فريضة وهو في الباطن كتمان معرفته إلى حين ظهوره كشفاً. فعندها يُؤذن لعباده بالتصريح بمعرفته والإعلان بولايته ويرفع عنهم التقية التي أمرهم بها وهي كتمان معرفته عن غير مستحقيها، فحينئذٍ تُبلى

السرائر يعبدونـه جهراً في المآذن والمنابر، والفطر الذي أمرهم بإخراجه هو التصريح بالتوحيد لِما أوراهم من زيادة الكشف عند التجلي باللطف، وشخص الفطر فهو السيد الميم إليه التسليم، وإنما جعل هذا العيد أول الأعياد لأن السيد محمد هو أول الأعداد، ولذلك الأضحى وهو عاشر ذي الحجة وهو اليوم الذي لا يثبت حجُّ الحاجّين بدون التعلق بصحة معرفته ليلة عرفات على الجبل المشهور الذي تعارف برحبه أهل النور عند الاعتراف بالشخص المتجلي لهم بالنور، فاستمعوا كلامه وشاهدوا مقامه وحققوا أعلامه، فجوزي عارفوه بقبول الأعمال وحسن الإيصال وجوزيَ الشاكّون فيه المنكرون تجليه بالنّحر وإهراق الدماء في الموضع الذي سبق لهم فيه الإنكار، وأجرى عليهم السُّنّة إلى يوم الرجعة البيضاء والكرّة الزهراء وكشف الغطاء وظهور القائم الذي هو شخص هذا اليوم بالسيف وإهراق دماء أهل الفاسد والحيف حتى لا يبقى على وجه الأرض نجاسة ولا خيانة ولا رجاسة ، كناصر وأقرانه، وهو قوله تعالى: ورددنا لكم الكرَّة عليهم، وقوله تعالى: يسألونك عن الساعة قل عسى أن تكون قريباً. وكذلك العيد الخطير المسمّى بيوم الغدير لمنسوب إلى خمٍّ وهو مجمّع الماء المنضمّ الذي غادرته السيول

فلمحتـه العقـول فبـدا بالانفجـار لئـلا تشـربه الفجّـار، وهـو اليـوم الثامن عشر من ذي الحجة الذي أظهر فيه السيد الميم التسويغ كما أتته آية التبليغ فبلّغ ونصح وأشهر وأفصح بقولـه: مـن كنـت مـولاه فهـذا علـيٌّ عنـاه، فحقـق نطقـه واسـتيقن نصـحه الرجـل السـعيد، وكـذّب قولـه وافتتـن بادعائـه الشـقي البليـد. وكـذلك يـوم المباهلة وهـي الـدعاء علـى الظـالم بيـن سـائر العـاولم، وذلـك لمّـا استحكم الحادي والعشرين من ذي الحجة لإثبات المحجة تحركت أهـل المدينـة بالاعتـداد والزينـة لمباهلـة السـيد النـاطق باسـتعلام الحقـائق فاسـتعلن النـور الأزهـر عنـد الكتيـب الأحمـر بـإزاء القبـة العتيقـة وأضـاءت اللـوائح النورانيـة مـن داخـل العبـاءة القطوانيـة امتحانـاً للعصـابة النجرانيـة كامتحـان العـوالم النورانيـة، فـأذعنوا بالتضـرّع والإنابـة أهـل الإقـرار والإجابـة ولمـا تناهـت العشـرون والتسـعة وأظلمـت البقعـة تحركـت ذوات الظلمـة علـى نـبيّ الأمـة فدخل النبي المشهور إلى غار النور، وجلس مكانه وعلى فراشه الإمام الغالب عليّ بن أبي طالب، فلما هاجموا الدار، استهل لهم صاحب الأنوار، وفي يده ذو الفقار، فيئسوا ورجعوا بطلب الآثار، مـن النـبي المختـار، إلـى أن وافـوا بـاب الغـار فصـدّهم النسـج الرقيق، وحُجبوا بالحيران والتعويق عن رؤيـة التحقيق كل فاسق

وزنديق، ولاح لأهل التصديق بحرٌ عميق بجانب الغار المعمور تعوم فيه الجواري وتلتقط منه الدراري، منه بزغ النور المستبين لأهل الهداية والتمكين من ذلك الغار الحصين واسهلّ الأمير من الفراش وتطاير إليه الفراش إلى أن كان يوم عاشوراء المحرَّم والموسم المعظّم الذي اظهر فيه السبط الشهيد الغيبة بالقتل الواقع بالرجس الضالّ المضلّ وهو الذي سنّه وجناه ، فلحق به ويمن تولاه. ولحق بذلك النور الزيادة والعظمة، وتناقصت الظلمة. وانكشف الحجاب المستور... ومثله تاسع ربيع الأول، فقد فاز من على العلم والعمل به عوَّل، وفيه مقتل الدلام الذي هو أصل الأنصاب والأزلام والقول فيه مشهور ،كما هو في يوم عاشور... وكذلك ليلة النصف من شعبان في كل عصرٍ وأوان، فإن فيها يفرق الأمر الحكيم عند تجلي العلي العظيم، وذلك من غروب شمسها إلى طلوع فجرها للمشاهدين له بعين الحقيقة والكمال. ومحجوبٌ عن أهل الجهالة والضلال، وفيها قتل ضلال ووبال، وأبيدا بالخزي والنكال وانجلتِ الظلمة عن بصر المبصرين عند أفولهم فلا تُرى ، واشرق النور الوجود مستنيراً بما ذرا وبرى، فقسم لهم رزقهم ووفاهم حسابهم من عام إلى عام...

فهذه الأعياد العربية التي نص على شرحها الشاب الثقة بالرايات والأسانيد والاستشهادات عن الموالي والسادات. وكذلك الأعياد الفارسية أربعة ، كما تقرر في هذا لكتاب الموضوع عن الشاب الثقة: فمنها عيد المهرجان الذي قال فيه السيد الرسول في الحديث الشريف ، أمراً منه لمن أرسل إليهم وهو قوله: مهرجوا ونورزوا، فالمهرجان هو السادس عشر من تشرين الأول، والنوروز يوم الرابع من نيسان، وقد يُطلق على سابع عش ر آذار... وهذه الأعياد المذكورة شرحها مشترك مع بعضها، ومعها خميس نيسان وهي أعياد ومواسم فارسية استعملتها الفرس وفيها إشارتٌ عميقة، غرائب أنيقة مكنوزة في طباق الكنوز وفيها حصل الكلام على الطبقات الأربع الفارسية، فالطبقة الأولى تسمى البهمنية الكبرى، والطبقة الثانية تسمى البهنمية العظمى، والطبقة الثالثة تسمى البهمنية الحمراء، والطبقة الرابعة تسمى البهمنية البيضاء...

وكذلك أحيا الشاب المسجّى على السرير في مغارة بيضاء الصين، وبإجماع أهل التوحيد أن الشاب المسجّى على السرير هو محسن الخفيّ، فهل يجوز في فطن أرباب الفطانة أن محسن الخفي الذي هو أحد أشخاص الميم يُحشر في مغارة أرضية إلى

يـوم القيامــة ولا يقـوم إلا فـي يـوم نـوروز فيحضـر لمشـاهدة المولى. فهذا شرحٌ لا بد لـه من معاني عند الواقفين علـى حقائـق الأصول والمباني ولو جاز رسمه لرسمناه رداً على هذا المتكلم بهواه. وأما ليلة الميلاد فهي مولد السيد المسيح إليه التسليم، وذلك في ربوةٍ ذات قرار ومعين لقوله تعالى: وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى ربوةٍ ذات قرارٍ ومعين، وفيها يقول السيد أبي عبد الله الخصيبي نزّه الله شخصه:

وربوةٍ ذات قرارٍ معين بها مريمٌ ولدت بالغلامْ

بيسى المسيح فديتُ المسيح وإني به لشديد الغرامْ

ومعراج أحمد نفسي فدا لمعراجه بين هاءٍ ولامْ

وفي الهاء واللام دقيقةٌ وإشارة لأهل البصيرة والعبارة. وبالجملة فإن قصة ميلاد المسيح من لعجب، وقد أوضح ذلك الشيخ الثقة أبو الحسين محمد بن علي الجلي في رسالة المسيحية في الباب الأول في معرفة ظهور المسيح من مريم، وهو ما خبّر به آلياً صاحب السادة الممتحنين من أرض فلسطين وبيت المقدس وطبرية والشام وكرسي المغرب والاسكندرية وقيسان، فكان ما خبّر به يوحنا من ميلاد العذارء مريم في بيت لحم وما صنعته في الأردن مع يوحنا المعمدان يوم الزنج، ما أظهر يوشع لما

دخل إلى بيت المقدس، وسمّاه الشعانين، وما ذكره يوم صعوده إلى السماء، وسماه السّلاق، وما خبّر به قبل قيامه الذي حقق فيه البعث وسماه الفصح، وما امتحن به الخلق يوم نزول روح القدس على الحواريين بظهيرا، وسمّاه القسطنطيني وهو يوم العنصرة، ما اظهر يوم وجوده الصليب الذي أظهر تعليقه عليه وسماه عيد الصليب، وما فسّره لوقا لمّا تبعه سيدنا أميّا وتحذيره لبولص الممتحن والدعاء لله رب العالمين. وإن قصة ميلاد الأبد هو حالٌ يعجز عن وصفه الواصفون، إذ ليس ثم ولادة وإنما هو ظهور، ومريم حجاب على قلوب العارفين والجاحدين، وإن السيد المسيح لا يوصف ابتداؤه ولا يُعرف انتهاؤه ولا يلحقه كيف بحكايتها، ولا متى لتوقيتها وإنما وصف يوحنا بن زيد الإنجيلي بحسب ما ألهمه روح القدس وأوحى به إليه، وما خبّر به أن مريم العذارء يبدو لكم منها نورٌ، من نورٍ يسمى عمانوئيل معناه إلهنا أو اسمه أضا العجب والبديع والمسدد والمرشد والهادي وأوب العالمين. وسيدنا لمسيح ظهر من غير نطفة ومياغضية واسمه آدم الدوّام، وقالوا أهل الظاهر أنه آدم ثاني، والذي قاله متّى ومرقس في الكتاب أن الجوهر والعرض واللسان المحدِّث به هو المسيح، وهو الشبح والخيال وهو الظاهر من أبيه الموجود

لطالبيـه، حامـل خطـاب العـالمين لأُنـس المحقّيـن، فيـه إشـارة للمسترشـدين وهـو تمـام الكلمـة الـتي ألقاهـا لمـريم وهـو المالـك للملك والعالِم عبيده وإنما السيدة مريم سترٌ على ذلك ، هذا ما نُسخ من ذكر الأعياد العربية والفارسية والرومية، مما هو عندنـا مشـهور، وفـي كتبنـا مسطور عـن الأئمـة الطـاهرين والأنبيـاء المرسلين ومن اقتدى بهم مـن المؤمنين العـارفين التـابعين، وهو عنهم منقول وإلينا مبذول، خلَفاً عن سلف، ولاحقاً عن سابقٍ. وآخر عن أول، والفضل فيه للسابق ولا يُدرك فضله اللاحق. هذا مـا اعتقدناه عنهـم واستمددناهم مـن لـدنهم مـن غير تبـديل ولا تغيير، ولا تقديم ولا تأخير. ولا نستجيز الميقات الليلـي نهـاراً، ولا النـهاري ليـلاً، ولا التقـديم والتـأخير إلا للضـرورة، وكـذلك الليالـي والأيـام الشـريفة الـتي توقعـت فيهـا مواليـد الأنبيـاء والمرسـلين والأئمة منهم السلام وما أظهروا من القدر والبراهين، فنحن بهـا مقرّون وبشروطها عاملون ولشرحها فاعلون ولخطبها وأدعيتها حافظون وعلى أسرارهم مستحفظون، وهـي عنـدنا معلومـة، وفـي كتبنا مرسومة، ولو قصدنا ذكر اليسير منها لطال الكتاب فمنها ما ذكره الأمير حسن ابن مكزون السنجاري تغمّده الله برحمته ، وأثبته من الأدعية والخطب والزيارات الـتي يجب استعمالها بين

السـادات فـي المجـالس والخلـوات فـي هـذه الأعيـاد والمواسـم المعظّمـة والأيـام والليـالي الشـريفة المكرمـة ، فمنهـا ثالـث ذي الحجة المعظّم ويسمى العيد السليماني وهو اليوم الذي قال فيه مولانا أمير المؤمنين منـه السلام للسيد سلمان إليـه التسليم: : اسأل أعطيك البيان وأمنحك البرهان، وأقامه علماً. وكذلك العيد الجـابري وهـو اليـوم السـابع مـن ذي الحجـة. وكـذلك تاسـع ذي الحجة وهو اليوم الذي أظهر فيه سيدنا جابر بن يزيد الجعفي الـدعوة بمعنويـة مولانـا بـاقر العلم منـه الرضـى والرحمـة، فآمـن يدعوتـه المؤمنـون وكفر بهـا الجاحـدون. وبهده العاشر من ذي الحجـة وهو الأضحى وقد مرّ القول عليـه في ما تقدم. ومنهـا اليـوم الحـادي عشـر مـن ذي الحجـة وهـو اليـوم الـذي رفـع فيـه مولانـا الصـادق جعفر بـن محمد منـه السلام أبا الخطـاب محمد ابـن أبـي زينـب الكـاهلي عـن التأهيـل إلـى البابيـة بـالنطق بعد الصمت، وقال لأوليائـه: من كنت لـه رباً فمحمد ابن أبـي زينـب وليّه، ومن كان عدوّه فأنا عدوه، وقد صرّح ونـادى أبـو الخاطب على مئذنة الجامع في الكوفة بمعنوية المولى جعفر منه السلام، وذلك في اليوم الثـاني عشـر من ذي الحجـة عنـد امتزاج الاسـم بـه، فنُشـرت دعوتـه فـي الآفـاق فأجابـه المهتـدون وأنـاب إليـه

العارفون وقعد عنه الضالون وأنكره الجاهلون.

ومنها السادس عشر من ذي الحجة وهو اليوم الذي أعلن فيه سيدنا عمر بن الفرات اليوم الذي أعلن فيه السيد أبو شعيب إليه التسليم في سرّ مرّا، بمعنوية مولانا الحسن الأخير العسكري منه الرحمة لعافيه، ولهذا اليوم شرفٌ عظيمٌ وفضلٌ كبير يجب على المؤمنين الاجتماع فيه والتحنّن على عارفيه.

ولو ذهبنا إلى ذكر شرح الأعياد والمواسم والأيام المعظّمة والليالي المكرّمة أو نعتنا البعض من أفضالها، اتسع الكلام وعجزنا عن الحصر، وعلى هذه القوانين وجدنا ساداتنا وأسلافنا الأقدمين وعلماءنا البالغين، ونحن بحول الله تعالى بعُرى عقائدهم مستمسكين ومن فيوضات غدران علومهم مغترفين ولفضلهم وإحسانهم في كل حين معترفين، لا تاركين ولا ناكلين ولا مدّعين ولا مبتدعين، لسنا كما تقوّل علينا هذا المسكين، من تغيير القوانين والابتداع في الدِّين بل إنما ذلك دأبه وشأنه فهو كما قيل: إن الشرير لا يظن بالناس خيراً لأنه يراهم بعين طبعه، ثم قال هذا الغِمر المغتاب المتلبّس المرتاب ما زوّره علينا ونسبنا إليه من تغيير الأعياد والمواسم والتقرّب لرب الأرباب، وهو قوله:

/ ورأيتُ لهؤلاء الجماعة شيخٌ كبيرٌ اسمه الشيخ معلا وهو قاطن يومئذٍ في قرية مجدلون البستان في ناحية صافيتا وله ولدين شباب كهول اسم الواحد سلامهْ والآخر سلمان ويعتقدون فيهم أناس كثير ينوف عن ثلاثين قرية، وسمعت عنه أنه يقول القرآن من قول عثمان بن عفان، وإذا جاء وقت عيد من أعيادهم المذكورة ويكون ذلك العيد يصنعوه بقريتين أو ثلاثة. فيقول للواحد منهم: اصنع قربانك في هذا اليوم، وللآخر أنت أخّر ميقاتك إلى ثاني يوم أو لثالث يوم خوفاً لا يصير إمامٌ في البلدة غيره لأجل سحت الدنيا، وهذا غير جائز عند المؤمنين.../.

فأقول: فأما ذكره بهذا القول فعليه عائده، وعنه شيدت قواعده وهي عادةٌ منه ظهرت وسجيّة عنه اشتهرت ولقد أخبرني بعض الشيوخ المتقادمين ممن يوثق بأمثاله أنه نقل عمّن ثبت صدقهم واشتهر حقهم أن هذا الحائر الولهان كان دأبه الدوران في النواحي والبلدان، وأنه في كل عامٍ يطوف بلاد صافيتا غرباً وشرقاً، وينوش القرابين ويحرم المساكين، ولا أحدٌ في بلاد صافيتا يجسر يصنع صنيع أو يقرّب قرباناً أو عيداً بير حضوره ، حتى ظهر الشيخ معلا المذكور، فأزاله عن رتبته، لما رأى من

ضلاله وشقويته، وتغييره قواعد الدين وسنن سيد المرسلين فعند ذلك اقتحم السّفه والفجور وارتكب جادّة الغرور، وابدا يُشنّع على الشيخ معلا بالقول الشنيع والكلام الفظيع والرأي الوضيع، واتّهمه أنه نسب القرآن إلى عثمان ابن عفان الذي هو باب الكفر والطغيان، والظلم والعدوان، وحاشا شيم الشيخ معلاّ من هذه التهمة، وأنه ينسب النور إلى الظلمة ثم إنه لم يرض هذا المرهوص بما تكلم من الكلام المنقوص حتى قال على الشيخ معلا أيضاً:

/ وإنه يحضّر التلميذ، فيأخذ عليه العهد والميثاق لوقبة بغير تدريج ولا طريق يُعرف كما جرت عادة المؤمنين في مجالسهم وترتيبهم لأن التلميذ أولاً يحضّره والده بعد الوليمة ومشورة الإمام والنقيب إلى بين يدي الإمام بحضور الجماعة، فإذا شهدوا له الجماعة بالاستحقاق فيأمره النقيب أن يختار له سيداً يشرب ساره، ويخدمه مدةً غير معلومة، ويتعلم منه آداب الدِّين وخدمة المؤمنين، ويأمر الإمام سيده أن يعلّمه قواعد الإسلام والصلاة والصيام... ومرّ في ذكر هذه الشروط المعلومة إلى أن قال: ونرجع ف الشرح إلى من ذكرنا، فإنهم لا يفعلون هكذا ويدعون أنفسهم مؤمنين، وليسوا بمؤمنين، كما قال الله لموسى عليه

السلام: يا بن آدم، تحب المومنين ولست منهم وتبغض الكافرين وأنت منهم/.

فأقول وأعتاذ بالله من هوادير الكذابين يرومون الانتصار بالتخريص والفشار ، أما علموا أن الكذب لا تقوم به حجة المدّعين عند المحقّين، ولا يسلك في طريقة الصادقين بل هو صنعة المنافقين وسجية المتآكلين في الدين وهو رأس النفاق وطريق الشقاق، وهذا الرجل فقد جعله مطيةً ومركباً في الجلوس والسفر الغيب والحضر، فبئس مركباً ارتكبه الخاطئون، وهو أهزل مطيةٍ امتطاها الجاهلون وما رغب هذا الرجل بذلك إلا ليسود عند شعبه بما رمى خصمه من البهت والكفر مع عدم السلوك على جادة أهل الصدق فحقّ فيه قول الحق تعالى: وترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودةٌ أليس في جهنم مثوىً للمتكبرين، وما تفوّه هذا الرجل بالكذب إلا لتصور الكبر المؤدي للهوان، لقوله تعالى في الزبور: من عوّد لسانه الكذب أهنته عندي، وقال أيضاً: من كذب عليّ أو على أحدٍ من رسلي أو قال بالرياء، عقلته في النار بأنياب الحيّات طول كل حيةٍ كالبُختى تنهش اللحم وتمزّق الجلد وتفري الأمعاء، فكيف يسوغ لهذا الرجل الطعن في طريقتنا والقذف في عقيدتنا مع علمه بأننا

مقتفون أثر السادة السلف من أهل التوحيد ومرتبطون على ما أوجبوه لنا من أمر التلاميذ ولا نستجيز إلا ما أجازوه لنا مما هو مرسومٌ في كتاب الحاوي في معرفة الفتاوي مما تلقّته الشاب الثقة من الشيخ الثقة الذي هو القدوة بعد غيبة الشيخ السديد الموفّق الرشيد السيد أبي عبد الله الحسين بن حمدان الذي تجمّل به الزمان ولابد من ذكر طرف من ذلك مما هو موضوح في هذا لكتاب المشروح في الفصل الثاني في معنى شرب السار للمؤمنين عامةً.

الجواب: إن معنى شرب السار للمؤمنين عامةً من التلاميذ أولاً، فهو بمعنى الاستغراق والتأنيس وأن يشاور النقيب بذلك وأن يكون له معرفة متقدمة ببعض الإخوان ومعرفة بالنقيب عاشره واستدرجه بما يحتمل من ظاهر القول.

وهو التشيّع والولاء والبراء أولاً، ثم يشاور النقيب الجماعة ويستأذن له أن يشرب السّار للمؤمنين فإذا أجابوه لذلك جمعهم في مكانٍ واحد، وأحضروا ما تيسّر من شرابٍ وطعامٍ ومن عبد النور، لقوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأذنوا وتسلموا على أهلها ذلكم خيرٌ لكم لعلكم تذكَّرون. ولا يجوز دخوله إلا بإذن الإمام والجماعة، فإنّ

الاحتراز هو هذا لقوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم... وقوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدّموا بين يدي نجواكم صدقةً ذلكم خيرٌ لكم وأظهر... ثم قال: وأما معنى شرب السار بالتعيين لشخص معين فهو بمعنى الإملاك بالزوجة، وينبغي أن يجمع الإخوان لمحضر شرب السار كما يُجمع الناس لإملاك الزواج، وأن يخطب النقيب خطبةً حسنة وأن يوضع على رأسه ما قدر من نعال الجماعة صغيراً أم كبيراً، غنياً كان أم فقيراً، شريفاً كان أم وضيعاً وأن يفهّمه النقيب الآداب الشريفة حال دخوله إلى المؤمنين، فإن كان ذلك الشخص ممن يستحق التعجيل فلا تؤخر أكثر من شهر، وإن كان ممن يشك في خدمته وعشرته فيُترك ما شاء الله إلى أن يبلغ الكتاب أجله، فحينئذٍ يعزم عقدة النكاح وهو التعليق وزمان ما بين شرب السار والتعليق ليس بمحصورٍ بزمانٍ وأما حق التعليق فهو الدخول بالزوجة والنكاح لأنهما قد تعاقدا حال التعليق على عمس وهو وقوع النطفة في الرحم، وأقلّ مدته ستة أشهر للشيخ الكبير، وفي السابع تُرجى السلامة، وأوسطه تسعة أشهر للشاب المتوسط وللشاب الصغير ينتان، ولكلٍّ من هذه الثلاثة سببٌ يُوجب العدة فيه، ويجوز عندنا وصول الشاب

الصغير الذي قد بلغ الحلم، والشاب المتوسط، والشيخ الكبير، لأن السيد عيسى أُوحي إليه وهو طفلٌ صغير، وأُوحي إلى السيد محمد وهو شابٌ وأوحي إلى موسى وهو شيخ كبير. ولنا في ذلك مثلٌ كبير يعلمه العلم والفهم، يدل على الوجود المشرق لكون الأنوار، تركناه لعدم إقرار الخصم بمقتضاه، ويجوز عندنا التعليق ليلاً ونهاراً، وأما السماع فلا يجوزها نهاراً إلا إذا كان في دهليز، وبعد التعليق فلا يجوز حمل النعال، وأما مدة الرضاع فهي عندنا حولين كاملين، لقوله تعالى: والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة... وقد يتفقّه الطالب في أقل من ذلك، وأما الذي يجوز عندنا في ليلةٍ واحدةٍ بغير تدريج فهو الذي أخبر عنه في الفصل الخامس من هذا الكتاب الموسوم بالحاوي، وهو قوله: ولا يجوز لمؤمنٍ يُسمِّع تلميذه كلمة التوحيد ثم نسي الدستور، أن يسمّعه مرة ثانية من ولده الحقيقي الذي كان تلميذاً له، ولو اضطر إليه لأنه بمنزلة الأم، والتلميذ بمنزلة الولد... لقوله تعالى: حُرّمت عليكم أمهاتكم وبناتكم. ولا يجوز لذلك الناسي أن يسمع ذلك إلا من عالمٍ خبير بعد شرب السار والتعليق الجديد والسماع لكن بغير تدريج لأنه كان مطّلعاً، فيجوز له ذلك في ليلةٍ واحدةٍ لأن ليس في

استدراجه فائدة، وكذلك التلميذ الذي توفي سيده من قبل نجواه فله حكمٌ آخر...

فهذا هو رأينا ومنهاجنا وطريقتنا الذي عليه سلكنا بإجازة الشيوخ السلف فلا نستجيز السلوك على غير طريقهم ، بل متقنين ذلك لاحقٌ عن سابق، كما رتبونا وأدّبونا وعلّمونا مما هو من تعاليم الموالي منهم السلام، فتمثلنا بأفعالهم وتشبهنا بخصالهم اقتداءً بهم، كما قال مولانا الصادق منه السلام: تشبهوا بنا ولا تنفردوا عنا، ولهم الفضل علينا في ما به عنينا لأن الفضل للمبتدىء ولا يدرك فضله المقتدي، والنعمة التي جرت على أيدي السابقين لا يبلغ شكرها اللاحقون، ومع ذلك فقد اخرجنا هذا الولهان من سجايا أهل الإيمان بقوله علينا:

/ ويدون أنفسهم مومنين، وليسوا بمؤمنين./

فلقد صحّ فيه قول المولى الصادق منه السلام: من اغتاب مؤمناً فقد برىء من اللهو وبرىء الله منه، ومن نظر في مساوئهم لم يقبل الله حسناته، ومن نظر في محارمهم أبلاه الله بالعمى، ومن مشى لهم بسوءٍ أقعد، ومن شهرهم أبرص... ثم لم يرض بما قطع به علينا من الذمّ، وتبسّل به من الشتم، حتى طعن على كليم الله موسى عليه السلام ، بقوله:

/ وأنّ الله قال لموسى: يا بن آدم، تحب المؤمنين ولست منهم، وتبغض الكافرين وأنت منهم../.

فأعوذ بالله من هذا القول الذي هو الكفر الصراح والإفك المباح الذي تقشعر منه الجلود، وتشمئز منه القلوب لمّا أخرج موسى به الذي هو اسم الله الأعظم وحجابه الأكرم، من جملة أهل الإيمان، بقوله: /تحب المؤمنين ولست منهم/ وأدخله ، العياذ بالله، في جملة أهل الكفر بقوله /وتبغض الكافرين وأنت منهم، تعالى اسم الله الأعظم عن فرية هذا الرجل الأثيم، وإنما هذا القول في نفسه واقع وإليه عائد وراجع، كما أنه كان يتظاهر بالإيمان وهو منطوي على الجحد والطغيان كحسب الأمثال والأقران الذين وصفهم الرحمن في بعض آيات القرآن بقوله تعالى: وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنّا معكم إنما نحن مستهزؤون . وقوله تعالى: وقالتِ الأعراب آمنا قل لن تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم... ثم تصدى هذا الرجل بزهوٍ مستعارٍ، وأسنده إلينا معيار، وهو لاحقٌ في نفسه وفي من هو من أبناء جنسه، وهو قوله:

/ وإذا حضروا بين الأضداد وصلّوا، فلم يصلّوا معهم، ولا

يتكلمون بشيءٍ من العلوم الظاهرة ولا يعرفونها ولا يحسنون قراء القرآن، وإذا سألوهم عن أمور دينهم فلا يجيبونهم بشيء حتى يصيروا كالأسرى بين أيديهم، ويسبّونهم في وجوههم ويلعنوهم ويلعنوا كل من هو من جنسهم، ويستحلوا قتلهم وقتل جميع طائفتهم لأجل تقصيرهم وقلة معرفتهم فيكونوا بفعلهم هذا قد اشتاطوا بدماء المؤمنين، وصاروا جميع أهل التوحيد مذمومين لأجلهم ويكونوا عاراً على أهل البيت الشريف، كما قال المولى جعفر منه السلام: كونوا لنا جمالاً، ولا تكونوا عاراً علينا.../.

فأقول: أما إنه لو تفقه هذا المتشبّه بقوله هذا ، لوجده عليه رداً، وازداد من الإنصاف بعداً، كونه يعتب على غيره بترك أشياء وهو لم يفعلها، ولازم لم يلتزمها، فكان الواجب عليه أن يحكم على نفسه أولاً بفعل ما عتب على غيره بتركه، كما قيل: كفاك أدباً لنفسك اجتناب ما تكرهه من غيرك، وقيل: عزّ الشريف أدبه، وقال الله تعالى مخاطباً لعيسى ابنمريم تعليماً لنا: يا عيسى ، عِظْ نفسك فإن اتعظت فعِظ الناس وإلا فاستحِ مني.

ولله در القائل شعراً:

يا أيها الرجل المعلِّم غيرهُ هلاّ لنفسِك ذلك التعليمُ

تصفُ الدوا، تبري الجسوم من الأذى كيما تصحُّ وأنت سقيمُ

وأراكَ تُفلجُ بالرشاد عقولنا   ولأنت عن سُبُلِ الرّشاد عديمُ
فازجر لنفسك وانهها عن غيِّها   فإذا انتهت عنه فأنت حكيمُ

وقال غيره:

ومن أعجب الأشيا طبيبٌ مصفِّرٌ   وأعمَشُ كحّالٌ، وأعمى مُنجِّمُ

ونحن بحوله تعالى للصلاة قائمون، وللزكاة فاعلون، وللشهر صائمون، وبما أمر الموالي مؤتمرون، لا تاركين ولا ناكبين ولا مذيعين ولا مبتدعين، إذن نحن أحق بالانقياد لهذا الأمر، إذ هو الموضوع على ما خفي من السرّ، فلقد ازداد علينا هذا الرجل بما وصفنا به من الخروج عن القوانين، وترك التقية التي هي سلّم العروج إلى معرفة الأسرار الخفية، ونحن أحق بها وأهلها من قوله تعالى: وألزمهم كلمة التقوى فكانوا حق بها وأهلها... وما مراد هذا الرجل بذلك إلا تزكية نفسه وهدم رتبة غيره، فكيف نهمل التقية وعندنا معرفة أسرارها الباطنة وأشخاصها الجلية الذين تفضلوا علينا بالوصول إلى معرفتها شيوخ هذا المذهب وأسوة هذا الطريق الذي هو أشرف الطرق، إذ هو الطريق إلى الحق... ثم ذهب هذا الجنعاظ يهرف بأشوهِ الألفاظ، ولفق حديث / قصته مع الشيخ معلا بالهذر، وزوّق ذلك بقلمٍ حبّره

بلسان الكفر والنجر وهو قوله:

/ ولما سمعتُ بأخبار هذا الشيخ المذكور وتبّاعه من هؤلاء العصابة الجهلاء – يعني بذلك الشيخ معلا وأتباعه – ثم قال: فقلت في نفسي ، أنا أمشي إليه ، وانبّهه من رقدته وغمرة سكرته وشوم جهله فعسى أن تؤثر نصيحتي به وأكسب أجره، وامتثلتُ قول الله تعالى: ومن أحيا نفساً واحدةً فكأنما أحيا الناس جميعاً... وهو قاطن يومئذٍ في قرية مجدلون البستان، فمضيتُ إليه ونزلتُ قريباً من قريته، في قرية المندرة عند الريّس علي، وأرسلت وراه رسول فأبى أن يحضر إلى عند الفقير، فتركته ورجعت وصبرته نحو سنتين فاتصلت إليّ أخباره فعاودت إلى القرية المذكورة إلى عند الريس علي لأنه منصب كبير، وكان لي به معرفة متقدمة، فأرسل الريس علي المذكور وراه رسولاً ثاني فخرج معه إلى خارج قريته ورجع ولم يحضرنا، فتركته مدة السنتين وأتيت إليه ومعي الريس سبيمان من قرية تنورين، والشيخ علي ابن زريق من قرية مفر كمرة.

والشيخ علي المذكور كان رجل ذكي ومتكلّم بالعلم ونظم الشعر، ونزلنا في قرية أوبين عند رجل اختيار يقال له يوسف بن محمد، يُعرف بالمليح وابنه عيد المنعم وهو كان يقرأ شيئاً من القرآن،

وكلمناه ما في خاطرنا، فامتثل أمرنا وقابلنا بأحسن قبول وأرسل ورا الشيخ معلا المذكور، ورسم أنه يحضر هو وأولاده وتوابعهم من المشايخ ومن يريدوهم، فحضروا وحضر الريس علي من قرية المندرة، فلما حضروا وهمّينا في الكلام، فقلت لهم: إخوتي الفاتحة، وقريناها جميعاً، فقلت اللهم إني أسألك يا مولاي بحق هذه الفاتحة وحرمة الفاتحة وفضل الفاتحة وأسرار الفاتحة ومن أنزل الفاتحة ومن نزلت عليه الفاتحة أن تجعل هذه الفاتحة في صحائفنا وصحائف والدينا وصحائف السادة الحاضرين ووالديهم. اللهم بحق هذه الفاتحة من كان منا على الصواب ومعه الحق أن ترزقه بركة الفاتحة، ومن كان منا على غير الصواب ورجع عما هو عليه اللهم أرزقه ثواب هذه الفاتحة ومن تكبر منا وعاند ولم يرجع إلى الحق اللهم اجعل هذه الفاتحة خصمه في الدنيا والآخرة، وحجةً عليه لآله والسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين. ثم إني قلت لهم: يا إخوتي أنا ما جئتكم طالب رئاسة ولا أريد أن أتكبر عليكم وآخذ منكم منصباً أو أصير شيخاً في بلدتكم وأنا بقيت رجل كبير هرم ماني طالب غير الأجر والثواب من الله تعالى والنصيحة لكم وما جئتكم بكتاب من عندي ولا شِعر، بل أنتم احضروا لي من كتبكم ما

يؤيد طريقتكم التي أنتم عليها من عبادة القاف. فقال الشيخ معلاّ: هذه طريقة آبائنا وأجدادنا لا نغيّرها أبداً ولا نموت إلا عليها. فقلت له وللحارين: آتوني بكتاب من كتبكم يدل على صحة طريقتكم هذه فآتوني بكتاب المعارف وهو كتاب شريف، وبدأ منهم رجل يقرأ فيه، اسمه محمد، وهو أفقه منهم ويمر به صفحاً ولا يحسن قراءته فأخذته منه وقرأت لهم فيه ففلجتُ حجتهم لأنهم لا يصنعون الأعياد والمياقيت المعينة فيه ولا في غيره من كتب أهل التوحيد، والأعياد الذي يعملوها ما هي موجودة ولا لها ذكر ولا شرح في سائر كتبنا إلا من تلقاء أنفسهم فعند ذلك عجزوا عن الجواب. فتكلم الريّس علي المذكور وكان يقرأ بعض شيئاً من الكتب وقال: يا شيخ، القرآن أفضل أم الدستور الذي نحفظه؟ فقلت له: القرآن أفضل وأقدم، وعنيت به أنه اسم الله الأعظم الذي لا يقدمه شيء غير باريه ، فتكلم بحماقة وقال: الدِّين الذي القرآن أفضل منه نحن لا نريده، فقلت له أنت إيش جابك للعلم وما أنت له أهلاً ولا تعرفه، فما أنت وسبعين واحد مثلك بسعر طعنة من وطا عالم، فأخّرته وقصّر عن الجواب. بعدها فتكلم رفيقي الشيخ علي فاستثقلوا كلامه وقالوا لا يتكلم منا ومنكم أحد غير الشيخ ناصر وخصمه

الشيخ معلا، فتكلمت معه فلم يقدر يأتي بطاعن ولا دافع ولا جواب إلا يقول هذا دين آبائنا وأجدادنا وهذا هو الحق. فقلت له: قال الله جل ثناؤه في سورة مريم:

واذكر في الكتاب ابراهيم إنه كان صديقاً نبياً، إذ قال لأبيه يا أبت لِمَ تعبد ما لا يُسمَع ولا يُبصِر ولا يغني عنك شيئاً، يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدِكَ صراطاً سوياً، يا أبتِ لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصياً، يا أبت إني أخاف أن يمسّك عذابٌ من الرحمن فتكون للشيطان وليّاً...

ثم قلت له: يا شيخ. المخالفين أولياء الشياطين فلا تكن كما قال أبا إبراهيم: أراغبٌ أنت عن آلهتي يا إبراهيم، لئن لم تنته لأرجمنّك واهجرني ملياً... فلم ينته ولم يُصغِ ولم يلين قلبه، كما قال تعالى في عمى قلوب الكافرين: فهي كالحجارة أو أشد قسوة...

ثم فتحت له كثيراً من أبواب التوحيد والعلم والأخبار ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما وروه السادة المشايخ السالفين رضي الله عنهم ومن قول الأيمة صلوات الله عليه ومن كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه تنزيلٌ من حكيمٍ حميد... فلم يقدر أن يأتي بجواب أبداً، وذكر لي

عنه أنه شتم القرآن وقال: هذا الشيخ يتطاول علينا بالقرآن وهو من كلام عثمان بن عفان، فسألته عن ذلك فقال: أنا قلت هذه الصغيرات إنهم من شغل عثمان. فقلت له أنا رأيت أن الشكل والخفض والنصب كله في كتاب النحو عند أهل الظاهر لعلي أمير المؤمنين وعثمان وأصحابه عاجزين عن معرفة حرف منه، لقوله تعالى: قل لو اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله إلا قليلاً. وقوله تعالى: فلا أقسم بمواقع النجوم، وإنه لقسمٌ لو تعلمون عظيم. إنه لقرآن كريمٌ في كتاب مكنون لا يمسّه إلا المطهّرون تنزيلٌ من رب العالِمين. وقوله تعالى: إنا نحن لنا نزّلنا الذكر وإنا له لحافظون، وهذا كتابٌ عزيزٌ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا مِن خلفه تنزيلٌ من حكيم حميد... وهو كلامٌ محفوظ من سائر وجوه الدّنس طاهر لا يمسه إلا كل مؤمنٍ طاهر، وإن مسه كافرٌ نجسٌ كان حجةً عليه ووبالاً لديه... وما رأينا شيخنا الحسين حمدان وسائر شيوخ هذا المذهب رووا حديث ولا استشهاد إلا منه وقال شيخنا في صدر رسالته: فإذا قامت الحجة من كتاب الله ثبتت ولم يُجزِ لأحدٍ ردها، وإن لم تقم منه ضعفت وضعف الدليل فيها، ولو رُمنا شرح فضائل القرآن العظيم لطال الكتاب. ثم إني قلت له يا شيخ

أنت إمام إقليم لقوله تعالى: يوم ندعو كل أناس بإمامهم وأنت لم تؤثّر فيك نصيحتي لك ولا كلامي، كما قال الله تعالى: وعاداً وثموداً هديناهم فاستحبوا العمى على الهدى... وتبقى خطايا هذا الناس في رقبتك. قال: في رقبتي، ثم إني قلت لابنه سلامة: ما قولكم في الدستور؟ قال: هو من كلام المعنى. قلت: وتقديسه الجليّ؟ قال: هو تجلّى وقالها. قلت: وتقديسة أبو سعيد؟ قال: هو، هو. فعلمت أنهم لا يقدرون على شيء، من العلم لا باطن ولا ظاهر، كما قال الله تعالى: كأنهم حمرٌ مستنفرةٌ فرّت من قسورةٍ. وقوله تعالى: مثل الذين حُمّلوا النتوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً بئس مثل القوم الفاسقين. وقوله تعالى: مثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو إن تتركه يلهث. وقوله تعالى ف يعمى قلوب الجاهلين: صمٌّ بكمٌ عميٌ فهم لا يرجعون، أو كصيّبٍ من السماء فيه برقٌ ورعدٌ يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذّر الموت والله محبطٌ بالكافرين. يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا ظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيءٍ قدير.. وكان معهم رئيس قرية الجديدة اسمه سيف، فقال: القرآن عندنا يسوى كلب، ثم تركته ولم أجيبه،

ورجعت إلى الشيخ معلا فقلت له يا شيخ، من شقّ القمر غير عليّ؟ والقمر أعلى أم الذي شقّه نصفين، وأمره أن ينزل نصف على الصفا ونصف على المشعرين وهو تحت أم الذي شقه ونزّله إلى الأرض أم القمر أعلى من الذي شقّه أم القمر المعنى والذي شقّه من دونه هم لا شك اثنين إلهين اثنين إنما هو إلهٌ واحدٌ ولا تقولوا ثلاثةٌ انتهوا خيرٌ لكم... أم هم إلهين واحد إله السماء والآخر إله الأرض، وكلام القمر وشهادته له بالوحدانية ولمحمدٍ بالرسالة بلسان عربي مبينٍ يسمعه من حضر من مؤمنٍ وكافر، والذي ردّ الشمس أعلى أم هي أعلى منه، والأمر لها أم للذي ردّها، وهي تحت أمره أم هو تحت الأمر؟

فهل عندكم كتاب بهذا أو أتاكم نبيّاً أو رسول من عند الله أو شيخ يعرف بين السادات فوا ببرهانكم إن كنتم صادقين، وكلام الشمس له بلسان عربي مبينٍ: يا أول يا آخر يا باطن يا ظاهر يا مَن أنت بكل شيء عليمٌ وعلى كل شيءٍ قدير، رأيت هذا في كتب التوحيد أم لا؟ فسكت عن الكلام، فقال صحب الدار / يوسف المذكور/ يا شيخ أتكلّم من صحيح، علي شق القمر، رأيت هذا في الكتب أم لا؟ فقال صحيح هذا رأيناه في كتب مشهورة، فقال له: ويلك ما أعمى قلبك وما أبعد ذهنك الذي شق

القمر ما هو فاعله وخالقه ومدبّره؟ وهو أعلى منه، وإذا قلنا معك إنه المعنى فالمعنى شق نفسه بنفسه، أم هم إلهين اثنين معبودين، فنعوذ بالله من ذلك والذي ردّ الشمس وكلّمته بهذا الكلام ما هو خالقها... ثم قلت له يا شيخ ما قولك في الذي نطق على المنابر وخطب على رؤوس الأشهاد وجهزا فسمعه مؤالف ومخالف بأفصح لسان. وقال: أنا رفعت سمائها وأنرت شمسها وقمرها وحبكت حبكها ودبّرت أمورها، قال كل هذا أمثال، ثم إني قلت له: يا شيخ نترك هذا الباب وندخل في غيره، ما قولك في ظهور محمد بن الحسن وهي الرجعة البيضاء والكرّة الزهراء وكشف الغطاء وجلا العماء وشفاء الصدور وظهور المعنى عزّ عزّه من عين الشمس وهو الفرج الأكبر الذي تكلم به شيخنا الحسين بن حمدان في ديوانه الغريب من أوله إلى آخره، وفي الباب الرابع عشر من كتابه الشريف المعروف بكتاب الهداية المرفوع لمولانا جعفر بن محمد منه السلام، وما روته السادة الموحدين أصحاب هذا البيت الشريف، وأجمعوا عليه وقرّت في ظهوره سائر الطوائف على حسب إرادتهم، ومعرفتهم في ظهور مهدي آل البيت، وكم جاء شاهد من كلام الله تعالى، وأخذ الحقوق ممن بغى وظلم، ويؤتى كل ذي حقٍّ حقه خيراً

بخير وشراً بشر، لقوله تعالى: إن الله لا يظلم مثقال ذرةٍ. وقوله تعالى: يوم ترونها تذهل كل مرضعةٍ عما أرضعتْ وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديدٌ. وقوله تعالى: إن تكن مثقال حبةٍ من خردلٍ في السماء والأرض يأت بها الله وكفى بنا حاسبين. وقوله تعالى: ولا يظلمون فتيلاً. وقوله تعالى: نضع الموازين بالحق وقوله تعالى: إن الله لا يظلم مثقال ذرةٍ. وقوله تعالى: من يعمل مثقال ذرةٍ خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرةٍ شراً يره. وقول أمير المؤمنين منه السلام: فإن جازني ظلم ظالم فأكون أنا الظالم.

وقوله تعالى: يوم يعض الظالم على يديه. وقول شيخنا :

وثم قرَّت عيوناً بالذي لقيتْ ... مما أعدّ لها من خير ما وعدِ

وثم تعمى عيوناً بالذي لقيتْ ... من سوء أعمالها بالركس والهمدِ

عدلاً من الله لا جوراً فحسبكمُ ... يا شيعة الحق ما ترون من سددِ

وقوله تعالى في سورة الإسراء: فجاسوا خلال الديار، وكان وعداً مفعولاً، ثم رددنا لكم الكرّة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين

وجعلناكم أكثر نفيرا. وقول الشيخ في شعره:

"ففي الذاريات الشرح والشرح أنورُ..."

وقوله تعالى: والذاريات ذرواً فالحاملات وِقراً فالمقسّمات أمراً إنّ ما توُعدون لواقعٌ... فهذا قسم عظيم من كلام الله تعالى إنّ ظهور محمد بن الحسن واقع يعني حتماً لازم. وقوله: والسماء ذات الحُبُك إنكم لفي قولٍ مختلفٍ. يعني عن الظهور، والسماء ذات الحبك يعني ذات النجوم والبروج والمنازل وغيرهم، لا كما يظن الجاهل الخسيف العقل إنها ذات معنى، وقوله تعالى: والنخل ذات الأكمام، يعني عناقيد الذي يحملهم شجر النخل المعروف بعناقيده، والسماء المعروفة بالنجوم، نعوذ بالله من التحاريف والتغيير والتبديل، وحاشا لله أن يبدّل قواعد دين الإسلام مؤمن وقوله تعالى: اقتربتِ الساعة وانشق القمر، فكل هذه الآيات ونظائرها في ظهور المهدي منه السلام، وما قولك يا شيخ في هذا الكلام الذي يقر به المؤَالف والمخالف كل منهم على مراده. فقال: ما عندنا شيء من هذا إلا في كل شهر ظهور. وقوله عن القمر، فقال له الذي نحن في داره وهو لا يقرا: يا شيخ كل هذا ما يصير منه شيء لا حساب ولا عقاب ولا بعث ولا نشور، فإذا كان ماشيء حساب ولا ظهور، من أي

شـيء يخـاف ومـا نطلـق أنفسـنا علـى هواهـا فـي فعل الفواحـش وغيرها، فإذا كان ما يصير حساب وما نفعل ما نريد ونقول هذا في ذمة الشيخ معلاّ. ثم إني قلت له: يا شيخ إذا لم يكن ظهور ولا حساب، على أي وجه نصلي ونصوم ونزكّي ونسهر ونتكلف في عبادة الله ليلاً ونهاراً ونفعل النذور والقرابين، فبُهِت ولم يرد جواب وكأنه لُقِم في فمه حجر، فبعد ذلك قال: يا شيخ لا تؤاخذني أنا ما عندي غير كتابان ثلاثة... فقلت له: فرد كتاب تعمل بما فيه وتدريه يكفي. كما قال الموالي جعفر بن محمد الصادق منه السلام: خبرٌ تدريه وترويه خيرٌ من ألف خبرٍ ترويه وما تدريه، والسعادة في الدراية ما هي في بكثر الكتب والقِراية. ثم إني قلت له:يا شيخ، ما قولكم في شيخنا الحسين بن حمدان؟ فقال: هو السيد محمد وأولاده الإحدى وخمسين فهم أشخاص الصلا، والمنتجب والمكزون السنجاري كلهم عندهم محمد اسم الله الأعظم جلّ وعلا عما يفترون المبطلون. فتركتهم وقلت ذرهم في خوضهم يعمهون. ومات المذكور قريباً من المناظرة، وبعد مدةٍ من السنين جئت إلى قرية تيشور فرأيت ابنه الشيخ سلامة يومئذٍ قاطن فيها فكلّمته وفتحت له كثيراً من أبواب العلم وهو يصغي إليّ ويقول: هذا الحق. فقلت له: يا

ولدي إن كنت صادقاً تزورني إلى مكاني مدةٍ حتى أقرأ عليك كتب التوحيد، وأفهّمك ما في معانيها وأنبهك من رقدة سكرتك هذه فقال لي: إنشا الله أجيك، وقال: يا شيخ، والدي الشيخ معلا نزل عليه النور فلا أدري ما عنده ، لقوله تعالى: يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم. وما جانب لا أدري كبراً عنده أم خوفاً مني، أم من أهل جيرته، ولو أنه يجينب لمحيَتُ جميع ما ذكرته من طرايقهم وسألت الله المسامحة لنا ولهم لقول شيخنا قدّس الله روحه:

وبالعفو عن ضُلاّل شيعة حيدرٍ وأشهد أن الله يعفو ويغفرُ

لجِمعهمُ يوم القيامة تحلّةٍ بحيدر مولانا وفي ذاك نفخرُ

فأقول وبالله الثقة وأسأله العصمة من السلوك على جادّة أهل الشكوك، فأما هذه القصة التي وقعت لهذا المفتون مع الشيخ معلا وإخوانه وأولاده فقد تكلم بها على مراده، وصورها بتزكية نفسه وتحسين إيراده، وأشحنها هدراً ليكون له بذلك فخراً، ونسب إلى الشيخ معلا وإخوانه القول الذري فقد جعل المحق هو المفتري المنصف هو المجتري ، فلو كان فيه أدنى مسكةٍ من عدلٍ وإنصاف أو طرفٍ من سجية رشد وعفاف لجاء بالقصة كما

جرت وباقضية كما تصورت ليتبصروها ذوو الأذهان والألباب والعقول والصواب فيميزوا بها المحق من المبطل، والعالِم من المتغفلِّل ونحن بحوله تعالى نأتي بها كما سلفت ونشرحها حسبما ارتسمت من غير زيادةٍ ولا نقصان ليتضح لمن يتدبر الحقائق بعين النصفة خطل هذا الباغي المزدري الجاهل الممتري وذلك أنه تقدم عليه القول في هذا الكتاب أنه كان في كل عامٍ يطوف البلاد لينوش القرابين ويمنع السالكين وأنه في بعض الأيام عزموه أهالي قرية تيشور لأجل صنيع قربان، وعزموا الشيخ معلا وأولاده وجملةً من الإخوان فكان حينئذٍ السابق بالحضور لقرية تيشور الشيخ معلاّ المذكور، فاستأذنوه بقراءة الفاتحة حسب العوائد والرسوم على ما جرت به عوائد المؤمنين في نحر القرابين فأجرى العادة على الرسم ونحروا الذبائح ، وعقيب ما اجتاز الشيخ ناصر تلك المحلة ووجد ذلك امتلأ غبناً وقال: من هو الذي أفتى بنحر تلك الذبائح قبل وصولنا؟ فقالوا: إن الشيخ معلا أفتى بذلك وأمر باصطناع الطعام لكم قبل وفودكم، فذهب مغاضباً يقول: قربانكم هذا حرام، إذ لم يحصل الإذن منا بذلك، فتعلقوا به أهل القرية وبدا منهم الاعتذار والتذلل لديه بطلب الاستعطاف، فهو مع ذلك يزداد غضباً وكبراً

حتى برح من قريتهم غضبان عليهم وعلى مشايخهم وبدأ يشنّع على أعراضهم ويقذف بعقائدهم إلى أن دخل قرية المندرة ونزل عند الريّس علي وكان الريس علي من أهل الكرم ، ومشهورٌ بالصلاح، وبث له ما كان من المنازعة والانزعاج، ثم إن الشيخ معلا، بعد إتمام الصنيع والقربان رجع إلى قرية مجدلون البستان لأنه كان مستوطناً فيها فلما علموا بوصوله إلى محله أرسل إليه الريس علي رسولاً يطلب حضوره لأجل رؤية الأمر، فارتجع الجواب من الشيخ معلا إلى الريس علي: اعلم أن الشيخ ناصر رجل طبيعته السفاهة والحمق والتكبر، والجدال وقد نهى مولانا الصادق منه السلام عن مجادلة من هو بهذا الوصف بقوله: ولا تُمارِ سفيهاً فإنه يستفيد منك علماً ويتخذك عدواً. وقال السيد المسيح كل داءٍ داويته إلا الحمق فإنه أعياني لأنه داء عضال لا يقبل العلاج إلا نادراً. وقال الله تعالى: وقال موسى إني عُذت بربي وربكم من كل متكبرٍ لا يؤمن بيوم الحساب. وقال العالِم في كتاب الأسوس: وصيتي إليك ايها السائل أن لا تميل إلى مجادلٍ فإن لسانه خُلِق من طبعه، يزهّدك في معرفة الله ويدلّك على معقوله ويُخرجك من سنن الأنبياء وشرائع الأتقياء. وقيل ثلاثة لا يكلّمهم الله ولا ينظر إليهم، وهم الأحمق والمتأكّل في دينه

والمجادل في معرفة الله. فإن الأحمق هو الذي لا يضرى إلا برأيه وهو الحروق الذي أبداً ينصب الشرور مع المؤمنين ويغضب من أدنى شيء ويرضى من أدنى شيء، ومع هذا فإن من هو بهذا الوصف فلا نرغب محاضرته ولا مجاملته ولا مقابلته ولا مجادلته وكذلك السر الذي وصلنا إليه من تفضُّل السادة السالفين فلا نحب أن يطلع عليه من ليس من أهله كهذا الرجل وأمثاله لإنكارهم ذلك علينا فاعتقدوا البغض والحقد علينا من أجله فكيف يجوز لنا إباحته لهذا الرجل الذي اعتقد عداوتنا من بعد تكرار التحريص لنا من المالي بكتمانه وعدم إذاعته إلا لأهله ومع ذلك فنرجو قبول عذرنا بعد الحضور لمجادلة هذا الرجل المغرور الذي لا يستجيز لنا القرابين والنذور، ولربما قرر لكم عن أنَفَته عنا واستصغاره بنا في قرية تيشور، فلما رآنا نفوراً، وأي نفورٍ، فلما وصل الكتاب إلى الريّس علي أعلم الشيخ ناصر بعدم حضور الشيخ معلا، فسار المذكور إلى قرية أوبين واستنهض أهلها للتفتين ونزل عند رجل يسمى أبو عبد المنعم يوسف بن محمد يُعرف بالمليح وكان يومئذٍ والياً على البلاد، فبدأ بالوشي والفجور والبُهت والزور على الشيخ معلا بحضور الوالي المذكور وطعن فيه أنه قد خرج عن مذهب أهل التوحيد

بقياس عقله، وغيّر وبدّل في أمر الأعياد الموضوعة والمواسم المعلومة والقوانين المشروعة، وأعتقد في الشيخ ابي عبد الله أنه اسم الله الأعظم وأنه جحد وجود الباري في الصورة المرئية وأنكر ظهور المهدي في آخر الزمان وغيّر الشريعة وبدّل السُنَّة، ونكص وارتدّ عن طريق شيوخ المذهب وأئمة الدِّين، وأنه شتم القرآن... فعند ذلك أرسل الوالي المذكور رسولاً مخصوصاً إلى الشيخ معلا ورسم أنه يحضر هو وأولاده وكل من يقول بقولهم من المشايخ الذين يقتدى بهم وتوابعهم من العوامّ لأجل المناظرة فيما بين الطرفين، فحضر الشيخ معلا وأولاده والشيخ نجم الدين من قرية الخريبة والشيخ عيسى من قرية الحنفية، والشيخ موسى من قرية بحنين وتوابعهم من شيوخ وعوامّ، وحضر الريّس علي من قرية المندرة، والريّس سيف من قرية الجديدة، وجمعوا لذلك محفلاً جماً، ما بين رجال وصبيان. وعقدوا رأياً لا يتكلم من الفريقين غير الشيخ ناصر وخصمه الشيخ معلا.

فابتدأ الشيخ ناصر يسأل الشيخ معلا عما قرّره أولاً بحضرة الوالي، فصمت الشيخ معلا عن الكلام فقال له يوسف ابن المليح، مالَك أيها الشيخ لا تتكلم؟ فقال الشيخ معلا: فكيف يتكلم بهذه الأسرار التي حصل التنبيه والتحريض من الموال

يعلى كتمانها وترك إذاعتها إلا لمن أنِس رشده وبلغ أشده، ومحفلنا هذا أرى فيه من الأوباش الجاهلين والصبيان المبتدين ما يفوق عدد الرجال البالغين، فاستخصّوا لذلك مجلساً، فلما استقر بهم الفرار، قال الشيخ ناصر: ما قولكم في الشيخ الخصيب صاحب الرأي المصيب؟ فقال الشيخ معلا: أما قولنا في الشيخ الخصيب صاحب الرأي المصيب عليه رضوان الملك المجيب، فهو مما وعيناه من قوله وقول السادة من بعده بأنه من الكروبّيين وهي ثاني مرتبة من مراتب العالم الصغير ، فمن ذلك قوله في ديوانه، دلالة على رتبته وتعليماً لنا بمكانه:

وطِرتُ بنا سِري ملكاً كروبياً إلى وطني

إل سقف السماء لكي أنعم فيه مع سكني

فهذا شاهد من قوله يدل على رتبته، وكذلك ما ذكره هبة الله ابن ابراهيم في رسالته عن رتبة الشيخ حين زعم قومٌ أنه الحجاب، وقومٌ قالوا إنه رب الأرباب، فقال وقد سئل سيدنا الشيخ بعهده، فقيل له: يا سيدنا من أي عالمٍ أنت؟

فقال: من الم الصفا، من الكروبيين، وإنني حفِظت النداء الأول حيث كنت في مجمل الخلق.... وإلى ذلك أشار في ديوانه بقوله:

فإني قد حفِظت العهد من ذروِ الأظلاّتِ

وما قالوا، ما قلنا نداءً، وإجاباتِ

وقوله أيضاً:

جلّ الذي خصني برحمته في بدوِ خلقي ووقت تكويني

في الذرو يوم الظلال أنطقني مع حزبه السادةِ الميامينِ

يوم ذرانا من نورهم وبرا جميع هذي الأنامِ من طينِ

وقوله أيضاً مخبّراً عن نفسه:

موحِّداً عالِماً خبيراً يروي رواياتِ جنبلاني

يروي علوماً ملخّصاتٍ لا عن فلانٍ ولا فلانِ

إلا سماعاً من المنادي يوم الأظلةِ غيرَ وانِ

وغير ساهٍ وغير ناسٍ ما كان من ذلك البيانِ

ألا ترى كيف نسب علمه ورواياته إلى ابي محمد عبد الله الجنّان الجنبلاني لأنه سببه وذلك من حيث الترتيب وصحّة الأبوّة وإثبات الأخوّة، ثم نزّه نفسه عن السهور والنسيان إعلاماً بأنه نورانيٌّ وأنه غير محتاجٍ إلى فقيه، بل جميع ما علِمه ورواه سماعاً من المنادي يوم الأظلّة، وقد ورد في الرسالة المصرية من قول محمد بن مقاتل ما هذا لفظه وهو قوله:

حدثني محمد بن الحسن البلدي، قال: حدّثني أبو سعيد ميمون

بن القاسم الطبراني قال: حدثني أبو الحسين محمد بن علي الجلي، قال: حدثني شيخي وسيدي أبو عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي شرّف الله مقامه، قال: كنت مذ كنت على طريق التشيّع والإمامة والتفويض الذي هو دين آبائي وأجدادي، وكنت أسمع أبي وعمي يتذاكران في علم التوحيد فأعلمه ولا أشك فيه ولا أجسر أن أبديه، فقلت لبي يوماً وقد مضى من عمري أربع عشرة سنة: يا ابي ألقِ إليّ علم الله فإني قد سمعته منك ومن عمي، وقرأته كمن كتبكم ، فانتهرني وزبَرَني وقال لي: ما بلغتَ، فقال لي عمي ترفّق ترشد، فبتُّ ليلتي كئيباً حزيناً، إذ قد رأيتُ في منامي آخر ليلتي وأنا على أتم طهارة وذكرٍ وتهجّدٍ، وإذا بمولاي أمير المؤمنين بصورته ونعته واقفاً، فلما رآني قال لي: يا حسين، آحزنك منع أهلك لك معرفتي، إرقِ على يدي اليمنى، فرقيت على يده فنظرت إلى الأرض وجميع ما فيها تحتي، فكبّرته وهللته ومجّدته، ثم أعادني على يده وقال لي: آقنعك يا حسين ما رأيتَ! فقلت: منك أطلب الزيادة يا مولاي، فشالني ثانية ودحى بي في الهواء، فرأيت الدنيا تحتي كدارة الدرهم والكواكب بإزائي، فهلّلته ومجّدته، ثم أعادني إلى يده وقال لي: آقنعك يا حسين ما رأيت؟ فقلت: منك أطلب الزيادة يا

مولاي، فدحى بي ثالثة وقال لي: انظر فنظرتُ، فرأيت السماء تحك رأسي، والملائكة يسبِّحون ويُهلّلون ويمجّدون فكبّرته وهلّلته، ثم ردّني على يده وقال لي: آقنعك يا حسين ما رأيت؟ فقلت: ذلك بفضلك يا مولاي! فقال لي: امضِ فإنه سيُعلى قدرك دينا ودنيا وأهلك بعدها لن يمنعوك من علمٍ بل يلتمسون لك أباً. فغدوت إلى أبي وعمي فحدثتهما بما جرى فصدقاني وسألتهما الفتح عليّ فامتنعا من ذلك وقالا لا يجوز أن يجري من مثلنا إلى مثلك فتحٌ ولا غيره من أنواع العلم إلا بعد صحة الأبوّة وحملاني إلى الشيخ أبي محمد عبد الله بن محمد الفارسي البستاني بجنبلا، رضي الله عنه، وسألاه الفتح عليّ فأجاب سؤالهما وفتح عليَّ، واعتقدت أبوّته وسماعه وأخذتُ العلم منه ورويت عنه ما نقلته سماعاً من اليتيم الأكبر محمد بن جندب يتيم السيد أبي شعيب، وكان السيد الجنّان ممن شاهد خمسةً من الموالي عليهم السلام وروى عنهم...

فقال الشيخ ناصر: أما نحن فلا نعتقد أن السيد أبا عبد الله كان نورانياً في وقته، بل كان بشرياً ولكنه كان قريباً من الصفا، فلقربه كان ينظر بنور الله ويعلم ما خلف الجدار، ويعلم المؤمن من الكافر،والبر من الفاجر، وكذلك كل من قرب صفاه ينظر

بنور الله...

فقال الشيخ معلا: فإذا اعتقدنا أن السيد أبا عبد الله كان بشرياً، يشك في طريقتنا ويتهم مذهبنا بالغلط والسهو لأنه لا بد لعالم البشر من الغلط والسهو والنسيان وأما الشيخ فقد نزّه نفسه عن ذلك بقوله: "وغير ساهٍ وغير ناسٍ..." دلالةً على صفائه وعدم كدره، وأما تلاميذه فهم عندنا وعلى رأينا إنهم من المؤمنين وهم نخبة عالم البشر... فعندها وقعت المشاجرة، وقال الشيخ ناصر للشيخ معلا: لقد بلغني عنك أنك قلت إن القرآن من قول عثمان بن عفان فقال الشيخ معلا: أستغفر الله والعياذ بالله، ولكن أقول أن عثمان / لع/ حرّف بعض آياتٍ من القرآن على مراده، وكان مما حرّف قوله تعالى: إن علينا للهدى وإن لنا للآخرة والأولى، وقد كانت تقرأ قبل تحريفها / إن عليّنا للهدى وإن له للآخرة والأولى. وكذلك قوله تعالى: لقد خلقنا الإنسان في كبداً يحسب أن لن يقدر عليه أحدٌ، بل إنا عليه لقادرون وله معذبون... هكذا كانت قبل التحريف. ومثل قوله تعالى: لا تُحرّك به لسانك لتعجَلَ به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه. ثم إن علينا بيانه، كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وجوهٌ يومئذٍ ناضرةٌ إلى ربها ناظرةٌ... وقد كانت قراءتها: إن علياً جمعه

وقرآنه ثم إن علياً بيانه... الآية.

ومثل قوله تعالى: إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً، والأصل في قراءتها : إلا أن تكون تقياً... ومثل هذا كثير في آيات القرآن مما غيّر وبدل.

وقد روي بالإجماع أن الحجاج بن يوسف الثقفي / لع/ جمع من سائر الأمصار والقرى الرجال الذين قرأوا القرآن على من قرأه على رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى أمير المؤمنين منه السلام، وعلى عبد الله بن مسعود، وعلى غيره من الصحابة فأخذ جميع ما كان عندهم من المصاحف فأحرقها وقتلهم عن آخرهم مخافة أن ينسخوه مرة ثانية. وكذلك مصحف عثمان /لع/ ألّف منه هذا المصحف الموجود في أيدنا ثم أحرقه وبقي هذا المصحف كما ألّفه المذكور، ولم يبقَ في أيدي الناس ممن أعدمهم إلا ما كان مشهوراً على ألسنتهم ومحفوظاً في قلوبهم فلم يتمكن من حرقه وإخفائه. وقد قيل إن القرآن كان اثني عشر ألف آيةٍ، وفيه إحدى وعشرون سورة / تبَّت/ فأحرق ذلك كله عناداً وكفراً، ولم يدع غير سورة / تبت يدا أبي لهب/ ولم يبق من القرآن خلاف ستة آلاف وستمائة وستٌ وستون آيةً، منها ألف آية وعدٌ ، وألف أمر، وألف نهيٌ، وألفٌ قصصٌ، وألفٌ

أخبارٌ، وخمسمائة حلالٌ وحرامٌ، ومئة دعاءٌ وتسبيح، وست وستون ناسخ ومنسوخ، وكان مما غيّر من آيات القرآن أيضاً، قوله تعالى: إن الله اصطفى آدم، ونوحاً وآل إبراهيم وآل محمدٍ على العالمين. فقال لكاتبه: اكتب / وآل مروان على العالمين/ بدلاً من آل محمدٍ، فقال له بعض من حضر ممن أعانه على ذلك / لع/ إنك إن كتبت ذلك علمت أمة محمد أنك قد غيّرت القرآن، وكان قد أسرّ ذلك مع من اختص به لنفوذ أمره، فقال: اكتب / وآل عمران / فكتبتُ.

وقد روي عن مولانا باقر العلم منه الرحمة أنه قال: أرادوا أن يزيلوا الحق من موضعه، فمنعهم الله من إزالته، لأن عبد المطلب كان اسمه عمران، ونحن آل عبد المطلب وآل محمد... هذا ما ذكره محمد بن مقاتل بروايته عن شيخه قدس الله روحيهما.

فعندها اعترفت الجماعة بتصديق ذلك، فتكلم الريس علي وقال للشيخ ناصر أسألك هل القرآن أفضل، أم الدستور الذي نحفظه عن ساداتنا وشيوخنا؟ فقال الشيخ ناصر: بل القرآن أفضل. فقيل له: ولِمَ ذلك؟ قال: لأنه اسم الله الأعظم الذي لا يقدمه شيءٌ غير باريه. فقال الشيخ معلا: نعم هو ذلك ولكن أخبرني

عن الصلاة من تكون؟ وعند الدين من يكون؟ فقال الشيخ ناصر: هما الاسم. فقال الشيخ معلا: فإذا كان القرآن هو الاسم، والدِّين هو الاسم، والصلاة هي الاسم، فأيُّ فرقٍ في ذلك؟ فأُفحِم ناصر وقال: يا شيخ نترك هذا القول وندخل في غيره. فقال الشيخ معلا: قل ما شئت. فقال الشيخ ناصر: يا شيخ، ما قولك في انشقاق القمر، فالقمر أعلى أم الذي شقّه نصفين؟ فنزل نصفٌ على الصفا، ونصفٌ على المشعرين ، وهو تحت أمر الذي شقّه، أم الذي شقّه تحت الأمر؟ وأيهما المعبود؟ علي أم القمر؟ وإن قلت إنهما اثنين علي والقمر واحد إله السماء والآخر إله الأرض، فالباري يقول: لا تقولوا إلهين اثنين إنما هو إلهٌ واحدٌ، ولا تقولوا ثلاثةٌ انتهوا خيرٌ لكم. وقد رأينا عليّاً شق القمر وخاطبه بالشهادة أنه ربه وأن محمداً رسوله، كذلك الشمس قد خاطبته بلسانٍ عربي مبينٍ تعلن بالشهادة بأنه ربها... هذا مثبوت أم لا؟ فسكت الشيخ معلا هنيهة.

فقال يوسف المليح: يا شيخ، اتكلم من صحيح، فالذي شق القمر ما هو خالقه وفاعله ومقدره ومدّبره؟ فيا ويلك ما أعمى قلبك! وما ابعد ذهنك! فاستبان الغيظ في وجه الشيخ معلا خشيةً على مكنون سر الله أن يصل إلى غير أهله إن نطق به، وإن

بقي صامتاً مغلوباً ومقهوراً حتى قالوا له أصحابه: ما لك لا تتكلم؟ فعندها استرهب صدود الناس عن مسلك الحق والميل إلى رأي خصمائه، واستخار الله تعالى وقال:

ايه السادة الحضور، ما قولكم في أمير المؤمنين الذي نطق على المنابر وقال: / أنا/ فقالوا جميعاً هو الرب المعبود والإله المقصود. فقال: أما رويتم وعلمتم بما ورد عن السادة السلف أنه من ابي طالب ولد، وأمه فاطمة ابنة أسد، وأظهر الأخوة والأزواج، والأولاد، وأورى الأكل والشرب والبول والغائط والجنابة وأظهر النوم والافتقار والمرض والعجز بعد القدرة التي أعجز المخلوقين عنها، وأظهر أنه مسحوبٌ ومنقادٌ إلى بيعة أبي بكر هسقل الله / ثم ظهر الغيبة بضربة المختبر عبد الرحمن بن ملجم، أرأيتم هذا مثبوت في كتب التوحيد أم لا؟ فقال فقال ناصر نعم قد أجمع على ذلك كافة الموحدين والمتشيعين والمقصرين. فقال الشيخ معلا فهل لذلك حقيقة؟ أم تخييلاً وتشكيلاً؟ فقالوا الجماعة: بل تخييلاً وتشكيلاً. قال: فلِمَ أظهر ذلك؟ قالوا: تلبيساً على أهل الشك. فقال الشيخ معلا: فإذا كان ما أظهره في البشرية من العجز والاضطهاد هو تلبيسٌ على أهل الشك، فلم لا يكون العجز الذي أظهره في النورانية تلبيساً على ناصرٍ وأقرانه

من مشركي قريش لشكّهم به وإنكارهم وجوده؟

وقد روي عن مولانا الصادق منه السلام أنه قال: إن مثل أمير المؤمنين عند الجاهلين كمثل القمر يزيد وينقص، وعند العارفين بخلاف ذلك، يعني لا زيادة فيه ولا نقصان.

ومثله قول محمد بن سنان في كتاب الحجب والأنوار، في الجزء الثاني منه، وهو قوله وإنما نعتنا الحبل والولادة ولم يكن المعنى في الحقيقة كما وصفنا ولكن إرادةٌ وتفهيم وأما الهلال فلا يزيد لا ينقص وإنما تراه على مقدارك، والشك فيك لا فيه.

وقال أيضاً ما رواه عن إخوانه الثقات: إن مثل القرص كذاته، ومثل الشعاع كحجبه ،وفي وجهٍ آخر: إن مثل الهلال في الزيادة والنقصان الذي فيه كمثل أمير المؤمنين عند العارفين.

ومما ورد في كتاب الصراط من قول المولى الصادق للمفضل بن عمر، وهو قوله فإذا غاب المعنى عن أهل الجحود كان ظاهراً لأهل الوجود، وأهل الحقيقة يرونه، ويأتونه من بابه واسمه ثم يكون معهم أتباعٌ وهم الذين صفوا ورقوا وجاوروا لأصحاب المراتب ويكون لكل شخص منهم حظٌ من النور يُعرف به، فيحدقون بالقمر ففي هذا القول دليلٌ واضحٌ يدل على أن من ليس يعرفه بالنور فهو من أهل الجحود فإذا كانوا الموالي منهم

السلام نبّهوا مواليهم وعرّفوا تابعيهم بأن الطفولية التي أظهرها والصغر والكبر والعجز والاضطرار والموت والقتل والزيادة والنقصان في حال ظهوره لأهل النور والبشر ليس له حقيقة بل ذلك امتحانٌ وتلبيسٌ للعالم والعجز فينا لا فيه، فإذا كان كذلك فيمكن أن يكون الانشقاق ليس له حقيقة بل إن ذلك معجزة وقدرة أظهرها في أعين الممزوجين تلبيساً على الشاكين حين دعاهم رسوله إلى الإيمان فطلبوا منه هذه المعجزة ليُعجزوه بها فأجابهم إلى ذلك ليثبت حجته عليهم، وتجرداً عن العجز فأوراهم ما طلبوا ولا حاجة لهم بذلك غير الاحتجاج والمعاندة، وأهل الظاهر مجمعون على أن هذه المعجزة ليست لأمير المؤمنين منه الرحمة بل هي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، خلافاً لأهل التوحيد المقرين لأن أهل التوحيد يعترفون بأن القدرة لا تكون إلا للقادر، ولكن الاسم في سطر النبوة كان ناطقاً والمعنى كان صامتاً وهو يوري الافتقار إليه وينسب للأنبياء، فكذلك القمر يوري الافتقار للشين في ظاهر الأمر، وأن ضياءه من ضيائها ولا ضياء له مع وجودها وظهورها وذلك مثالٌ لصمت الأوصياء مع الأنبياء لأن المعنى تعالى ما اظهر قدرةً في البشرية إلا ولها مثالٌ في النورانية، ولا أظهر عجزاً في البشرية إلا وله مثال في

النورانية، وجميع ما أظهره في وجود البشر استدلال على وجود النور، وزناً بوزن، سماءً وأرضاً، هذا ما اعتقدناه سماعاً من ساداتنا وأسلافنا، ونقلناه عنهم ووجدناه في كتبهم مسطوراً، وفي رواياتهم وأشعارهم مشهوراً/ لا نغيّره ولا نبدله ولا نريد سواه ولا نموت إلا عليه ، ونسأل الله أن يثبتنا عليه ولا يفتنّ فيه. وأنت تزعم أيها الشيخ أن القمر خاطب علياً وشهد له أنه ربه وأن محمداً عبده ورسوله... فهذا قولٌ لا يذكر في كتب التوحيد ولا في كتب الشيعة ولا في كتب أهل السنّة بل إنما هو كذبٌ نمقته من عندك، دلالةٌ على شقوة حظك، ليحق فيك قول الله تعالى: وترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودةً أليس ف جهنم مثوى للمتكبرين. وأما خطاب الشمس وشهادتها له فهو من المشهور بإجماع سائر الفرق التي تنتمي إلى الإسلام لا ينكره أحدٌ منهم، ولكنهم يخرّجون لذلك تفسيراً مسنداً عن السيد الرسول على مقتضى مذاهبهم، وإذا كان ذلك كذلك فلِم لا يخرّجون لخطاب القمر تفسيراً إذا كان خاطبه كما خاطبته الشمس، وشهد له كما شهدت، فلقد تبين فساد ما ذهبت إليه أيها الشيخ وحرّفته، وبالتّيه والشطط عن طريق الحق وسمته وصورته عل مقتضى تركيبك وعملتك على شاكلتك لتقهر به من

ناواك، وتستطيل به على من شاكلك وإني لخائفٌ على من تابعك واعتقد معك جحود الوجود أ يقولوا حين يرون العذاب: ربنا إنا أطعنا ساداتنا وكبراءنا فأضلونا السبيل ، ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كثيراً... ويحق فيك قوله تعالى: ولقد أضلهم عن الحق بعد أن جاءهم فلهم اللعنة ولم سوء الدار...

فقال ناصر: قد أطلت لهثاً كالكلب إن تحمل عليه يلهث أو أن تتركه يلهث.

فقال الشيح معلا: ذلك القوم الذين كذبوا بآيات الله وأثبتوا عليهم التسخير ممن أخلد إلى الأرض واتبع هواه في معرفة مولاه...

وغلظ الكلام بين الطرفين، وعلت الفظاظة بين الجمعين، فقال الشيخ ناصر: ما قولكم في ظهور المهدي في آخر الزمان؟

فقال الشيخ معلا: إن هذا من المحتوم الذي لا بد منه ولكن نقول إن المهدي لم يزل ظاهراً لعارفيه وغائباً عن جاحديه، عزّ من لا غيبة له!!!

فقال الشيخ ناصر: إن هذا الذي تعنيه لا يُجرى منه حساب ولا عقاب، ولا نراه يكلم أحداً ، ولا يجرى من بعث ولا نشور، والله تعالى يقول: وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده. وقال الله تعالى: يوم يؤخذ بالنواصي والأقدام.

وقال الله تعالى: وكل إنسانٍ ألزمناه طائره في عنقه، ونُخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً... وهذا الذي تعنيه لا يفعل من ذلك شيئاً، ولا يحاسب أحداً، وإذا كان فمن أي شيء يخاف؟ ولِم لا نطلق أنفسنا في فعل الفواحش وارتكاب العظائم؟ ونقول: هذا في ذمة الشيخ معلا. وعلى أي شيءٍ نتكلف ونصوم ونصلي ونفعل الخير؟؟

فقال الشيخ معلا: هل يجوز عندك أن الباري يهمل خلقه من غير حساب إلى يوم القيامة مع قوله تعالى: أفحسبتم إنما خلقناكم عبثاً وإنكم إلينا لا ترجعون وقوله تعالى: أيحسب الإنسان أن يترك سدى... ونحن نرى في هذا العالم الغني والفقير والسليم والسقيم والرجل الذي له عدةٌ من العبيد والجواري والخدم والمواشي وغيرها، ونرى آخر يبات جائعاً لا يقدر على لقمة من الزاد، فلِمَ منع هذا وأعطى هذا؟ إذا كنا مقرين بعدل الله تعالى وأنه ليس بظلاّمٍ للعبيد، وما أرى ذلك إلا مجازاةً من أعمالٍ قد سلفت. وقد قال المولى الصادق منه السلام: إن الله يحاسب العبد المؤمن على كل ذنب بمفرده، وإن بقي عليه شيء من ذنوبه شدد عليه إخراج روحه من جسده حتى يلقى ربه وهو راضٍ عنه، هذا فيمن قد قرُب صفاه.

وقولك إن الحساب لا يكون إلا يوم القيامة فهذا قول أهل التقصير وأهل الاعتزال، وظاهرية الشيعة الذين يعتقدون أن الرؤية لا تمكن إلا يوم المعاد والكشف وأنت قد طابقتهم بقولك هذا إلا أنهم يقولون إن مصير الأرواح عند النقلة إلى جب تُحبس فيه إلى يوم القيامة/، فإذا كشف الله أمره، إذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون ، يعني تخرج الأجسام من القبور عند نفحة الصور، وتخرج الأرواح فتلج في الأجسام ويحضروا للحساب جميعاً. فهناك القصاص والمجازاة واستيفاء الحقوق. ولا بد لهذا القول من باطنٍ ولكنهم عموا عن معرفته، وهؤلاء الفِرق قد أنكروا الوجود مطلقاً، سماءً وأرضاً، فلإنكارهم ذلك اقتضى في تصحيح مذاهبهم بحسب الرجوع إلى عدل الله أنه لا يكون الحساب إلا من حاضرٍ موجودٍ مواجهٍ لمن يحاسبه وهو عندهم الآن غير ظاهر للرؤية والمعاينة، فعند ظهوره بالعدل الشامل، الكشف الكامل، يقع الحساب ويجازي كلٌّ بفعله. وأنت قد أنكرت الوجود كهم فلذلك جاز في عقلك أنه لا يكون حساب ولا ثواب ولا عقاب إلا في يوم الكشف وهو ظهور القائم في آخر الزمان ومع هذا فقد منعت الصفا وأبطلتَ المسخ وجهلتَ العدل بمقتضى قولك ونسبت تعالى إلى لجور، ويلزمك حينئذٍ أن تبين

ما معنى الطفل الذي يخرج من بطن أمه أعمى أو أزمن أو مفلوج أو معلول، وما سبب ذلك إذا كان الحساب ممنوعاً في وقتنا هذا ولا طاقة لك بذلك إلا أن تثبت أن الحساب ممكنٌ في كل وقتٍ أو تنسب الباري تعالى إلى الجور، وإذا أثبتّ أن الحساب ممكنٌ في كل وقتٍ فقد أثبتّ أن الوجود ممكن في كل وقت وهذا شيء يصعب عليك، وأهل التوحيد بأسرهم يجمعون على أن العاهات والعلل التي تعرض للإنسان هي مجازاة عن أفعال قد سلفت ، فمن تقدم له ذنبٌ يستحق به العمى فيعمى أو الصمم فيَصم أو الفقر فيفتقر، إن كان في ذلك القميص أو في قلبه، وكذلك الذين يستحقون الثروة والرفاهية والنعمة فهي مجازاة عن أعمال قد سلفت. خيراً بخيرٍ وشراً بشر، وما ربك بظلّام للعبيد وإن الملوك الذين يأخذون الأموال عصباً وظلماً، ويتسلطون على الرعية ويتقلون الأنفس إنما أعطاهم ذلك جزاءً عما سلف منهم عدلاً منه تعالى، ليوفّيهم أجورهم ثم يحاسبهم على ما اقترفوه من الظلم والعدوان والإثم، هذا من بعض عدل الله تعالى، فإذا كان يوم القيامة تلحق الأعمال بالجواهر ، والفروع بالأصول ويقع الفصل وهو قوله تعالى: إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين. فما كان من فعل خيرٍ وصلاةٍ وصيامٍ وأعمال

صالحات من مؤمنٍ وكافرٍ، فيلحق بالعنصر الذي هو أصله، فيجازي عليها المؤمن ويكافأ بها عدلاً من الله تعالى وذلك من بعد المكافأة لفاعلها في قمص التأجيل، وعند لحوقها بعنصرها يكافأ فيها المؤمن ثانياً وهو قوله تعالى: وأثباكم الله أجره مرتين. وكذلك ما كان من عملٍ قبيحٍ وارتكاب خطرٍ وذنوبٍ ووزرٍ فإنها تلحق بطبائع الظلمة، الذي هو مبدأها وأصلها من بعد العقوبة والقصاص لفاعلها في قمص التأجيل من مؤمنٍ أو كافرٍ، ثم يعاقَب عليها الكافر ثانياً عند لحوقه بطبيعته الأولى، وهو قوله تعالى: وليحملنَّ أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم وليُسألنَّ يوم القيامة عما كانوا يفترون، عدلاً من الله تعالى يجريه في عباده يوم الفصل، ولا يظلم ربك أحداً، بل كلٌّ يعطى كتابه وقد أحصى م عمل من خيرٍ وشرٍ، وهو قوله: وكل إنسانٍ ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً، ويقول له اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً... وهو قوله تعالى : وقالوا يا ويليتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها... هذا قولٌ عموماً، وقوله تعالى: فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرأوا كتابيه، إني ظننت أني ملاقٍ حسابيه فهو في عيشةٍ راضيةٍ في جنّةٍ عاليةٍ، قطوفها دانيةٌ... الآية. وقوله تعالى: وأما

من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوتِ كتابيه، ولم أدرِ ما حسابيه يا ليتها كانت القاضية، ما أعني عَنّي ما ليه، هلك عني سلطانيه، خذوه فغلُّوه، ثم الجحيم صلُّوه، ثم في سلسلةٍ ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه ، إنه كان لا يؤمن بالله العظيم . الآية... وقوله تعالى: وما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً وينقلب إلى أهله مسروراً، وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبوراً ويصلى سعيراً، إنه ظن أن لن يحور ، بلى إن ربه كان به بصيراً...

وبالإسناد عن سلمان الفارسي صلوات الله عليه قال: أتاني قنبر: عبد مولاي أمير المؤمنين منه الرحمة، في الثلث الأخير من الليل وكانت ليلة النصف من شعبان فطرق عليّ الباب وقال: أجب مولاي أمير المؤمنين، فبادرت إلى باب الحجرة، ففتحته وجعلت أقفو أثر قنبر، وهو بين يديَّ إلى أن خرج إلى بقيع المدينة فلما صرتُ بالبقيع سمعت أصواتاً وضجةً عظيمة، وبكارً ونحيباً ورهجاً لم أسمع أعظم منه ولا أعلى ولا أشد منه ومن تلك الأصوات، وإذا بمولاي جالسٌ في تلك البقيع على سريرٍ يتوقد نوراً، وإذا هو يرى ظاهره من باطنه، وباطنه من ظاهره فعلمت أنه سريرٌ من جوهر، فقلت: جلّ الله ما أعظم

مرتبة مولاي، وأعظمه!! فدنوت منه فقال لي: يا سلمان في مثل هذه الليلة تتخلى عني!! فقلت: يا مولاي لم يعلم سلمان بموضعك في هذه الليلة. فقال: يا سلمان، هذه الليلة التي يفرق فيها كل أمرٍ حكيم، فقلت: ومن يفرقُهُ يا مولاي؟ قال: أنا يا سلمان، فقلت: يا مولاي إني أسمع ضجيجاً عظيماً، وضوضاء وجلبة واشتباك أصواتٍ، وما أرى أحداً، حتى كان البقيع يتهزهز بي، فقال: يا سلمان، ما تنظر من حولك في البقيع من العالم؟ فقلت: لا يا مولاي، فقال: بلى انظر، فلما قال بلى انظر، ففتحت عيني فرأيت من عالم ربي ما لا يحصيهم ويعلمهم غيره من الخلق وأجناسهم حتى لم يبق أسود ولا أبيض إلا جمع إلى ذلك البقيع، وكذلك جميع البهائم والوحوش والطير والهوامّ، فقلت: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. إن هذا لأمر عظيم ، هذه ليلة القيامة والخلائق محشورون، ثم قال لي: يا سلمان انظر ماذا ترى بين يدي؟ فمددت عيني أنظر فإذا بين يديه رقاعٌ لا أحصي لها عدداً وإذا هي بياضٌ ليس فيها شيءٌ مثبتٌ، فقلت: يا مولاي قد رأيت بين يديك هذه الرقاع فقال:يا سلمان انظر ماذا ترى فيها، فقلت: يا مولاي قد نظرت وتبينت ذلك فلم أرَ شيئاً، فقال: يا سلمان أعد نظرك، فأعدت نظري فإذا هي مملوءة من

جنابتها كتابة. فقلت: يا مولاي ما هذه؟ فقال يا سلمان هذا جزاؤهم، الخير والشر والعفو والعقوبة والرزق والأجل من هذه الليلة إلى ليلةٍ مثلها. فإذا كانت الليلة التي هي مثلها استوثق أن يوفوا أجورهم، فنظرت فإذا كل رقعةٍ باسمٍ منفردٍ... فقلت في نفسي: في كم يفرّق مولاي هذه الرقاع على هذا الخلق العظيم. فقال: يا سلمان ليس حيث ذهب بك الظن، امدد عينيك، فمددت عيني فإذا بالبقيع قد اتسع سعةً لم أكن أعهده بمثلها، فقلت: إن هذا لمن العجب، ما أسرع ما اتسع هذا البقيع هذه الساعة!! فقال: يا سلمان تأمّل البقيع، فتأملته، فرأيت نهراً عظيماً جارياً ، فقلت: يا مولاي متى كان في البقيع هذا النهر الماء الجاري؟ فقال: يا سلمان هذا الفرات، وهذه كربلاء من الطفوف إلى الكوفة وفيها ما يكون ما تراه في كل ليلةٍ مثل هذه الليلة حتى يكشف الله عن ساقٍ فطوبى لمن حضر في مثل هذه الليلة طوعاً لا كرهاً، عارفاً بها، مقرّاً بفضلها، ولو أن يا سلمان يجتمع العبد العارف الذي يحضر هذه البقعة في مثل هذه الليلة، والملائكة والخلائق أجمعين من الإنس والجن ومدّتهم البحار لم يأتوا على فضل ما يُعطى لعارف بها المجتهد فيها. وإذا كان غائباً عنها وهو عارفٌ بها متطلعٌ في تهجده نحوها فهو كم حضرها ونشر

فضلها في المؤمنين، ثم قال: يا سلمان خذ ما بين يديّ من الرقاع فانشره على هذه الخلائق لكي يأخذ كل واحدٍ رقعته ويعمل بما فيها، فمددت يدي نحو الرقاع فقبضت عليها فوالله ما بقي منها على السرير واحدة، وإني علم أنها أحمال أباعر لا تحصى ، فعجبت من ذلك ثم إني نشرتها ما بين المشرق والمغرب فجعلت تسقط على تلك الخلائق على كل واحدٍ منهم رقعته فيأخذها بيده حتى لم يبق واحدٌ إلا أخذ منها واحدة من العالم والبهائم والوحوش والطير والهوامّ، ثم اشار مولاي بيده فغاب جمعهم عني وقام قائماً على قدميه فغاب ذلك السرير، وإذن المؤذِّن في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فجعل خمسة في مسة وقال: أصبحت بخير يا أبا عبد الله فقلت: بمنِّك يا مولاي، جعل يحادثني ويسألني عن مبيتي إلى أن دخل المسجد وق

قامت الصلاة، فصلى وصليت بصلاته، وخرج فأتى منزله وقال لي: كن بخير، فانصرفت إلى حجرتي متحيراً من عظم ما رأيت، فثبتت ذلك في لمؤمنين كما أمرني مولاي منه السلام، ودمت أحمده كثيراً وأشكره كثيراً...

هذا ما رواه الشاب الثقة أبو سعيد ميمون قدس الله سرّه

المكنون في كتاب مجموع الأعياد في شرح ليلة النصف من شعبان، فانظروا إلى هذا الإسناد المروي عن سلمان الفارسي وإلى قول مولانا له / إن في هذي الرقاع جزاؤهم الخير والشر والعفو والعفوية والرزق والأجل من هذه الليلة إلى ليلة مثلها، فإذ كانت الليلة التي هي مثلها استوثق بهم إلى أن يوفّوا أجورهم... إلى قوله: وفي هذه البقعة يكون ما تراه في كل ليلة مثل هذه الليلة حتى يكشف الله عن ساقٍ../

أين هذا من قولك أنه لا يكون حساب ولا عقاب إلى يوم القيامة؟

قال ناصر: فكم جاء شاهد من كتاب الله يدل على ظهور المهدي في آخر الزمان وأنه يأخذ الحقوق ممن بغى وظلم، ويؤتى كل ذي حقٍ حقه خير بخير وشرٍّ بشر لقوله تعالى: إن الله لا يظلم مثقال ذرّةٍ. وقوله: يوم ترونها تذهل كل مرضعةٍ عما أرضعت وتضع كل ذات حملٍ حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكنّ عذاب الله شديد. وقوله تعالى: وإن تكن مثقال حبةٍ من خردلٍ أتينا بها وكفى بنا حاسبين . وقوله تعالى: فمن يعمل مثقال ذرةٍ شراً يره. وقول مولانا أمير المؤمنين: فإن جازني ظلم ظالمٍ فأكون أنا الظالم. وقوله تعالى: يوم يعض الظالم على

يديه. وقول شينا الخصيب:

وثم قرّت عيونٌ بالذي لقيتْ مما أعدَّ لها من خيرِ ما وعَدِ

وثم تعمى عيونٌ بالذي لقيتْ من سوء أعمالها بالركس والهمدِ

عدلاً من الله، لا جوراً فحسبكمُ يا شيعة الحقِّ ما تروؤن من سدد

وقال تعالى: فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً، ثم رددنا لكم الكرّة عليهم وأمددناكم بأموالٍ وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً. وقوله تعالى: والذاريات ذرواً فالحاملات وقراً فالمقسّمات أمراً، إنما توعدون لصادق. وقوله تعالى:

اقتربت الساعة وانشق القمر. فكل هذه الآيات ونظائرها مما يقرّ بها المؤالف والمخالف، دلالةٌ على ظهور المهدي وأنه يُنصف المظلوم من الظالم...

فقال الشيخ معلا: نعم كل هذا مما يدل على ظهور مهدي آل محمد ولكن ليس هو مما يدفع العذاب ويمنع الحساب في وقتنا هذا، ألا ترى إلى قوله تعالى: ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلم يرجعون. فالعذاب الأدنى هو حلولهم في

الخاءات الخمسة، في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً، وذلك من الكبر إلى الصغر، ومن القوة إلى الضعف وهو قوله تعالى: حتى يلج الجمل في سُمِّ الخياط. يعني من الفيل إلى دودة الخل وإلى ما هو أدق وأضعف... والعذاب الأكبر يكون في الرجعة البيضاء والكرّة الزهراء وكشف الغطاء...

هذا ما رواه فقيهنا الشيخ أبو عبد الله في رسالته ، وبيّنه أيضاً في ديوانه نظماً بعد أن ذكر حلولهم في ذوات الذبح والمكبويات والرسوخ. فقال:

ذاكَ من التعذيب أدناه إلى يوم العذابِ الأكبر الهول الوصب

وقال أيضا: "هذا لهم في دوانيه وحاضره إلى الكبير من التعذيب والنكدِ

فعندها تثاقل الشيخ ناصر بالقول واستمال إلى كل جهول، ولقد ورد خبر قصتهم من طرقاتٍ شتى عن رجالٍ يوثق بأمثالهم ويُعوّل على قولهم ويُعتمد على تصديقهم ويُعتقد بصدقهم، فتلقنت ذلك من أفواه الرجال الصادقين الذي نقلوه عنهم سماعاً وقد رسمته كما سمعته منهم وحفظته عنهم نقلاً صحيحاً من غير زيادةٍ ولا نقصان، وهو أنه لما رأى الشيخ ناصر نفسه قد

صغرت وسفنه قد ركدت،واستكنت ريحه، مال إلى المكر والخديعة، واختلى مع يوسف المليح ليستفزَّه إلى الفعل القبيح وقال له: ما يكون الرأي والعمل في أمر هذا الرجل الضالل المضل الذي عطّل شرائع الأنبياء والرسل، واتبعوه جماعته على ذلك فأضلّهم عن الرشد، وأنه كلما أوردنا له جواب من علم الحق قابلنا بضده، وكلما خاطبناه بشيءٍ من الصدق جاءنا بعكسه، فلا يرجع عن ضلاله ولا ينتهي عن مقاله ولا تؤثر فيه المواعظ ولم يزل مصراً على اعتقاده الذي جعل عليه اعتماده وقد كنت مجتهداً على هدايته وهداية جماعته، وردعهم عن ضلالهم لكي أكسب ثوابهم فما أفاد. فقال له يوسف المليح: كيف الرأي عندك يا شيخ؟ قال الشيخ ناصر: إن الرأي عندي أن يحبس هو وأصحابه في مكان حتى تلين أنفسهم ويرجعون عما هم عليه من الاعتقاد الفاسد. فقال يوسف المليح: لا يسوغ أن نحبسهم من غير جنايةٍ توجب ذلك فنأخذهم بها. فقال الشيخ ناصر: وأيّ جنايةٍ أعظم من عبادتهم لما لا يُبصر ولا يسمع ولا يضرّ ولا ينفع دون الخالق الرازق الباري المصوّر؟ وكم جاهد رسول الله والأنبياء من قبله، والخلفاء من بعده، فيمن كانوا يعبدون الأصنام وفيمن ارتدوا عن دين الإسلام، وفيمن خرجوا

عن طاعة الإمام؟

فافتكر يوسف المذكور في ذلك، وقال: يا شيخ إن الوجه عندي أن نطلب منهم أمراً نُعجزهم به، فنأخذهم بوجه الحق ليتم لنا مرادنا ونكون بذلك غير ملومين /فكانوا كما قال الله تعالى: إن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون../ فقال الشيخ ناصر: إني أرى أن نطلب منهم البرهان فإنهم يعجزون عن ذلك لعبادتهم لما لا يضر ولا ينفع ولا يُغني عنهم شيئاً.

فقال يوسف: وأي برهان يكون؟ قال ناصر: هو أن تفيّض آنية الشراب في أيدينا وتشتعل الشموع أيضاً في أيدينا من غير نارٍ، فعند عجزهم عن ذلك نوثقهم حتى يرجعوا عما هم عليه من الكفر.

ثم رجعا إلى المجلس وذلك من بعد العشاء – فقال يوسف المليح للشيخ معلا: يا شيخ لقد تذاكرت أنت والشيخ ناصر في كثير من العلوم والديانة والاعتقاد وما أرى أحداً منكم أفلج على الآخر حجةً ولا بانت له محجّة ولا أحدٌ منكم سلّم إلى الآخر، غير أننا نمتحنكم بالبرهان على صدقكم فنكون في ذلك على بصيرةٍ من الحق كما قال الله تعالى: قل هاتور برهانكم إن كنتم

صادقين.

فقال الشيخ معلا: إنني عبدٌ مفتقِر إلى من له الفعل والأمر، لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله وأقول كما قال الله تعالى في خطابه لرسوله تعليماً لنا وتأديباً وهو قوله تعالى: قل إني على بيّنةٍ من ربي وكذبتم بهما عندي ما تستعجلون به إن الحكم إلا لله يقصّ الحق وهو خير الفاصلين، قل لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم والله أعلم بالظالمين. وقال تعالى: إن الأمر كله لله فقال الريس علي: إن العالم لا يُطلب منه برهانٌ، لأن برهانه علمه، وأي برهان أعظم من العلم والفقه؟

وقال الريّس سيف: لِمَ لا يُطلب البرهان من الفريقين ويُمتحن بذلك الطرفين لنعلم أيهما المحق من المبطل؟

فقال يوسف المليح: إن الشيخ معلا لا يُنكر على الشيخ ناصر إقراره بالصورة البشرية بل الشيخ ناصر منكِر على الشيخ معلا إقراره بالصورة النورانية، فلذلك طُلبت البيّنة من الشيخ معلا لينوِّر بذلك دعواه ويُثبت ما ادعاه، وليس على المنكِر بيّنة...

فقال الشيخ موسى من قرية بحنين: إنه قد أتى الشيخ معلا بالبيّنة من كتاب الله ومن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم،

ومن أقاويل الموالي والأئمة الراشدين والسادة المتقادمين. ونطق بها كما جاءت بالدلالة على حسن إقراره، و صحة اعتقاده ، فلم لا يقنعكم ذلك؟!

فقال الشيخ ناصر : إن جميع ما تفوه به الشيخ معلا من لدلالة على صحة اعتقاده فهو من تحريف أصحاب المآرب ما أنزل الله به من سلطان. فتلا الشيخ سلامة قوله تعالى: تعالوا ندعُ أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين.

وتلا الشيخ عيسى الحنفية قوله تعالى: فإن آمنوا بمثل ما آمنتم فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم، صبغة الله ومن أحسن من الله صبغةً ونحن له عابدون، قل أتحاجُّوننا في الله وهو ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكمُ أعمالكم ونحن له مخلصون.

فقال الشيخ علي بن زريق، من قرية كفر كمرة: قال الله تعالى: الذين تدعون من دون الله عبادٌ أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين، ألهمُ أرجلٌ يمشون بها أم لهم أيدٍ يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون، إن وليّيَ الله الذي نزل

الكتاب وهو يتولى الصالحين، والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون.

فتلا الشيخ معلا قوله تعالى: وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا أنؤمن بما أُنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدِّقاً لما معهم.

وتلا الشيخ سلامة تسكيناً لأبيه، قوله تعالى: واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون، إن الله مع الذين تقوا والذين هم محسنون، وقوله تعالى: يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

وقوله تعالى: لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون.

وتلا الشيخ سليمان ابن الشيخ معلا، قوله تعالى: فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين، إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمنذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون...

فلما تطاول الخطاب بين الطرفين وضاق الرحاب بين الجمعين، أمر يوسف المذكور بإحضار الشموع والشراب، وأعطى كل

إنسان كاساً في يده وشمعة في الأخرى ، وقال: هذا الشراب وهذا الشمع، فإذا لم تفِض الآنية وتشتعل الشموع وإلا فالسجن غير مدفوع ولا ممنوع، والعذر في ذلك مرفوع، ولا منجيكم غير البرهان أو الرجوع.

فرهب الشيخ معلا، وارتاع لذلك، فتلا ابنه الشيخ سلامة تمكيناً لأبيه وتذكيراً أيضاً قوله تعالى: ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين، وقوله تعالى: ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرةٌ من الله ورحمةٌ خيرٌ ممايجمعون.

فقال الشيخ ناصر: الفاتحة تعجيلاً باختجالهم، فقرؤوها جميعاً، وبدأ ناصر متوسلاً يقول: اللهم إني أسألك بحق هذه الفاتحة، وحرمة الفاتحة ، وفضل الفاتحة، وأسرار الفاتحة، ومن أنزل الفاتحة، ومن نزلت عليه الفاتحة، أن تجعل هذه الفاتحة في صحائفنا وصحائف السادة الحاضرين وصحائف والديهم اللهم بحق هذه الفاتحة، فمن كان منا على الصواب أو معه الحق أن تزرقه بركة هذه الفاتحة وتظهر حقه، ومن كان منا على غير الصواب أو رجع عما هو عليه، اللهم أرزقه ثواب هذه الفاتحة / ترغيباً للشيخ معلا بالرجوع إلى رأيه/ ثم قال: ومن تكبّر منا وعاند ولم يرجع إلى الحق اللهم اجعل هذه الفتحة خصمه في

الدنيا والآخرة وحجة عليه لا له، والسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

فتلا الشيخ معلا / تذكيراً لإخوانه الحاضرين / : يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون. ثم تضرع متبتلاً وابتهل متوسلاً إلى مولاه، وتلا قوله تعالى: وأيوب إذ نادى ربه إني مسَّني الضرّ وأنت أرحم الراحمين. وقوله تعالى: ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شيءٍ في الأرض، ولا في السماء. وقوله تعالى / عن لسان نوح النبي عليه السلام / : غذ قال ربي إن قومي كذّبوني فافتح بيني وبينهم فتحاً ونجّني ومن معي من المؤمنين... ثم رفع طرفه ودعا سراً، وإخوانه بيتهلون بقبول دعائه مما به خلاصهم وإظهار حقهم. ثم تلا قوله تعالى: الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح في زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكبٌ دريٌ يوقد من شجرةٍ مباركةٍ زيتونةٍ لا شرقيةٍ ولا غربيةٍ يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نارٌ. نورٌ على نورٍ يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس ... الآية.

فالتهبت الشموع كأنها في يدٍ واحدةٍ، بقدرة الله تعالى، فتهللت

جماعة الشيخ معلا فرحاً، وتميزت قلوب خصمائه غيظاً، وبكى هو خشيةً ورهبةً، ثم تلا قداس الإشارة إلى آخره، وأشار به إلى مولاه سراً، وتلا بعده قداس الصرف إلى قوله / اللهم اجعل قرن كلمتنا السارة بأمثالها، وأوقاتنا الحسنى بنظائرها ، ثم تلا سورة الدهر، متبركاً بها إلى قوله تعالى / ويطاف عليهم بآنيةٍ من فضةٍ وأكوابٍ كانت قواريراً، قوارير من فضةٍ قدورها تقديراً، ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً، عيناُ فيها تسمى سلسبيلاً، ويطوف عليهم ولدانٌ مخلّون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً، وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً ومُلكاً كبيراً، عاليهم ثياب سندسٍ خضرٌ واستبرق وحلوا أساور من فضةٍ وسقاهم ربهم شراباً طهوراً، إن هذا كان لكم جزاءً وكان سعيكم مشكوراً، إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً، فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً، واذكر اسم ربك بكرةً وأصيلاً، ومن الليل فاسجد له وسبّحه ليلاً طويلاً، إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً، نحن خلقناهم وشددنا أثرهم وإذا شئن بدّلنا أمثالهم تبديلاً، إن هذه تذكرة فمنشاء اتخذ إلى ربه سبيلاً، وما تشاؤون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيماً، يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذاباً أليماً/... ففاضت الكاسات في

أيدي الجماعة الحاضرين، والأبطية قدامهم، وتلا الشيخ معلا قوله تعالى: هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر...

وقوله تعالى وأقيموا وجوهكم عند كل مسجدٍ وادعوه مخلصين له الذين كما بدا كم تعودون فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة...

فشمخ ناصر متخجلاً ، وأبى مستكبراً، وولى مدبراً ولم يُعقب، فتلا الشيخ معلا قوله تعالى: يا ايها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم...

وتلا الشيخ موسى بحنين قوله تعالى: وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً.

وتلا الشيخ سلامة قوله تعالى: أفمن أسّس بنيانه على تقوى من الله ورضوانٍ خيرٌ، أو من أسس بنيانه على شفا جرفٍ هاوٍ فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين.

فخجل لذلك يوسف المليح وذهب ناصر المغرور إلى قرية حاصور، من أعمال بلاد الحصن مشحوناً بالحق والضغن، وصنّف فيها ما هو مسطور من هذا المختصر المذكور الداعي إلى الويل والثبور ليشعل ما خمد من نار الفتن ويستحوذ على المستضعفين في العلم بما به تصدى وشطن، مقرراً بدعواه أنه

منتصرٌ على من ناوأه، ونسب إلى من ينتمي إليه صحة الاعتقاد وتحقيق الإيراد، ليستفزهم إلى رأيه لغلبة هوائه ورمى أهل الحقيقة بالنقص والاستصغار، نسبهم للكفر بالملك الجبار، وأقام لنفسه المعاذير بالتبديل والتغيير، وأثبت على ربه التكوين والتسخير، على عبيده المقرّين التهجين والتفشير، وأسبل ستوره على عوار أموره ولم يعلم أنه لا يخفى على الله شيءٌ في الأرض ولا في السماء، فصبا إلى باطله ذوو العقول الناقصة وصغى إلى تخييله أرباب العقول الراهصة، فأطراهم في خطابه ومدحهم في كتابه، بقوله: / وأما الذين وافقوني واتبعوا رأيي وفّقهم الله على حسب الإرادة، يعني على حسب إرادته التي هي أصل حيرته وصلالته بلا خلاف فهم الجميع من أولاد المناصف ودائر بلاد الحصن، فمنهم الشيخ يحي من قرية شين وأخوته والشيخ علي المقعد وأحمد بن الأبرش وتوابعهم من أهل قرية تارين عيسى ابن الشيخ موسى وأخوه ناصر والريس منصور والشيخ علاي الدين ابن الأسود وإبراهيم أبو ناصر وابراهيم البرقي وشعبان ورجب وأولاد نشنوش وجميع قريتهم وجميع بلاد المناصف وناحية بارين وجميع بلاد الحصن، وما خالف رأينا إلا بلاد صافيتا.../.

فأقول وأسأل الله تعالى أن لا يخلي المؤمنين من علماء بلاد صافيتا ولا زالت أياديهم تقلّد الأعناق أطواق المنن وتدخر عند الله تعالى الأجر الحسن فلقد حازوا المراتب السامية والفضائل الباقية بخلافهم لهذا الرجل الذي كان يمزج المنّ بالزعاف ولا يفرّق بين الطيب والمستعاف ولا بين الجور والإنصاف ولا يفهم طريق الاستقامة من الانعطاف ولا يميز ذوي الأبصار من أهل الكفاف لأننا ما سمعنا ولا نقل إلينا أن أحداً من العلماء المتقادمين والسادة السالفين واللاحقين بهم من المؤمنين التابعين قذف بأهل صافيتا ولا نسبهم إلى تغيير ديانة أو تبديل شريعة غير هذا الباغي المغوي والجاهل المدّعي وذلك لخلافهم عليه تبتّل عليهم بالطعن فكانوا كما قال الله تعالى: والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون...

وأما مدحه أهل المناصف والديار الشرقية كونهم على رأيه ومذهبه ولقد سبق ذمّهم على لسان كثيرٍ من العلماء الموحِّدين منهم الشيخ يوسف ابن العجوز الحلبي قدّس الله روحه وهو قوله في مناظرته: فلما تكافى سماعي من سيدي أحسن الله معاده وطلب سيدي السفر، وأمرني بالسفر معه فلم يكن لي سبيل إلى ذلك لقلة ما في يدي من النفقة فأوصى سيدي أن

يحضروني الجماعة في بلد الزمام فأحضروني وصرت أعرف بينهم بابن العجوز الحلبي النشابي فقمت على خدمة المشائخ وعرّفوني الإخوان الخدمة وحسن المحبة والمعرفة فضاق ما في يدي من المعاش في ذلك البلد فرحلت إلى بلد المناصف إلى قرية الخوصة فعاشرت أهل المناصف وأهل الجبال جميعهم وعرفت أهلها ومناهجهم وطرائقهم فوجدت أكثر أهل الجبل شذوا عن الحق وقول الصدق ومالوا إلى الأسباب الفاسدة والبضائع الكاسدة والتجارات الخاسرة وكلٌّ منهم لهج باسمٍ بغير معنىً وكل جماعة قد لهت بإمامها عن أمير المؤمنين تعالى ذكره وهو الثمن القليل الذي ذكره الله تعالى بقوله: ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً، واشتروا به ثمناً قليلاً، وبعضهم كنت أسمعه يقول: إن الذي نطق على المنابر وقال / أنا الله/ هو قميص النور، ولسان العبادة لأن المعنى لا ينطق إلا بلسان واللسان صفة من الإنسان والصورة هي معدن الإشارة والمعدن مستقر ومسكن الغيب فحجبهم بالصورة المرئية التي أوراهم منها النطق الإلهي وهي صفةٌ واحتجبوا بقوله: تلك صفات النور وقمص الظهور، فهذه شهادة من الشيخ المذكور بذم أهل المناصف وأهل الجبل. إلى أن قال: وعاشرت في زماني هذا ناشي قرمس وربيعة

السويدا، ولي في هذا من الاحتجاج حديثٌ يطول شرحه فأعوذ بالله من اتباع هذه المقالات الفاسدة وهؤلاء من الرجال الذين كانوا في الجبل وقد شذوا عن الأبوّة الشعيبية والمقالة الخصيبية وزعموا أن هذا السر وصل إليهم من هذا البيت وكل واحدٍ منهم عمل له نسبة وشهادة واحتجب بها بعضهم عن بع لطلب الرئاسة وقبول هذه الدنيا وكثر بينهم السبّ والنميمة وقلّت الأعمال وكثر الليام وللجبل يومئذٍ إمام يقال له جامع من قرية المريّح رحمه الله وقد ناظر أصحاب العقول الفادسة وأفلج الحجة عليهم وقطع معاشرتهم فتحققت أنه على مذهبي ولم أكن أعرفه قبل ذلك الوقت فلما سمعت بجزيل فضله ونواله فقصدت علمه وإحسانه وحضرت بين أياديه الجميلة وأخلاقه الرضية الكريمة فلم تزل أياديه لديّ جامعة وإحسانه وأنعامه عليّ سابغة أحسن الله معاده، واجتمعت معه في قرية ديرونه من بلد القليعة ومعنا عبد الله من قرية الجريص رحمه الله، وجرت بيني وبينه مناظرة فحاققته عليها، فشهد لي المعلم جامع أن الحق معي، وأخّر عبد الله عن الجواب الذي كان معتقده وأوصى الجماعة بي بعد أن شرحت له ما أنا معتقده من علم التوحيد وقال: أوصيك يا يوسف أن لا تميل إلى أصحاب العقول الفاسدة بعد

أن اعتقدت الحق وقول الصدق فلا تسمع منهم ولا تغيّر ما أنت عليه، فقبلت وصيته ولم أرجع أعاشر أحداً منهم ولا شهِدت لهم جماعة لما رأيت من ترك الحقوق بقوله تلك صفات النور وقمص الظهور ، فهذه شهادة من الشيخ المذكور بذمّ أهل المناصف وأهل الجبل، إلى أن قال: وعاشرت في زماني هذا ناشي قرمس وربيعة الشويدا ، ولي في هذا من الاحتجاج حديثٌ يطول شرحه فأعوذ بالله من اتباع هذه المقالات الفاسدة، وهؤلاء من الرجال الذين كانوا في الجبل وقد شّوا عن الأبوة الشعيبية والمقالة الخصيبية وزعموا أن هذا السر وصل إليهم من هذا البيت وكل واحدٍ منهم عمل له نسبة وشهادة واحتجب بها بعضهم عن بعض لطلب الرئاسة وقبول هذه الدنيا وكثر بينهم السبّ والنميمة وقلّت الأعمال وكثر اللئام ، وللجبل يومئذٍ إمامٌ يقال له جامع من قرية المريّح رحمه الله وقد ناظر أصحاب العقول الفاسدة وأفلج الحجة عليهم وقطع معاشرتهم فتحققت أنه على مذهبي ولم أكن أعرفه من قبل ذلك الوقت فلما سمعت بجزيل فضله ونواله فقصدت علمه وإحسانه وحضرت بين أياديه الجميلة وأخلاقه الرضية الكريمة فلم تزل أياديه لديّ جامعة وإحسانه وأنعامه عليّ سابغة، أحسن الله معاده، واجتمعتُ معه

فـي قريـة ديرونــه مـن بلـد القليعـة ومعنـا عبـد الله مـن قريـة الجريص رحمـه الله، وجرت بينـي وبينـه منـاظرة فحاققتـه عليهـا، فشهد لي المعلم جامع أن الحق معي، وأخّر عبد الله عن الجواب الذي كان معتقده وأوصى الجماعة بـي بعد أن شرحت لـه ما أنـا معتقده من علم التوحيد وقال: أوصيك يا يوسف أن لا تميل إلـى أصحاب العقول الفاسدة بعد أن اعتقدت الحق وقول الصدق فـلا تسمع منهم ولا تغيّر مـا أنـت عليـه، فقبلـت وصيته ولـم أرجـع أعاشـر أحـداً منهـم ولا شـهدت لهـم جماعـةً لمـا رأيـت مـن تـرك الحقوق وهدم الشرائع وخلاف ما وصّت به السادة الموحِّدون، ثم مرّ فـي القول يذم أهل المناصف والجبال وما لجأوا إليـه مـن الاعتقاد المحال وتنكبهم عن المذهب الأصلي والمسلك الشرعي إلـى أن ذكر حـاتم الحنفيـة ويوسف ابن الإمرأة وداوود القيقانيـة وجعفر السويدانية وحسان حديا ومرهج الطوبـان، وسيأتي القول علـى ذكر اعتقـادهم ومـا احتجوا بـه من الحجج التي تدل علـى فســاد عقــولهم ، إن شــاء الله تعــالى ثــم تمحــض هــذا الهائــم المغمَّض يمـدح أهل تلـك الـديار ليكـون لـه ولهـم تـذكرا، عقيب قولـه:

/ ومـا خـالف رأينـا إلا بـلاد صـافيتا والبـاقي من العلمـاء ردوا إلـى

الطريق وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا على يدك وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، فمنهم الشيخ رجب من قرية خربة القبو، كان رجل كبير فيلسوف زمانه فلما سمع كلامي صغى إليه وفهم معناه ورجع إلى الصراط المستقيم، وهم علماء ومشايخ وسادات فلما رأوا الحق مالوا إليه ولم يثنهم عنه شيءٌ فاتبعوا الحق ورفضوا الباطل وهم أناس كثير، مثل الشيخ نور الدين من قرية بلقسه والشيخ علي بن زريق من قرية كفر كمرة والشيخ عبد الله وإخوته من قرية قرمس والشيخ ياسين وإخوته وعلوان وتوابعهم من أهل قرية فاحل، وإن ذكرتهم لطال الكتاب وملّ سامعه وقاريه/.

فأقول: إن هذا الرجل يفتخر بكثرة جنوده وأعوانه الذين اتبعوه على ضلالته وأعانوه على جهالته وما علِم بأن إبليس اللعين أكثر منه جنوداً وأقوى أعواناً. فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود إبليس أجمعين، وقد وجد في قديم الزمان رجلٌ في باب العميان في مدينة حماه من المتشيعين وهو ينشد شعراً:

كم من حمارٍ له حميرٌ وكم خبيرٍ بلا حمارِ

وقد وصف الله تعالى إبليس اللعين بالخيل والرجال والجنود والأموال والأولاد ويمكن هذا الرجل قد واقع الشيطان أمه فشارك

أبوه وفيما جميع من الأموال فقال تعالى مخبراً عنه: واجلب عليهم بخيلك ورجلِك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً. وقال تعالى: فسيعلمون من هو شر مكاناً واضعف جنداً. وقال تعالى شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعضٍ زخرف القول غروراً. وقال تعالى: إنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزّهم أزاً. وإني أستغفر الله وأتوب إليه مما لفظت به في حق هؤلاء العاصبة كونهم كانوا مقرّين بالصورة الظلية ومتمسكين بالأجوبة الفرعية ولربما أنه من ثبت منهم على ذلك يرقى في كرّاته إلى معرفة الصورة النورانية وإنما وقفوا عند ذلك إذ لم تتعدَّ بهم أفهامهم لقبول إشراق النور، فهم معذورون لذلك ومع هذا فلا أستجيز ذمّهم ولا سبّهم وإنما القول واقعٌ في نفس هذا الشيطان الذي قام مستهجماً على ذمّ من حمدهم الله تعالى في كتابه ووصفهم في خطابه ونعتهم بالإيمان بقوله تعالى: والذين صدقوا بما عاهدوا الله عليه، وهو العهد الذي أخذه عليهم ربهم بأنهم يعرفوه ولا ينكروه. وقوله تعالى: ومن أوفى بالتنبيه والتحريض لتابعيهم بعدم الاستمالة إلى رأي أهل الفساد والجهالة...

وقال تعالى: إن الشيطان لكم عدوٌ فاتخذوه عدواً. وقال الله تعالى

عن خطاب إبليس وهو قوله: فبعزّتك لأغوينهم أجمعين، إلا عبادك منهم المخلصينز بعد أن حتّم الحق بقولهتعالى: إلا عبادي ليس لك عليهم من سلطان. فقال: فالحقّ والحق أقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين. وهذا الرجل فقد سمى المؤمنين مخالفين لخلافهم عليه، فقال:

/ وأما الذي شاهدتهم من المخالفين الذين ذكرنا طريقتهم، منهم الشيخ معلا من قرية مجدلون البستان والشيخ نجم الدين من قرية الحريبة وتوابعهم من جميع ناحية صافيتا والشيخ عيسى من قرية الحنفية فما رأيت أكبر منه نفساً ولا أقوى بأساً ولا أضعف علماً ولا أشح نفساً، والشيخ موسى من قرية بحنين وتوابعهم أناس كثير لا يدينون لله بدين إلا كما ذكرنا، وأضلوا عقول أناسٍ كثير فنصحناهم فلم يقبلوا النصيحة، فتركناهم لقوله تعالى: وما ،ت بهادي العُمي عن ضلالتهم إذا ولوا مدبرين.../.

فأقول: فما خالفوه هؤلاء الشيوخ المؤمنون إلا لما رأوا من عماه وجحده وجود مولاه، وتلاه على منهاجه من غلب كدره وتوالاه، فكانوا الذين توالوه ممن قال الله تعالى فيهم: ألم ترى إلى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون . الآية، إلى قوله: ويحسبون أنهم على

شيءٍ إلا أنهم هم الكاذبون ، استحوز عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان إلا أن حزب الشيطان هم الخاسرون، إن الذين يحادّون الله ورسوله أولئك في الأذلين ، كتب الله لأغلبنّ أنا ورسلي إن الله قويٌ عزيزٌ...

وكانوا هؤلاء الشيوخ الذين خالفوه ممن قال الله تعالى فيهم: لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كان آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيّدهم بروح منه ويدخلهم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله إلا أن حزب الله هم الفملحون. ومن جملة الفرائض المفروضة على العالِم أن يعرف وليّ الله فيواليه ويعرف عدوّ الله فيعاديه ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم لأصحابه: ما أكبر ما افترض الله عليكم!؟ قالوا: الصلاة يا رسول الله. قال : إنها الكبيرة وليست هذه، قالوا: الصوم يا رسول الله، قال: إنها لكبيرة وليست هذه. قالوا: الزكاة يا رسول الله، قال: إنها لكبيرةٌ وليست هذه. قالوا: فأي شيء هو يا رسول الله؟ قال: الحب في الله والبغض في الله.

فكيف هؤلاء الرجال الذين عرفوا الله ورسوله وثبتوا على توحيده

وموالاة أوليائه ومعاداة أعدائـه واستقاموا علـى الطريقـة واستقوا من عيون السلسبيل ماءً غدقاً ممزوجاً بالتسنيم ومختّماً بالعبير أو يوالـوا هـذا الرجـل المنكـر الـذي حـادد الله ورسـوله ونسـبهم للتسـخير والتقـدير وجعلهـم مـأمورين ومصنوعين وأوقعهـم تحـت حكـم الأمـر وازدرى بمـواليهم وسـمّاهم مخـالفين وعـن الحـدود خارجين وعن الطريق ناكبين وعاداهم على ذلك حتى صار عدواً لهم في الدِّين وقطع بذمّهم كالذين توالوا الجبت والطاغوت، ولقد قال بعض الشعراء:

كلُّ العداوات قد تُجرى مودتها إلا عداوة من عاداكَ في الدِّينِ

ولـو أن هـذا الهـائم وقـف عنـد وقـوف فهمـه واعترافـه بالصـورة البشـرية فقـط مـن دون أن يكـون لـه معرفـة بالصـورة النورانيـة بدون مكـابرة ولا فخرٍ ولا عنـادٍ لأهل الحقيقـة البـالغين كما ذكرنـا سـابقاً لكـان يُطلـق عليـه القـول بأنــه مـن عـوامّ المـؤمنين لأن المؤمنين علـى ثـلاث طبقـات: عوامّ وخـواص وخـواص الخـواص، فأمـا العوامّ: فـلا بـد مـن إقـرارهم بالصـورة المرئيـة البشـرية علـى طريق التقليـد حسـبما طبـق عليـه الجمهـور بعقـد الشـهادة للعين بالربوبيـة وللميم بالاسمية وللسين بالبابيـة كمن يتلقـى الشـهادة

عن آبائه بطريق التسليم والمتابعة على ذلك من غير تحقيق ولا رؤية وذلك مجازاً في العقد الجازِم ليس حقيقياً في مذهب الفقيه العالِم ، فهؤلاء أصحاب الطبقة الأولى.

وأما الطبقة الثانية فهم الذين قد استندوا بإيمانهم وإقرارهم بالصورة المرئية: على الدليل الشرعي الفقه المستعري فصدّقوا الدليل وسلكوا في ذلك أوضح سبيل وتفقهوا في وجودها فالتزموا تنزيهاً عن صفة الأبشار، وعن الإدخال تحت حكم الإحاطة بالأبصار، وأوقعوا ما رأوا من العجز والتخاطيط على ذواتهم لعلمهم بعجزهم عن إدراك صفة الخالق الرازق فكانوا ممن تبع هداي فلا خوفٌ عليهم لا هم يحزنون. فهؤلاء هم الخواص وهم أصحاب الطبقة الثانية.

وأما الطبقة الثالثة الذين هم خواص الخواص فهم المؤمنون الذين أقرّوا له بالوجود الظلي الممدود بدليل قوله تعالى: ألم ترَ إلى ربك كيف مدّ الظلّ ولو شاء لجعله سكناً ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً، ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً واستعدت أنوار أبصارهم لقبول إشراق الجوهر البسيط والمثال المتجلي في الفلك المحيط بالنحل المسمّى أميرهم حال تجليه لههم في المحل الأثير الذي لم يشبه التغير فأقروا له في الوجودين وبلغوا مجمع البحرين

فصاموا العشرين والثمانية أيامٍ وليالٍ متواليةٍ وأتموا الصيام إلى الليل في معرفة اليومين ليستكملوا العدة بتمام المدة فعم الراسخون في العلم وأهل المعرفة ومستقر دعوة النصفة، وقد قال الله تعالى: هو الذي أنول إليك الكتاب منه آياتٌ محكماتٌ هنّ أمّ الكتاب وأخرى متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغٌ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا.. فسمّاهم راسخين بتسليمهم، ورفع الراسخون بالاستئناف لا بالعطف على / الله/ وقد قال بعضهم إن الآيات المحكمات هي الظهورات السبعة الذاتية التي لم يدخل الاسم في مقامٍ منها. والمتشابهات هي ظهورات المعنى كمثل صورة الاسم عند إزالته، وقال آخرون إن المحكمات والمتشابهات هي ظهوره بالعجز والمعجز... فهؤلاء هم أصحاب الطبقات الثلاث الذين قال فيهم المولى منه السلام: افترق محبونا ثلاث فرِقٍ: فرقة إيمانها محضٌ، وفرقة تمحّض إيمانها، وفرقةٌ لم تتمحض وهذا الرجل لو أنه وقف عند إقراره كما ذكرنا ، وسلّم ولم يكابر ، لكان يُرجى له في تكراره الترقي إلى معرفة الحقيقة وهي رتبة الخواص ولكنه سوّلت له نفسه أنه قد بلغ الحقيقة في المعرفة إلى الغاية

ووصل إلى النهاية التي هي رتبة خواص الخواص. فكابر بقياسه وعاند وصار ضداً مع المؤمنين وأظلم وبعد من المعرفة باستكباره، وعقب ما انتهى بالذم والشتم لأهل صافيتا فقال:

/ وأما مشايخ حماه عاشرنا منهم الشيخ يونس والشيخ علي الخبّاز، وعبد العزيز الناسخ والشيخ بدر والشيخ أحمد والشيخ يوسف والشيخ ابراهيم وغيرهم، فرأيتهم على الطريق المستقيم ما غيّروا ولا بدّلوا، وماتوا وهم على طريق الحق ولكن ظهر بعدهم في حماه شخص اسمه سلمان فهو على طريق من ذكرنا من المخالفين ويشير إلى القاف ولا يخاف وبال أمره، ونهيناه فلم ينته وأبى وتمرّد/.

فأقول: رحم الله هذا الشخص المذكور عنه أنه أبى وتمرد، لا بل قد نزّه ووحّد، ووفق وسدد بالسلوك على طريق الاستقامة في المعرفة التي تؤدي إلى دار الكرامة وأن لحى منكروها أو لأنه جاحدوها فلم يختار عوضاً عن جادة السلامة ثم قال ذاهباً بتزكية من أشبعوه الطعام وسقوه الخمر الحرام ووافقوه على جحود الأحد العلاّم وهو قوله:

/ وأما جبل مصياف عاشرت فيه الشيخ حيدر وابنه الشيخ قاسم

وتوابعهم من أولاد الشيخ خليل بن مرهج حفظهم الله فوجدتهم مقيمين على طريق الحق ورأيتهم على مذهب لاحسين بن حمدان قدس الله روحه وحشرهم في زمرته، وكان لهم جد يسمى خليل ابن مرهج وكان زكياً ناسخاً، ما غوي النّساخة والذكاء مثله، وكان مستقيم على الطريق من زمان جدود جدوده ما غيّروا ولا بدّلوا تبديلاً، فزارني من حلب وسمع خبري الشيخ قاسم شيخ الحلبييّن ففهم وأطاع ورجع عن طريق سراج الدين وزارني رجل اسمه الشيخ هاني من بلاد اللاذقية فرأيته موافق الطريقة وذكر لي أن في بلاده عصبةٌ محقين، وزارني رجل آخر من بلاد اللاذقية واسمه نور الدين من قرية فديو وهو يشير إلى السما ويجعلها المعنى القديم فنهيته ولم ينته وجادل وكابر، وأما بلاد اللاذقية وصهيون ونواحي أنطاكية جميعاً يشيرون في عبادتهم إلى هذه السما وهي عندهم أصل كل شيء، و/ا بلاد المعرّة وسرمين ونواحيهم، وبلاد عانة والموصل والعراق وماردين فإنهم ارتدّوا إلى رأي سراج الدين العشري الحلولي وتركوا رأي ساداتهم مثل أولاد شعبة الحرانيين وشمس الدين البغدادي وصفي الدين ابن المحوّر الصوفي البغدادي، والبزاز العواني الموصلي وسمنديار وحسن ابن مكزون وغيرهم من السادات والمشايخ

قدّس الله أرواحهم، وتركوا طريقهم الواضح وتبعوا رأي سراج الدين واسحاق الهالك ودانوا بالثامنة وجعلوها من كلام أمير المؤمنين وأضلوا بها عقول أناسٍ كثيرٍ، وهي تصنيف تلاميذ الأحمر الذين كلٌّ منهم يجعل نفسه أمير المؤمنين وهم شيعة إبليس مبدِّل الأديان ومغيِّرها ويقولون إن المعنهى هو النطق من كل ناطق، والحسّ من كل شيء، فإن الحس والنطق لا يُدرك بالنظر بل تسمعه أذنك ولا تدركه عينك، والقلب عندهم المعنى أيضاً، والاسم والباب هما السمع والبصر، والمراتب العلوية السبعة، والمراتب السفلية يجعلوها في هذا الجسد الترابي البشري ويقولون إن الصورة المرئية التي هي عليٌّ أمير المؤمنين التي تكلمت على المنابر هي المقداد، ويقولون: نحن فينا الأكوان الستة، وأجسادنا نورٌ كلها روحانية ونحن أرباب لبعضنا ويطيعنا ويسجد لنا من في السموات والأرض، ويحفظون قداسات سراج الدين ويجسّدون باريهم اسمه وبابه وعوالم قُدسه، وهؤلاء أشر الفرق وأضعف الأديان وأنجس العالم.../.

فأقول: أما هذه الفرقة التي ذكرها وقال: /إنها أنجس الفرق/ فهو من المعلوم عند كافة الخصيبيين أنهم أنجس وأخبث وأركس كونهم يُحلِّون الباري في أجسامهم ولكنني عجبت من

ذمة أهل بلاد المعرة وسرمين وعانـة والموصل والعراق وماردين. وقوله إنهم ارتدوا إلى رأي سراج الدين الحلولي ونسي جيرته أهل المناصف وقزحل وحمص وما جرى فيها من هذا المذهب الفاسد، ونحن بحوله تعالى نبين ابتداء هذا المذهب الزرّي مما حكاه حاتم الجديلي رحمه الله تعالى في كتاب التجريد عن سبب تأليف كتاب الثامنة وهو قوله:

اعلم يا أخي أن سبب تأليف كتاب الثَّامنة أنهم كانوا اثنين من بغداد وواحد من الشام وثلاثة من الموصل وواحد من عانة وواحد من حلب ، جملتهم ثمانية فاجتمعوا يومئذٍ وألّفوها وجعلوا أنفسهم معنىً واحد، وقرروا أن الذكر والنطفة التي فيه والفرج وما يدخله من المني هو المعنى / قبّحهم الله/ ويقولون إن في الإنسان خمس نويهارات وهي السمع والبصر والشم والحس والحركة وهي المعنى وإن المنية التي تدخل في الرحم هي أمر الذات والبرية وهي أصل كل شيء.

ويقولون إن المعنى عزّ وجل حالّ في كل شيء من الدواب والكلاب والخنازير وجميع ما دبّ ودرج، قطّع الله أمعاءهم وتركهم في ظلمات لا يُبصرون، وكان أصل ضلالة هؤلاء علي بن قرمط يتيم كشكة. وكانوا يشنّعون على الذين يقولون في

النيّرين ويكفّرونهم، وسبب ذكر هذا المذهب واشتهاره في بلد المناصف أنه كان رجلٌ في قرية قزحل من أعمال حمص اسمه الريس سنان /لع/ وكان صاحب أمتعة وذخائر وأموال غزيرة وكان بيته منزلاً للتجار، وله معهم معاملات، ويقيم عنده تجار بغداد والبصرة وعانة والموصل بضعة أيام يتكلمون في العلوم والمذاهب على هواهم ويفسرون القرآن على آرائهم ويسندون الروايات إلى غير أهلها ويحرّفونها عن مواضعها ، قطع الله خياشيم من هذه أفعالهم، وكانوا هؤلاء التجار كلٌّ منهم يميل إلى الحطام وطلب الآثام وهم الذين قال الله فيهم: أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة. وكلن بينهم رجل اسمه سراج الدين العاني /لع/ وكان ممن يتبع الثامنة ويقول إنها لأمير المؤمنين ، فلعن الله من يقول ذلك، وكان إذا جلس بين أتباعه يقول كل منكم هو الله. كذب قبّحه الله، وكان قد ألّف كتاباً وسمّاه كتاب الهداية وجعله قداديس وسارات واعطاه لسنان وجعله تلميذه في هذا المذهب وكان ق خلّف نسخةً في بلاد عانة من هذا الكتاب فلمّذ سنان تلاميذ في بلاد حمص وفي جبل المناصف، ووقعت النسخة التي خلّفها في عانة بيد رجل من المؤمنين يقال له صفي الدين عبد المؤمن ابن أحمد بن محور

الفــارقي. فســلامٌ مــن المعـنى الأزل علــى هـذا العـالِم الزاهـد الفيلسوف العابد الورع التقي سيد أوانـه وفقيـه عصره وزمانـه، وكان لـه تلميذ اسمه السيد منصور، قال حاتم: وكان لـي معه مؤاخاة قديمة، فأنبأه بخبري وعرّفه أمري وعلم أن محبي سراج الدّين إلـى هذه النواحي لأجل إفساد النـاس وتثبيت ضلالته ، فصنّف رسالة رداً على هذا الكافر وأنفذها إلـيّ مع تلميذه السيد منصـور، وكـذلك العـالِم الفاضـل شـيخ مشـايخ الحقيقـة ومبيـن معـاني الأسـرار الدقيقـة، قبلـة العـارفين أبـو الليـث الحسـن ابـن مكـزون، ألّـف رسـالـة وأنفـذها إلـيّ ودحـض بهـا كـل خـوّان وزاغ عنها كل شيطان، وكذلك السيد منصور ألّف الرسالة المنصورية في معرفـة الصورة المرئيـة وأرسلها إلـي وكل ذلك لما شاع من مذهب هذا الخسيس والرأي الوكيس في هذا الجبل. قال حـاتم ثـم إنـني مع وصول هذه الرسائل حضرت في قريـة قزحل / لا عمّرها القديم الأزل/ فـي بيت الـريّس سنان ، وأحضروا شيئاً من عبد النـور، فلمـا سلّموا الكـاس إلـى سراج الـدين فأخذه بغير دستور وقدّس عليه قداس من الثامنة وكان السيد منصور إلـى جانبي، وهو يقـول: تقدسـت يـا نـور الأنـوار وسـر الأسـرار ومكـوِّر الليـل علـى النهـار... إلـى قولـه فيـه... أنـت الحـسّ فـي الحيوان، أنـت

الروح في الإنسان. ثم قال لي سنان: ما تقول في هذا القداس؟ فقلت له: أعده ثانياً. فعاده إلى قوله... أنت الحس في الحيوان، أنت الروح في الإنسان، فقلت له: يا هذا الرجل أنت تقول لربك / أنت الحس في الحيوان أنت الروح في الإنسان/ فيمكن كلما نعر جملٌ أو نبح كلبٌ أو عج ثورٌ، فيكون هو المعنى فكيف يقول أمير المؤمنين ذاك، قبّحك الله من رجل وخيّب سعيك، فأزبد ورغى وغضب وأقصى ثم ذهب إلى أهله يتمطى وكل منا لزم مكانه وقطعنا المذاكرة لانفكاك نار الشر. وتهتك السر وتولوا عنا مدبرين... ثم في بعض الأيام تذاكرتُ أنا وبعض الإخوان، أيّدهم الله تعالى، وكان سنان حاضرا وهو المقدَّم فيهم فتحادثنا في شيء من كتاب الخصيبي وهو المعروف بكتاب عقد الجلي بوصف مولانا علي، عن المؤمن ومتى يرتقي درجة الصفا فقال لي سنان / لع / لأن هذا السيد الخصيبي قد ضلّ كثير من العالم وما ضلكم هذا الأعور. فقلت له: كيف ذلك؟ فقال: ألا أنتم تريدون تخرجون من هذه القمصان وترتقون إلى السماء؟ قلنا له: نرجو من الله تعالى أن يكون ذلك.

فقال: والله إن المؤمن إذا رضي عليه الله نقله من هذا القميص

الفقر إلى عند من هم أصحاب سعادة وغنى فهو هكذا ما دام في هذه الدار. فقلت له: ويحك يا سنان كذّبت المفضل بن عمر وكذبت الخصيبي الذي هـ سيد هذا العالم، والله إنك لتلغب بدمك، لحَّقك الله بأصحاب الفيل ومن قبلهم النمرود ويذبخت بن شومان وعيون السوء الأرذلون ووقع منا التفل في وجهه المسموم / لع/ .

ثم قال حاتم رحمه الله، بعد كلام طويل، وإن هذا الكافر الجبار يعني سراج الدين لما اشتهر مذهبه وبان قبح فعله وفساد اعتقاده وجرى له ما جرى مع الجماعة المؤمنين الذين كانوا في حلب فإنهم لمّا عرفوا اعتقاده قاطعوه جميعهم ولنوه وتبرأوا منه ثم إنهم ضربوه وتوعدوا له بالقتل، فمشى إلى حماه ولما اجتمع بالجماعة بأن له فساد عقله واعتقاده وكفره فقبضوه وربوه ضرباً وجيعاً وسحبوه من باب العميان إلى ظاهر المدينة ومن جملة الذين ضربوه أولاد عمّه، قم إنهم توعدوه أنه متى وقف عندهم قتلوه، فخرج من هناك ولم يبق له عند أحدٍ من الجماعة وجهٌ، فانحدر إلى عانة فلما اجتمعوا به أهل عانة بأن لهم كفره وفساد عقله فهجروه، فلما عرف أنهم قاطعوه ولعنوه فدخل جماعة إلى هذا البيت على غير الوجه الشرعي ولم يحفظ الحدود التي أمر

الله بها فقاطعوه الجماعة وقاطعوه تلاميذه أيضاً، ثم إنه لم يرض بذلك حتى رفض ما نُقل إليهم من الدستور الذي نُقِل عن المشايخ القدماء ودفع أقوال الموالي وصنّف دستور وسمّاه بالهداية ليعكس الحق على المؤمنين، ووهم لتلاميذه أن جماعة المؤمنين كانوا في علي بن أبي طالب على الضلال وقد جاهد الملعون بهذا وجعل ما ألقاه إلى تلاميذه هو السر العظيم ولقّبوه بالمكشوف فلما تحقق أن أهل عانة المحقين أجهروا لعنته واجمعوا عليه بالرفض فانحدر إلى بغداد واجتمع مع جماعة المؤمنين، وكانت قد وصلت إليهم أخباره فرفضوه وكان ممن يعرفه من الجماعة ممن هو من خاصة المؤمنين موفق الدين الأبنوسي والسيد العلاّمة جمال الدين الدهان قدس الله أرواحهم، فلما تحقق ذلك انحدر إلى بلاد واسط إلى قرية فيها طائفة من الإسحاقية فدخل عليهم وهم لم يعرفوه فلما اجتمعوا به وتحدثوا معه عرفوا كفره فأتوا إلى شيخهم ابن الأحمر / لع /ولعن الله من تبعه، ونهوا إليه حال الرجل وكلامه واعتقاده وكفره وتخبّطه، فأمر بإحضاره وتحدثوا معه فلما سمع كلامه المخبَّط، أمر بضربه حتى كاد أن يموت وعزم على إعدامه فشفع فيه أحد الجماعة وكان قد حصل له منهم شيء من الكسوة والنفقة

فأخذوهم منه وأخرجوه من القرية عريان بلا ثياب ولا زاد، وحال موته أشهر من أن يخفى.

فهذا ما كان من هذا الكافر الملعون في حال حياته ووقت مماته لا رحمه الله، ولا قدسه ولا عفا عنه، فهذا كان سبب رجوعه، وأما تلاميذه في عانة فما زالوا مهجورين لم يجتمع معهم احدٌ من المؤمنين، فقد تبين من هذا القول أن هذا المذهب الذي ابتدعه سراج الدين من كتاب الثامنة، وعرضه على أهل عانة وبغداد والموصل وماردين وحلب وحماه وخلافهم من الإسحاقية في بلاد واسط وغيرها، فما قبله أحدٌ إلا أصحاب العقول الناقصة ولا استقر وتمكن واشتهر هذا المذهب غير في جبل المناصف ونواحي حمص وكان أول من قبل ذلك سنان قزحل / لع / وأتباعه وشاع هذا المذهب في جبل المناصف ، وأما التلاميذ الذين كانوا بعانة من أتباع هذا الرجل المذكور هجروهم المؤمنون كما هجروا الذي أضلّهم ، وقاطعوهم كما قاطعوه، وهذا المتكلم بالزور فقد اتّهم أهل عانة عموماً أنهم ارتدّوا جميعاً إلى رأي سراج الدين وكذلك بلاد المعرة وسرمين والموصل وماردين والعراق نسبهم أنهم لرأي ساداتهم وشيوخهم تاركون وعن طريقهم نافرون، فلقد ذمّ الأبعدين وترك الأقربين كما قيل: إن

الكاذب إذا أراد الكذب أبعد شاهده. ولقد ذكرنا حاتم أن الرسالة التي ألّفها صفي الدين بن المحور الفارقي العاني أنه كتبها في جملة نُسخ وأرسل إلى كل ناحية اتجه إليها سراج الدين نسخة منها خوفاً من نمو كفره في البلدان، ومن جملتها النسخة التي أرسلها لحاتم الطوبان في وقت مجيء سراج الدين إلى عند سنان / لعنهما الله/ فكان كلما حضر سراج الدين في بلدٍ وصلت إليه تلك الرسالة يلعنوه ويشتموه ويطردوه ولا يقبلوا قوله، حتى حلّ في قرية قزحل من أعمال حمص عند الريس سنان فقبل قوله ومذهبه وشاع ذلك في نواحيه وفي الجبل أيضاً.

وقد ذك حاتم في قوله: إني كنت ذات يوم في حمص أنا وسنان وجماعةٌ من الإخوان فتذاكرنا في أمر الذات وظهورها وأين نجدها، فجعل سنان أذنه اليمنى هابيل وأذنه اليسرى شيث، وعينه اليمنى يوسف، وعينه اليسرى يوشع، ومنخريه آصف وشمعون وفمه حيدر، ومنه يكون النطق، فهذا رأي أهل الحلول وهذا ضد التوحيد.

ثم نرجع إلى قول ناصر الخاسر، وهو قوله: / وأما الذين يقولون إن السماء هي المعنى والشمس والقمر كذلك رأي الخاسرين /.

فأقول: إن هذا الرجل مسلوب قناع الحياء الذي هو شعبةٌ من شُعب الإيمان فلذلك لا يستحي من الكذب فهل رأى أو سمع بأن فرقة من الفرق أو طائفةٌ من الطوائف يجعلون السماء والشمس والقمر معنىً واحد حتى يقول: وأما الذين يجعلون السماء هي المعنى والشمس والقمر كذلك يعني هم المعنى، وما أراه يحدث هذا التصوير في قلبه إلا من الوسواس الكامن في نفسه المستحدث من قبل العناصر الفرعونية والظلمة النمرودية المخيمة على قلبه والمخيلة بفكره التي جرت فيه مجرى الدم في الجسم.

ثم قال: فاسمع يا أخي وقرة عيني ونفيس عقدي كلام الله إن كنت تؤمن به وهو قوله في سورة البقرة : إن كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعسن ، خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون.

فأقول: إنه قد زعم في حيرته أن هذه الآية حكمها على الذين يقرون بالمظهر العلوي النوري وإنهم كفروا بإقرارهم هذا وماتوا وهم كفار، وأوقع عليهم اللعنة وما علم ان اللعن والشتم لا يقع إلا بمن لا يعرف له رباً موجوداً، ولا شاهد إلهاً معبوداً فشتان ما بين الأعمى والبصير: أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أمّن

يمشي سوياً على صراطٍ مستقيمٍ. ثم ذهب يتأول كثيراً من آيات القرآن الكريم على حسب تخييله إلى قوله تعالى: وإذ قال الحواريون يا عيسى هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدةً من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين...

فأقول: عجباً مزيداً من استشهاده بهذه الآية الشريفة التي تهدم أركانه وتدكدك بنيانه وأما أنه لو اطلع على سرها لخجل مما لفظ، وعلم أن العذاب لاحقٌ به لكفره بحكمها الأصلي، ونحن بحول من له الحول والقوة نفتح للمريد باباً من أبواب جدرانها ليظفر بالكنز وينجلي له الرمز بعد تمام الآية. وهو قوله تعالى: نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين، قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدةً من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآيةً منك وارزقنا وأنت خير الرازقين، قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين.

وهذا الحائر فقد كفر بها وكفّر من يأكل منها لأن المائدة ههنا ليست طعاماً محسوساً ولا شراباً ممسوساً بل كانت صور سمكاتٍ ثلاثٍ ومثلها أرغفة مستديرة تجمع التجليات الستة للحواريين الذين هم جند المسيح عليه السلام، وأكلهم منها هو الاقتباس

مـن نورهـا وهـو قـولهم نريـد أن نأكـل منهـا وتطمئـن قلوبنـا، والطمأنينـة لا تكـون إلا بالمعرفـة، ونعلـم أن قد صدقتنا، بإنجاز الوعد ورفـع الحجاب، ونكون عليها من الشاهدين، يعمي من الناظرين المكاشفين برؤيـة المائدة الممدودة فـي السماء بدعاء السيد المسيح فكانت عيداً للأولين والآخرين لا تنفّد على مر الأيام والسنين وما لا يعود لا يسمّى عيداً لأن هذا الاسم مأخوذٌ من العود، آيةً يعني ظهوراً نُرزق فيه الهداية والزيادة في المعرفة،وأنت خير الرازقين، وفي قول المسيح اللهم ربنا أنزل علينا مائدةً من السماء، ولم يقل أخرِج لنا من الأرض، دلالةٌ على الوجود النيِّر العلوي المقمر المبدر في الأمر الخفي والخيط الوهمي الذي توهم به الجاهل العمِي فكان جريانه في بحر النور كجري الحوت في بحر الماء. قال الله تعالى: إنـي منزلها عليكم، أي مظهرها لكم لتؤمنوا بها في وجودها، فمن يكفر بعد منكم أي من ينكرها منكم بعد وجودها لكم، فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين... وهذا الرجل فقد غاص في بحر الكفر والإنكار إلى أن بلغ القرار، وأثبت التسخير والتقدير على الملك الجبار، فاستحث العذاب وأظلم عليه الحجاب فبقي سارياً بالليل مستخفياً بالنهار، لم يجد باباً يدخل منه إلى بي الحكمة للتمكن

قي دركات الظلمة ثم برح عِيره في وادي الجحود، وأناخ مطاياه في بقيع الصدود مستشهداً بقول العلي المعبود، ولم يفقه بأن ذلك عليه أكبر شهود، وهو قوله تعالى: وكذلك نُري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين، فلما جنّ عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي فلما أفل لا أحب الآفلين، فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين، فلما رأى الشمس بازغةً قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال ي قوم إني بريء مما تشركون، إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين... وما علم هذا السمج بأن هذه الآية عليه من أكبر الحجج لأن الخليل عليه السلام لا يوصف باختلاف المنظر، ولا يتوهم في رؤية خالقه ومبديه ومخترعه ومنشيه إذ هو اسمه الأعظم وحجابه الأكرم، بل إنما هذا القول واقعٌ في نفس أهل التوهم والظن والتردد، وإنما أظهر الخليل ذلك على سبيل الترتيب التعليمي للسالكين في سيرهم إلى معرفة الحق تعالى في وجوده، وفي قوله للخليل: لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين. دليلٌ واضح على أنه قبل ذلك الحال كان عارفاً بربه ولكنه لما رأى وجوده في عالم الملكوت بتلك الأنوار المختلفة في المنظر

بالكبر والصغر والعظمة بإشراق التجلي بالنور والظلمة، دُهش وتحير، وهذا قول يختص بالعالم الجسماني، وأما العالم النوراني لا يوصفون باختلاف الرؤية فغشيَه نور جلال جمال المتجلي بمثال الكوكب بالصغر والطفولية بحسب الترتيب التعليمي الكائن في الوجود العيني، فبادر إلى الإذعان والإقرار به بالربوبية ، وإنما فعل ذلك تنبيهاً على أن سير السالك في المعرفة لا يمكن إلا بالتدريج من الأضعف إلى القوى ومن الأدنى إلى الأقصى، فلما حقق المعرفة بمثال المتجلي كصفة الكوكب واستقر أنه ربه أمده بالزيادة إلى معرفة المقمر المبدر بالكمال الوجودي فسارع بالإقرار له بالربوبية عند بزوغه ثم باعترافه وإقراره له ثانياً عند نمو النور إلى الكمال في الترتيب النظري بزغت له شمس الحقيقة النورانية كشفاً فقال: هذا ربي هذا أكبر تحقيقاً لمعرفة الثالوث يعني تحقيق المعرفة في وجوده بالرتب الثلاث، فكتبت شهادته تحقيقاً. وأما قوله / لا أحب الآفلين/ يعني لا أحب غيبتك عني ولا أحب أن أكن محجوباً عنك تطلعاً وشوقاً لرؤيته لأن الإشارة في نفس حقيقة الأمر لا يمكن أن تكون إلى الغيب من الموحِّد العارف البالغ... وفي قول الله تعالى: وكذلك نُري إبراهيم ملكوت السموات والأرض ليكون من الموقنين، أعظم

شاهدٍ وأوضح دلالة على اعتصام ابراهيم من التوهم والتردد في معرفة مولاه، ولا اختلاف في رؤيته في المظاهر الثلاثة لمن فهم حقيقة الإشارة، ولقد أفصح عن سر هذه الآية محمد بن مقاتل، قدس الله روحه، في الرسالة المصرية، وهو قوله:

فتبين جُعلت لك الفدا ولا أفتنك الرب في معرفته، ألست تعلم أن صفة الكوكب غير صفة القمر، كذلك صفة القمر غير صفة الشمس وأن أنوارهم تزيد بعضها على بعض وأن ابراهيم هو السيد محمد وهو معلّم العالم ومبديهم وأن هذا الخطاب يقع منه على الرب بالحقيقة وأنه يظهر بالصور المنتقلة والأسماء المتلفة، فكما رأيتني أستدل على الرب وأطلبه فكذا إن كنت عاقلاً فطناً فاطلبه واستدل على معرفته فإنه غير محجوبٍ عن عينيك لأن الله هو الحق المبين، والمبين هو ما تنظر إليه وتعاينه وإنما رؤية الكوكب أولاً دلالةٌ على ابتداء الوجود، وابتداء الوجود بهذه الصفة دلالة على ابتداء السالك من الأدنى، ثم سماه قمراً دلالةٌ على مكان توسط السالك طريق المعرفة بالتوصل من الأدنى إلى الأعلى، ثم سماه شمساً دلالةً على اشتهار تحقيق المعرفة في المكاشفة وزوال التوهم والتردد، فكما أن ليس مع وجود الشمس ظلمةٌ ولا سترٌ ولا خفاءٌ ، فكذلك العارف البالغ في

معرفة ربه لا يرى في معرفته شبهةً ولا ظناً ولا ظلمةً ولا وهماً، ومثله كالراكب طريقاً في ضياء النهار وهو عارفٌ به تحقيقاً فهو مؤمن الضلال تصديقاً، فقال بلفظ المبالغة: إني بريءٌ مما تشركون، تنزيهاً عن أن يُشرِك بربه شيئاً وإن رآه بصورٍ مختلفة، وفي قوله: إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين، دلالةً على موجودٍ مرئي لا لغائبٍ لأن الغيب لا يمكن التوجه إليه لعدم العلم بمكانه، وحاجَّه قومه على إقراره، قال: أتحاجّوني في الله وقد هداني ولا أخاف ما تشركون. ثم قال تعالى: وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجاتٍ من نشاء إن ربك حكيمٌ عليمٌ، ووهبنا إلى اسحاق يعقوب كلا هدينا / يعني لمعرفة الوجود الذي رآه ابراهيم / ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داوود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين، وزكريا ويحي وعيسى والياس كل من الصالحين، واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكل فضلنا على العالمين، ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراطٍ مستقيم، يعني إلى وجود الحق تعالى حسبما رآه ابراهيم، ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ،

يعني لو أشركوا بالموجود المعاين شيئاً وقالوا بإلهٍ غيره عملهم ، ثم استشهد هذا الهائم بآيةٍ أخرى من هذه السورة ولم يتمّها لعدم إقراره بحكمها وهي قوله تعالى: فالقِ الإصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسبناً ذلك تقدير العزيز العليم وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصّلنا الآيات لقومٍ يعلمون... فأقول: أما يعلم هذا الجهول أن الليل الساكن ههنا هو الغيبة وهو دلالة على قدم الكنهور السرمدي اللائح للأبصار كهيئة الماء ، وألإصباح المنفلق منه هو الضياء المعلن المشرق بالزيادة عند الظهور بالفيض العميم، ثم لم يكتف من لفظة / والشمس والقمر حسبناً/ بنظيرها من قوله تعالى: ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيءٍ قدراً. وقوله تعالى: فإن تولوا فقل حسبي الله، وقوله تعالى: الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا إليكم فاخشوهم فزدهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل. وقول السيد الخصيبي:

حسبنا ربنا الذي فتح البصرة بالأمس والحديث يطول

حسبنا ربنا شهيدٌ علينا باسطُ الرزقِ للعباد كفيلُ

حسبنا ربنا واسمٌ وبابٌ حسبنا من عليهم التعويلُ

ثم قال هذا الجاهل: / فإذا قال لنا عابد القاف إن القاف والشين هما المعنى والاسم قلنا له قوله تعالى: فالق الإصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً ذلك تقدير العزيز العليم... افهم يا مَن لا يفهم يا بليد الذهن وبعيد العقل مَن هو الذي جعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً؟ ومن هو المقدِّر لهم/.

فأقول: أما هذا المنبت المشتهر بالمقت لو أنه تسلق على حيث الإشارة لما أثب التقدير والتسخير على الملِك القدير لأن كثيراً من آيات القرآن لو حُملت على اللفظ لبطل بها حكم إثبات الوجود النوري والظلي فمِن ذلك قوله تعالى في حق يوسف الذي هو العين بإجماع كافة الفرقة الموحِّدة : إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين، قال يا بنيّ لا تقصُص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً إنّ الشيطان للإنسان عدوٌّ مبينٌ. وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتمّ نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمّها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق إن ربك عليمٌ حكيم... فقد جعل ليوسف رباً يجتبيه ويعلّمه من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليه في ظاهر اللفظ مع علمنا أنه هو الأحد المجتبي وهو معلم العالَم، والعالَم عبيده وهو المنعم عليهم.

ومثل قوله تعالى: وكذلك مكنّا ليوسف في الأرض ولنعلِّمه من تأويل الأحاديث والله غالبٌ على أمره ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون، ولما بلغ أشدّه أتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين، وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلَّقت الأبواب وقالت هيت لك ، قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يُفلِح الظالمون، ولقد همّت به وهمَّ بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين، واستبقا الباب وقدّت قميصه من دُبُرٍ وألفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذابٌ أليمٌ، قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهدٌ من أهلها إن كان قميصه قُدَّ من قُبُلٍ فصدّقت وهو من الكاذبين، وإن كان قميصه قُدّ من دُبُرٍ فكذبت وهو من الصادقين، فلما رأى قميصه قُدّ من دبرٍ قال إنه من كيدكن إن كيدكنّ عظيمٌ، يوسف أعرِض عن هذا واستغفري لذنبكِ إنك كنتِ من الخاطئين... وقوله تعالى في هذه السورة أيضاً: قال ربّ السجن أحبُّ إليَّ مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهنّ أصبُ إليهنّ وأكنْ من الجاهلين، فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهنّ إنه هو السميع العليم. ومثل قوله تعالى: وكذلك مكنّا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء

نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين... فيا ليت شعري من هو الممكّن ليوسف في الأرض ومعلمه من تأويل الأحاديث! ومن هو الذي أتاه حكماً وعلماً؟ ومن هو الذي قال له اعرِض عن هذا، واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين؟ ومن هو الذي صرف عنه كيدهنّ لئلا يصبو إليهن؟ ونظائر ذلك كثير من آيات القرآن حكمها عند أهل الباطن بخلاف لفظها في الظاهر لأننا لو أثبتنا أن ليوسف رباً لكان للعين ربٌّ، وإذا كان للعي ربٌّ لبطل اعتقاد من يقول بالظهورات السبعة الذاتية. وإذا قال خصمُنا: لا يجوز أن يكون للعين رب، قلنا له نعم وكذلك لا يجوز أن يكون للقاف ربٌّ وهو القاف في النورانية، والعين في البشرية، وهو الذي أوجد الظهورات السبعة التي هي ظهوراته وبها أوجد ذاته/ وفي القميص المقدود أعظم شاهدٍ في الوجود، يراه العارفون ويُنكره الجاهلون المنكرون ، وفي مثل ذلك يقول المولى جعفر منه السلام: ما لله سرٌّ إلا وهو على ألسن هذا العالم، وما له حصنٌ أمنع من جهلهم به، وأمّا نطق القرآن فمحكَم ومتشابه وإنما جعل ذلك تنبيهاً للمحافظة على مكنون السر، وتلبُّس الأمر لئلا يصل إلى أهل الجحود والكفر، كما قال مولانا الصادق منه السلام: ظهور المولى بين عباده سرٌّ،

وعلمه فيهم مستسرٌّ كذلك ما عرّفكم مستسرٌّ عمن ليس منكم، فكونوا على طريق الله ومنهاجه فإنه لو شاء هتك ما ستر ولكن ليبول بعضكم بعضاً، وقال منه السلام: سر الله مثبوتٌ بين خلقه ولكن لا يعرفه أكثرهم ولو أراد عرّفهم فمن أذاع سر الله فقد عاند الله...

وقال منه السلام: جاحد السرّ شاكٌّ وقائله غير أهله كافر، فإن وجدتم أهل السر فأخلصوا لهم مودتكم ولا تكتموهم شيئاً مما تعلمون. وقال السيد المسيح، عليه السلام: لا تمنعوا الحكمة عن اهلها فتظلموهم ولا تُعطوها لغيرهم فتضيعوها...

وقال حسن بن حمزة في كتاب التنبيه: ليس كل سرٍّ يكشف ويغشى ولا كل حقيقة تُعرض وتجلى ولا كل موجوداً فهو نصبٌ لكل أحدٍ ولا كل ما يُرى يعلم يُعلم كنهه ولا كل ما يعلم كنهه يجوز قوله ولا كل ما يجوز قوله يجوز رقمُه لأنه وإن كان القول بالتصريح فالكتابة بالتعريض والتلويح فكيف إذا كان بالإيماء والرمز وألإشارة، وما كان خطاب الأنبياء وأهل الكمال من الأولياء والحكماء مع قومهم إلا مثلاً ورمزاً وإيماء وإشارةً إذ لا سبيل إلى التصريح مع الأكثرين فلهم التعريض في وقتٍ مع قومٍ والتصريح في وقتٍ مع قومٍ آخرين. وقد ورد خبرٌ عن مولانا

الصادق منه السلام أنه قال: من لم يفهم التعريض لم ينتفِع بالتصريح ولولا التعريض ما عُرف التصريح ولا جهل الله أحدٌ، ولولا التصريح ما عُرف التعريض ولا عرف الله أحدٌ.. ثم قال: فإذا عرفتم المعنى فصرّحوا بما شئتم من اللفظ، وبالجملة إنما منعوا إظهار أكثر العلوم وإفشاء أكثر الأسرار لاختلاف الأمزجة والطبائع البشرية وضعف الاستعداد عن قبول العلوم الدينية الوهبية والأسرار الخفية، ولهذا قال السيد الرسول عليه السلام لا تطرحوا الجواهر تحت أرجل الخنازير. وقال بعضهم: ربما أصاب من كتم الحق عن أهله خشيةً من سطوة الغبيّ وجهله، فإبداء الحق في غير أوانه انهتاكٌ لحرمته وتضييع لمصانه وإهانةً لمن صانه. إذ الحق مستودعٌ عند أحرار استيداع الإصانة فابداؤه إلى غيره تفريطٌ وخيانة وإنما يجب على العاقل اللبيب النطق بالحق إذا صادف أهله فلا يتوهم الجاهل لنفسه التارك هذه الأخبار المشروعة والشرائع المتبوعة أنه بتركها أصاب الصواب ودخل بيت المعرفة من الباب، ولا ومن عنده علمٌ من الكتاب بل ما عرفه من الحق حجةٌ عليه لا له، ثم عدل هذا الحيران إلى ظنه بتأويل قول الله تعالى: ولله ما في السموات وما في الأرض كلٌ له قتنتون. وقال: /فإذا كان جميع ما في السموات من شمسها

وقمرها وأفلاكها ونجومها وما في الأرض كلٌّ له قانتون يعني ساجدون وعابدون فكيف تبدِّل كلام الله وتغيّره يا مَن لايعقل وتُغني العاقل البصير كلمة له وهي الهاء واللام وأيضاً كلمة الإخلاص وهي لا إله إلا الله ، إشارةٌ أن جميع ما تراه العيون في الأرض وفي السماء من دونه وهم مخلوقات فلأجل ذلك قال لا إله إلا الله حتى لا ينظر العبد إلى صورة حسنةٍ أو آيةٍ سماوية ويقول هذا ربي فنفى بكلمة لا إله إلا الله جميع الأشياء الموجودات، وأثبت بكلمة لا إله إلا الله يعني العين.../.

فأقول: إنه ليس الإيمان بلقلقة اللسان والزيادة في القرآن كما زعم هذا الولهان فإذا أثبتنا أن جميع من في الأرض عبيدٌ له فالعين كان ظاهراً في الأرض كما أن القاف كان ظاهراً في السماء. فكيف يكون للقاف ربٌّ لا يكون للعين ربٌّ وأي دلالةٍ في هذه الآية على ربوبية العين وعبودية القاف حتى يقول: / فكيف تُغيِّر كلام الله وتبدله يا مَن لا يعقِل/ وأي إشارةٍ للعين دون القاف في كلمة له حتى / فتُغني العاقل البصير كلمة له وهي الهاء واللام وأيضاً كلمة الإخلاص لا إله إلا الله إشارةٌ أن جميع ما تراه العيون في الأرض وفي السماء من دونه وهم مخلوقات/.

ونحن نُجمِع على أن العين كان ظاهراً في الأرض ورأته العيون بصورة الإنسان العاجز، تعالى عن ذلك، وهذا الرجل فقد نفى بكلمة لا إله إلا الله ربوبية القاف وأثبت ربوبية العين، ونحن نرى جنس النور أشرف وأعلى من جنس البشر فكيف يكون النوراني عبداً للبشري؟ وكيف يكون السُّفلي رباً للعلوي كما يزعم أن العين ربٌّ للقاف، وفي حقيقة نفسه يعلم أن وجود القاف في النورانية وجود العين في البشرية وأقدم، فكيف يكون العبد أقدم من المعبود، ويقتضي بمجرد لفظه هذا واعتقاده أنه قبل ظهور العين بالصورة المرئية كجنس البشر ما كان لأهل السماء ربٌّ يعرف ولا لأهل الأرض معبودٌ يوصف، فإذا كان ذلك / والعياذ بالله/ فلمن كانت إشارة أهل السماء بالعبودية قبل نشأة آدم الطيني ووجود الباري لهم كهم نريد بيان ذلك ممن يتقد هذا الاعتقاد، ولا سبيل له إلى ذلك إلا أن يُبِت وجود الباري تعالى مع عالم النور بصورة تضاهي صورهم، هيئةٍ تشاكل هيئاتهم كما اثبت ذلك لعالم البشر، وإذا أقرّ واعترف أنه لا بد من هيئة تضاهي جنس أهل النور فقد تبتت حجتنا الدامغة.. ثم قال هذا المنعدل عن طريق الرشد وهو قوله:

/ فإذا قال لنا بعض المخبّطين: إن القاف هو المعنى، والشين

هو الاسم، نقول له فلأي شيءٍ في القرآن والكتب الأربعة المنزلة في سائر اللغات والنطق قدّم اسم الشمس على القمر، فهل سمعتم أو رويتم عنهم في حديث في كتاب أو في لسان قائلٌ يقدر بقدم القمر على الشمس بل يقول الشمس قبل القمر، فلأي شيءٍ تجعلوه معنىً سابق الشمس وأعلى منها وهي سابقةٌ له وأعلى منه منزلةً وهي خُلقت قبله وأرفع منه منزلةً بإجماع سائر العلماء ظاهراً وباطناً.../. فأقول:

أما هذا الرجل فدق جعل دأبه القياس الذي هو طريق الانعكاس، فمَن أين له أن الشمس خلقت قبل القمر، وهي أرفع منه منزلةً، وأيُّ دليلٍ في ذلك، وما مراده بهذا القول إلا ليثبت أن القمر مخلوقٌ للخالق ومفعول للفاعل، وهذا شيءٌ يبعُد عليه إثباته، وكونه يعتب على من يُقدّم القاف على الشين في باطن الأمر مع تقدم الشين على القاف في ظاهر الأمر، ولم يفكر في تقدم الميم على العين في ظاهر الأمر مع تقدم العين على الميم في باطن الأمر، وبإجماع سائر الفرق الإسلامية أن العين كان مؤتمراً للميم كالوزير للأمير، فكذلك القاف مع الشين بحسب الوزارة والشين في مقام السلطنة لأن ما أظهره في الوجود البشري استدلالٌ على ما أظهره في الوجود النوري وزنا بوزن،

وما أظهر ذلك في البشرية إلا مثالاً لما هو كائنٌ في النورانية من قبل ليستدل المجيب بالمثال القريب كونه علِم ما أظهره في البشرية أقرب إلى أفهام البشر لمقاربة الجنس ممن يشاكله فأوجدنا ذاته بصورة بشرية تقارب صورنا وصفاتنا لنفهم عنه الأمر والنهي وهو يجل ويعظم عن ذلك، كما أوجد ذاته لأهل النور بصورةٍ نورانية تقارب صورهم وصفاتهم ولولا ذلك لحاد الأمر عن حد العدل، وهو تعالى في ظهوره وبطونه واحدٌ لا يتعدد ولا يوصف بالكثرة ولا يدخل في قيد الصورة أصلاً..

ثم قال هذا الأثيم الأفّاك المرتطِم في ورطة الارتباك: / فاسمع يا بنيّ ترتيب السبعة الأفلاك: فأعلاها زُحل وثانيها المشتري وثالثهل المريخ ورابعها الشمس وخمسها الزُّهرة وسادسها عطارد وسابعها القمر، وهو أدنى الأفلاك إلى الأرض فافهم يا بني كلامي وتدبّره وفحِّص عليه، أليس السابق هو الأكبر والأفضل والأعلى، والأشياء كلها مرتبة معلومة مفهومة وما تخفى إلا على الحمار../.

فأقول: إنه قد زعم هذا الحائر في حيرته أن زحل والمشتري والمريخ أعلى من الشمس، والشمس أعلى من لزهرة، والزهرة أعلى من عطارد، وعطارد أعلى من القمر فيكون بين الشمس

والقمر فلك الزُّهرة وفلك عطارد وهما فلكان وقد نقض قوله الأول أن الشمس أعلى من القمر منزلةً وكان يزعم أن علوّ القدر والعظمة من علوّ الأفلاك وجعل الجميع أعلى من القمر، واقوى في الفعل، وأكبر في القدر لقربه من أبصارنا، وهذا ضد اعتقاد أهل التوحيد، وضد رأي المنجِّمين لأن المنجمين يعبّرون أن الشمس سلطان الفلك، والقمر وزيره وعطارد الكاتب والمريخ السيَّاف والمشتري التاجر وزُحل الفلاّح والزهرة للزينة والفرح والابتهاج، فهل يكون الفلاّح أو التاجر أو السيّاف أكبر من السلطان وأعظم من الوزير، وهل يصح ذلك في عقل عاقل؟

وكذلك أرباب الكيمياء المشهورين بعلم جابر يقولون إن الشمس هي الذهب، والقمر هو الفضة، وزحل هو الرصاص، والمشتري هو القصدير، والمريخ هو النحاس وعطارد هو الزئبق، والزهرة هي الحديد، فكما أن الشمس والقمر أعلى الكواكب قدراً وأعظم حكماً فكذلك الذهب والفضة أغلى المعادن ثمناً وأجلّ قدراً، وأما أهل التوحيد المقرين فلهم في ذلك إشارات عميقة وأسرار أنيقة ومع ذلك فإنهم يستدلون على المعاني بالقرين فما كان مقروناً بالحمد حكموا بحمده، وما كان مقروناً بالذم حكموا بذمّه فالقول في بعض آيات القرآن بالتسخير والتقدير والتكوير على الشمس

والقمر والنجوم فموقعه على هذه المعادن المذكورة التي يستعملها الآدميون لمصلحة عمارة هذه الدار، لأن لها أشخاصاً خبيثةً تستحق الذم، وقد قال المولى أنه سيأتي وقتٌ أحدكم بدرهمه أوثق منه بربه، معناه أن يكون بالضد أوثق عزماً واشد إيماناً وأوضح يقيناً أنه ربّه من أن المعنى ربه، ولذلك رسول الله صلى الله لعيه وسلم سمّى الأول والثاني شمس هذه الأمة وقمرها وهما شخصا هذين الحجرين المعلونين المسخّرين في أيدي بني آدم، وهما الذهب والفضة وقد اتخذوهما أرباباً من دون الله، لقول المولى: من أحب شيئاً عبده والمحبّ لله فله يعبد، ولولا خوف الإطالة لأتينا على ذكر أشخاصها المذمومة، وما كان في القرآن من حمدٍ وجلالةٍ وتعظيم في الشمس والقمر والنجوم فهو تنبيهٌ على معرفة الأنوار السماوية والمراكز العلوية. وهذا الحائر يزعم أن علوّ القدر من علوّ المراكز وذلك ليجعل القمر أسقط الكواكب وأقلها قدراً وأضعفها فعلاً، فليس الأمر حيث ذهب به الظن لأن القاف وإن كان أقرب إلى أبصارنا فهو أعلى وأجلّ ممن في السموات والأرض وإذا كان يعتقد هذا الرجل أن الأعلى في السموّ هو الأعلى في القدر والرتبة فلِمَ لا يتقد أن الصورة النورانية أعلى من الصورة البشرية وأجل وأشرف كونها

تلك في السماء وتلك في الأرض، والذي في السماء أعلى وأجلّ ممن في الأرض ولِمَ لا يقول ويُقرّ بشرف كون الأنوار العالية المركوزة في أفق السماء العارية عن كون الفساد والفناء والاضطهاد والعناء، التي يستعلم من أحكامها وتأثيرها كامل ما يحدث في الكائنات على كون الجبلّة البشرية وما أظهر بها من العرض الداخل على بصره والعور الذي في عينيه والعلّة التي في كدره التي أورته باريه بصورة الإنسان المعلول العاجز الفاني الذي لا استقامة له على حالةٍ واحدةٍ ولا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً فإذا تبصّر هذا الجعّار في حقيقة هذا التذكار علِم من هو الحمار ، فهل هو الذي يقرّ بوجود الباري تعالى للأنوار والأبشار وينزّهه عن الإدخال تحت حكم الإحاطة بالأبصار، أم هو الذي يثبت التعظيم والجلالة للأبشار، والتسخير والذم للأنوار. ومما ينوِّر هذا القول ويزيده وضوحاً ما ذكره العالِم الفقيه الشيخ ابراهيم مرهج في رسالته التي سمّاها الشهاب الثاقب على مسترقي السمع من النواصب، وهو قوله قدّس الله روحه: ومما جاء عن الفلاسفة وأهل التراكيب وهو قولهم: لولا الفضة لم يكن الذهب كما أنه لو لم يكن القمر يُقبل على الشمس، ويدبِّر هيئاتها لم تضيء الشمس وأظلم الوجود وخرب الفلك وفسد

العالم... وفي هذا قول الشيخ الخصيب:

ولو مضى ساعةً لساخَت بأهلها الأرضُ في رفاتِ

ولو مضى لم تقم سماءٌ ولا أضاءت بزاهراتِ

فإذا أقبل القمر على الشمس أضاءت الشمس وفرحت به وبإقباله لأنه خادِم إخوته أعني الكواكب كلها الدافع عنها حرارة النيّرين ووهجها واحتراق طبائعها لينة برودته وهو يقهر كل ظلمة ويكشف باعتداله كل داءٍ ولا نعلم نحن معاشر الفلاسفة، في الكواكب أفضل منه لأنه به يكون إحياء الأجساد بالأرواح وتوليد المواليد وتقلّب الليل على النهار. والله تعالى يقول: وهو الذي يكوِّر الليل على النهار ويكوِّر النهار على الليل. وقال تعالى: هو الذي أخرجكم من بطون أمهاتكم... فيا لله ما أعظم هذه الشواهد من فوائد لمن فهم معنى الإشارة وعرف مرموز العبارة. ومما جاء في رواية أهل النقل من علماء الرمل، وهو قولهم: إن الله أوحى إلى إدريس عليه السلام بشكل الطريق لأنه أول أشكال الرمل وأصلها وقد حاز العناصر الأربعة وهذه العناصر الأربعة هي أصل جميع الموجودات من الجماد والحيوان والنبات، وأمر الله لإدريس أن يستخرج من باقي الأشكال الستة عشر، لأنك إذا ضربت عدد نقاطه في الأربعة عناصر يخرج لك

ستة عشر شكلاً وهي الأشكال الرملية وأنه قد وجد وكمل ابن آدم وجميع الأشياء مما سوى في الرطيق ويعلم من ماء الطريق وجود الدول وبقاءها، ويعلم من تراب الطريق عدم الدُّول فناءها، ولو أخذنا في شرح حال الطريق وكيفيته لطال ذلك ولم يسعه جنانٌ ولم يشرحه لسان وقد جعل شكل الطريق للقمر في ليلة تمامه وله من الحروف العين... ومما جاء عن الحكماء أصحاب الأدوية والعقاقير في نقصان الذم وزيادته والبُحران ومعرفته ودور الطبيعة وجولانها في البدن ومعرفة ذلك جميعه من القمر ونقصانه وطلوعه ومسيره... وقولهم إن القمر قوته قوةٌ سارية في رطوبات العالم توجب فيها أصنافاً من التغيير، وتُعين على النضح والهضم أو على الخلاف بحسب استعداد المادة يستدلون في ذلك بحال المد والجزر، وزيادة الأدمغة مع زيادة النور بالقمر، وسرعة نضج الثمرات الشجرية والبقلية مع عدم استبداره، وقد تحقق عندهم عياناً أن كل شيءٍ في الوجود ينمو لنموه وينقص لنقصانه ، وقد شاهدوا ذلك في البحر يصعد لصعوده ويهبط لهبوطه في كل يومٍ مرتين وهذا لا ينكره من اعتبر ذلك. ومما هو مشهورٌ عند الفلكيين والمنجمّين أن جميع ما يحدث في الدنيا من سعودٍ ونحوسٍ وحركاتٍ وسكون وحرٍّ

ومطرٍ ورياحٍ وغيومٍ وشدة ورخاءٍ وخوفٍ وأمنٍ جميعه مرتبط بحركات الأفلاك والنجوم من انصرافها واتصالها ولا يقدرون على ضبط نجمٍ منها إلا بمسير القمر، ومع هذا فإن فضلاء المنجمين قالوا إن كل شيء في الملك يبدو صغيراً ثم يتكامل ثم يتناقص، والقمر كذلك فاتخذوه دليلاً على كل شيء ولا يُستغنى عنه في مسألةٍ واحدةٍ، وهو رب طالع الدنيا، وقالوا أيضاً إن القمر والمنصرف عنه القمر والمتصل به القمر أقوى في جميع الأمور والمسائل فمن يكون هذا كيف يكون أدنى الكواكب قدراً وأقلها فعلاً؟ أم كيف يجوز عليه التسخير؟ قاتل الله العناد وأهله... ثم قال هذا الهجّام:

/فهل خلق الله قبل اسمه محمدٍ شيئاً أو سماءً أو شمساً أو قمراً أو فلكاً أو غير ذلك. فلو كان قبل اسمه شيءٌ لكان اسمه مخلوقاً وكان الذي قبله أعلى منه، لقوله تعالى: ويحذركم الله نفسه، يعني أن تجعلوه مخلوقاً وهو خالق الأشياء جميعها بأمر ربه ولا قبله غير مولاه العين، ومن قال أن قبل محمد كان خلقٌ فقد كفر وفصل بين لمعنى واسمه وليس بينهما فرقٌ ولا فاصلة ولا واسطة، فلأجل ذلك قال: من عبد المعنى والاسم فقد أشرك وعبد إلهين.../.

فأقول وأقرّ وأعتقد أن السيد محمد الذي هو الاسم الأعظم ليس هو بمخلوق ولا يقدمه غير باريه ولكن وجوده في الصورة النورانية سابق وجوده في الصورة الظلية كما أن وجود كولاه العين في الصورة النورانية سابق وجوده في الصورة الظلية وما مراد هذا الرجل بهذا القول إلا ليجعل وجود العين والميم بالصورة البشرية سابق وجود النيّرين لعدم إقراره بهما وليثبت دعواه بذلك، ثم مر يستشهد على ذلك بما اشتبه عليه من آيات القرآن العظيم بزعمه أنها تنوِّر دعواه وتثبت ما ادعاه وقد سبق شرح معنا مجمّلاً وهيهات أن يجد آيةً تحكم بإثبات ما ذهب إليه غير على سبيل الظن والقياس الناشىء عن الوسواس الذي يعتبر كثيراً من الناس، ونسق ذلك إلى قوله تعالى: والسماء ذات الحبُك، فقال إنها ذات النجوم المرتبة فيها كل منهم في مرتبته ومكانه ومنزلته، وذات البروج كذلك، فالبروج ههنا النقباء وهم بروج الشمس والنجباء هم منازل القمر... فأقول إنه قد نطق بالحق وتفوّه بالصدق في حكم هذه الآية ولو اعترف بالعين والميم والسين والأيتام بالنورانية كما اعترف بالنقباء والنجباء وأهل المراتب من سر باطن هذه الآيات لكان موحِّداً عالِماً خبيراً ولكنه لما ذكر أن النقباء والنجباء هم بروج الشمس ومنازل

القمر، اقتصر فقال:

/ والشرح في ذلك يطول/ لعلمه بأن ذلك مما يدكدك جداره ويخسف به وبداره ثم سطّح بقولٍ طائلٍ عن قلبٍ غافلٍ إلى أن قال:

/ فيا ليت شعري ما أعمى قلب من يعبد المخلوقات ويترك الخالق فكما يكون جزاه عند باريه؟ وإلى كم يكون هذا التعامي بعد هذه الآيات المحكمات والشواهد القاطعات/.

فأقول: لا بل ما أعمى قلب من يجعل الخالق مخلوقاً، والرب مربوباً، والصانع مصنوعاً والقادر مقدوراً ومأموراً ومحجوراً عليه ومحتوماً عليه ويدل اسمه وبابه وأيتامه بما يخيل له عقله من تأويل قول الله تعالى: والشمس والقمر والنجوم مسخَّرات بأمره. وقوله تعالى: والشمس والقمر دائبين. ويثبت ذلك على النيّرين وجملة الكواكب والأنوار السماوية ولم يثبته على هذين الحجرين المسخرين في أيدي بني آدم، والذم والتسخير واقع بهما وبشخصيهما الملعونين. والنجوم مسخرات أيضاً هم أشخاص باقي المعادن التي ترسخ بها أرواحهم الخبيثة وهم أهل الكفر، والضلال الذين كانوا في الجحود والإنكار تبعاً لهذين الرجسين اللذين هما الأول والثاني فأسلك الله أرواحهم في هذه المعادن

عقب ما اقتصّ منهم ما استحقوه من التنقل في الخاءات فحينئذٍ يكون مصيرهم إلى ما ذكرنا جزاء عن كفرهم وجحودهم، وهو قوله تعالى: قل كونوا حجارةً أو حديداً أو خلقاً مما يكبر ف صدوركم يريد بذلك الذهب والفضة، فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أو لمرةٍ فسينغضون إليك رؤوسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريباً... ثم ذهب هذا الزاهي بعلمه والمفتخر بفهمه بالقول إلى أن قال:

/ فإذا كان القرآن العظيم نطق جميعه بهذا يعني بذكر النيرين والكواكب السماوية وبسّن أنهم مخلوقات ومفعولاتٌ ومدبّراتٌ ومسخّراتٌ ومأمورات وهم أشرف عباد الله ولكنهم تحت التدبير وتحت الأمر فكيف يصيرون أرباباً من دون الله/.

فأقول: إن هذا المسكين لقد تمكن بالجهل غاية التمكين لكونه يصيب الحق بنطقه ولا يدري أنه الحق، أم أنه يرى الحق وينكره لزيادة المبالغة في الكفر والعناد فكيف يعتقد أنهم أشرف عباد الله، ويطلق عليهم التسخير وقد تقدم قوله: / أليس السابق هو الأكبر والأفضل والأعلى/. فيا ليت شعري أي فضيلةٍ لكن هو مسخَّر طول الأبد لا ينفك ليلاً ونهاراً، وأيُّ علوٍّ أو جلالةٍ وشرف لمن هو كذلك متعوب مكدود مرغمٌ مكرهٌ لا مختاراً؟ فأي جنايةٍ

لهؤلاء الأنوار، وأي خطيئةٍ ارتكبوها فاستحقوا بها التسخير من ابتداء الدهر إلى انقضائه، أم كيف يقول أن بروج الشمس ومنازل القمر هم النقباء والنجباء ويطلق عليهم اسم التسخير وأهل التوحيد بأسرهم يجمعون على أن السيد الميم هو أشرف عباد الله وقد سبق قول هذا الحاشر بذلك عند قوله: / من قال إن الله خلق خلقاً قبل محمد فقد كفر وهو أشرف عباد الله ومن بعده الباب والأيتام وأهل المراتب كل مرتبة تتلو من تقدمها بالشرف وهم هؤلاء الأنوار السماوية وهم عوالم قدس الله الصافية وإذا كان ذلك فلا يجوز في نفس العدالة الصمدية والحكمة الربانية أن يخفي وجوده عنهم ويكلفهم عبادة معدوم ويكلفهم بالإشارة للمظهر الظلي الذي جانس الأبشار بالرؤية والمنظر لا بالحقيقة والجوهر، بل إنما الحقيقة في نفس العدل بإجماع أهل الفضل أنه لا بد من هيئةٍ تضاهي جنس أهل النور. وهيئةٍ تضاهي جنس أهل البشر، ليفهم كل عمّن هو على شاكلته. ولقد عجبت من خطل هذا الرجل وإثباته التسخير على هذه الأنوار بعد إقراره أنهم أشرف خلق الله. فحقاً أقول إنه لو سخّره بعض أصدقائه يوماً واحداً، وكلّفه شيئاً ضد رضاه لمقته وقلاه وغضب عليه وجفاه، فكيف يثبت على باريه واسمه وبابه

وعوالم قدسه الذين هم أشرف العباد ما لا يرضاه لنفسه ولا لأدنى واحدٍ من أتباعه، قصّر الله باعه وضاعف عليه أمراضه وأوجاعه، ثم قال بعد استشهادٍ من آي القرآن الكريم:

/ وإنه لو اعتبر ذلك وانتصف من غلبة هواه لرآه ضداً لما عناه ونقضاً لما يراه تركناه اختصاراً... إلى أن قال: وأما المؤمن العاقل الطاهر الصافي فتكفيه آيةٌ واحدةٌ من كتاب الله وأما الكافر قلبه كالحجر الصمّ لا يلين ولا تؤثر فيه المواعظ كالحجر الأسود لو لبث ألف سنةٍ لا يلين ولا يخشع فلذلك جعل الله العذاب مؤبداً طول الدهر والمؤمن الصالح يخشع ويطيع قلبه ولو عاش ألف سنةٍ فهو مقيمٌ على إيمانه طائع لمولاه ولإخوانه فلذلك جعل الله له النعيم مؤبَّد طول الدهر/.

فأقول: أما هذا الرجل فأراه ينطق بشيء من الهجو والذمّ في غيره، إلا وهو واقعٌ في نفسه ولا يتفوّه بشيءٍ من المدح والتزكية في نفسه إلا وهو راجعٌ إلى غيره ولاحقٌ بسواه وذلك لزيادة العتوّ والقساوة عن الرجوع إلى الحق والميل إلى الصدق وعدم الخشعة في القلب فكما أنه أثبت سرمدية التسخير والتقدير على من أنشأه طفلاً صغيراً، ورباه حتى صار شيخاً كبيراً استرجع منه ما أعطاه وأحلّه محل الحمير بعد أن كان عاقلاً بصير، فهو لا يعلم

ما يحمل ولا يفقه ما ينطق ولا ينفك للعالمين أسير، يستعمل للأسفار والرحى والدواليب التي تستدير... ثم قال قولاً صريحاً ولكنه ما يدري ما وراءه وهو قوله:

/ وكذا نادى رسول الله في يوم غدير خمّ على روس الأشهاد من عاصٍ وطائعٍ جهراً بياناً وتصريحاً واضحاً وأشار إلى مولاه العين لا لغيره وقد دعت إليه سائر الأنبياء والرسل وأولو العزم وهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين كانت إشاراتهم له وسائر صحفهم وولادتهم عليه فهِم من فهِمَ وكذلك نطقت الشمس لما سلّم عليها وقال لها: السلام عليك يا خلق الله الجديدة، فردّت سلامه وقالت له بالعربية: يا أول يا آخر يا باطن يا ظاهر يا من أنت بكل شيءٍ عليمٌ... وكل نطق سماوي وأرضي شهدوا له وأشاروا ليه بالربوبية لا لغيره وكذلك نطق عبد لله بن سبأ وأخوته الأحد عشر وشهدوا له بالوحدانية لقوله تعالى في سورة الجنّ: وإنه لمّا قام عيد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لُبَداً، قل إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحداً... وكذلك قال في سور البروج التي نزلت خاصةً في عبد الله ابن سبأ وأخوته.../. فأقول:

فأما نحن فلا نعتقد أن الموجود في السماء غير الموجود في

الأرض بل إن الإله الموجود في السماء بالصورة النورانية الذي أظهر الطفولية والشبوبية والشيخوخية، هو الإله الذي شوهد في الأرض بالمثل الظلي بصورة أنزع بطين وهو الذي دعت إليه الأنبياء وأولو العزم من الرسل وهو الذي خاطبته الشمس، وأشاروا إليه أهل السموات والأرض وأقروا له بالربوبية، فأهل السموات يرونه ويخاطبهم من الصورة النورانية القديمة الأزلية، وأهل الأرض رأوه وخاطبهم من الصورة التي أوجدها لهم كهم وهو واحدٌ لا يتغير ولا يتعدد ولا يتصور ولا يتحيز ولا يتقدر وليست صورته النورانية غير صورته البشرية ولا البشرية غير النورانية في الحقيقة والجوهر وإن كانت تُرى بخلافها في الجيش والمنظر، وإلى ذلك أشار عبد الله بن سبأ وأخوته الأحد عشر بقوله: قل إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحداً. تنزيهاً له عن الشركاء وإن شوهد بصورٍ متعددةٍ وكذلك قوله تعالى في سورة البروج: وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد، الذي له ملك السموات والأرض والله على كل شيءٍ شهيد... إلى قوله فيها... إن بطش ربك لشديد، إنه هو يبدىء ويعيد، وهو الغفور الودود، ذو العرش المجيد، فعّالٌ لما يريد. وقال تعالى إخباراً عن رسوله/ ولقد رآه بالأفق المبين وما هو على الغيب بضنين،

والمبين هو المشهود المرئي بنظر العين. وقال تعالى: سنُريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكفِ بربك أنه على كل شيءٍ شهيد إلا أنهم في مِرْيَةٍ من لقاء ربهم إلا أنه بكل شيءٍ محيطٌ.. فآياته هي ظهوراته، وقوله / في الآفاق/ يعني في النورانية العالية / وفي أنفسهم / يعني في الظهور للبشر كأنفسهم / حتى يتبين لهم أنه الحق/ معناه ليتحقق في عقولهم أن الذي ظهر بالنور والبشر هو واحد لا ثاني معه ولا شريك له وهو الحق، أو لم يكفِ بربك أنه على كلِ شيءٍ شهيدٌ، ينى مشهودٌ ظاهرٌ عياناً لكل شيء، إلا أنهم في مريةٍ من لقاء ربّهم يعني إنهم في ريبٍ ورياءٍ من الإقرار له في وجوده بالصورتين كما فعل هذا المسكين إلا أنه يعني ربهم، بكل شيءٍ محيط يعني محيط بالمنكِرين الذين هم في مريةٍ من الإقرار بوجوده وظهوره، ومما يؤيد قولنا هذا ما رواه الشيخ الثقة أبو الحسين محمد بن علي الجلي، عليه رضوان الملك العلي، عن شيخه السيد أبي عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي نضّر الله وجهه أنه قد سئل عن القمر ما باله يطلع صغيراً ثم يكبر ثم يصغر؟ فقال: إن ظهور القمر بالصغر في أول طلوعه بمعنى ظهور المعنى في الخلق بصورة الطفل الصغير ثم

في الكبر والكمال والظهور بالشاب والقوة، ثم في النقص والصغر والظهور بالشيخ فظهوره كظهوره وغيبته كغيبته. ومثله قوله أيضاً في إحدى قصائده وهو قوله:

وسادتي السادةَ الذين دُعوا في سورة الكهفِ بالمساكينِ

كواكبٌ سبعةٌ وأربعةٌ لهم هِلالٌ يلوحُ بالصينِ

جنودُه النَّحلُ من يلمَّ بهِ يُتحَفُ بالروحِ والرَّياحينِ

شربتُ ماءَ المعينِ منه فما بخلتُ من بعده بما عُونِ

وهذا من المشهور عند أهل التوحيد أن أمير المؤمنين هو أمير النحل، والنحل هم المؤمنون وهم جنوده وهو أميرهم وأمير من مضى وأمير من بقي وأمير من في الأرض وأمير من في السماء، لا أميراً كان فيها قبله و أميراً فيها بعده. وقوله: كواكبٌ سبعة وأربعةٌ، فالجملة اثنا عشر، وهم حجبه الاثنا عشرية التي قدّر عليها الشهور الاثني عشر ومجمَع هذا ما روي عن المولى الصادق منه الرحمة أنه قال: إن الله ظهر للعالم من حيث هو فرأوه من حيث هم كلٌّ يراه على مقدار وما سبق له من آثاره ونور المعرفة وأصل إلى كلٍّ بقدر رتبته وما منحه الله من معرفته وتفضّل عليه من نور هدايته فبقدر تفاوت

المنازل تتفاوت الرؤية، ثم قال هذا النائم عن الإقرار والمستيقظ للإنكار:

/وكذلك الاثنا عشر إمام صلوات الله عليهم وهم محمد المصطفى والحسن المجتبى والحسين الشهيد بكربلا وابنه زين العابدين ومحمد الباقر وجعفر الصادق في الصادقين الذي أقرّت بصدق كلامه سائر العالم من مؤمنٍ وكافرٍ، وقال الله فيه: وما أرسلنا رسولاً إلا بلسان قومه، وقومه هم الأئمة، وقوله تعالى: وجعلنا لهم لسان صدقٍ عليّاً.../. فأقول:

فأما قوله: وجعفر الصادق في الصدقين الذي أقرّت بصدقه سائر العالم من مؤمنٍ وكافر فهذا قولٌ ينكر عليه لأنه جعل المؤمنين والكافرين مقرين في مقامٍ بصدقه ولو كان ذلك لكان المؤمنون والكافرون في مقامٍ واحدٍ في الإقرار وأسقط التفاضل وبطلت منازل المؤمنين، وأما لو أنه قال أقرت بصدق كلامه المؤمنون وأنكر قوله الكافرين كان صادقاً في قوله، ومع هذا فإني أرى قائل هذا القول غير مصدّقٍ بقول مولانا الصادق لأنه منه السلام لم يثبت التسخير على هؤلاء الأنوار السماوية وأيضاً لقد حصل التنبيه منه في مواضع كثيرة بالدلالة على وجود الباري تعالى مع العوالم العلوية والأنوار المضيئة بالصورة التي تزايا بها

للعالَم النوري وقد تقدم القول على ذلك في هذا الكتاب غنينا عن إعادته، وهذا الرجل منكِر لذلك ومكذّب من يعتقده. وأما قوله في قول الله تعالى: وما أرسلنا رسولاً إلا بلسانِ قومه فزعم أن الرسول ههنا مولانا الصادق منه الرحمة، وقومه هم الأئمة فتارةً يجعله رسولاً وتارة يجعله إمام الأئمة فهذا قولٌ ينقَض عليه من وجهين أحدهما أن هذا الاسم الذي هو إمام الأئمة لا يجوز أن يتسمّى به غير مولانا أمير المؤمنين منه الرحمة لأنهم هم الأئمة وهو إمامهم، وهم الآلهة وهو إلههم وهم الأرباب وهو ربهم ، وهم الغايات وهو غايتهم وهم المعاني وهو معناهم، والشاهد بذلك ما روي عن مولانا الحسن العسكري منه السلام أنه دخل عليه رجل فقال له: يا أمير المؤمنين، فقال له: مَهْ. قال له: يا أمير الكافرين، فقال مولانا : والله لئن كانت الأخرى نقصٌ مني لهي أحبُّ إلي من الأولى وإن ولادتي لأمير المؤمنين لأحبُّ إليّ من نسبي إليه.

الوجه الثاني إن الرسول لا يبعث إلا لهداية قومٍ ضالّين فأيّ شيءٍ أنكروا الأئمة من معرفة الله وطاعته حتى يُرسل إليهم رسولاً، وإذا كانوا هم الرسل وهم الأئمة والمعاني والأرباب والآلهة والغايات لهذا العالم فأيٌّ فائدةٍ في إرسال الرسول إليهم؟

ثم قال: / وعلي الرضا ومحمد الجوّاد وعلي الهادي والحسن العسكري ومحمد الحسن صلوات الله عليهم، وإن جميع كتبهم ورواياتهم وأخبارهم وإشاراتهم تدل على غايتهم ومعناهم العين لا على غيره فقط لأنهم الأئمة وهو إمامهم وهم الأرباب وهو ربّهم إلى آخره، فقد نقض قوله الأول بهذا القول ولكنني أقول أنه ما مراده بهذا القول إلا ليُثبت أن ليس للباري ظهور ولا وجود إلا في البشرية فقط، وذلك شيءٌ لا يتيهأ له إلا بالإنكار والإنكار لا تقوم به حجة، ثم قال:

/وهم معاني وهو معناهم وهو غير محتاج إليهم وهو خالي منهم وهم لا يخلون منه وهو باعثهم في سائر الأكوار والأدوار... ثم مرّ في ذكر الأئمة وظهور المعنى كمثلهم إلى أن قال: وهو لا يمازج أحداً منهم في سائر الدهور ولكن ذلك منّةً وتشريفاً لأسمائه وأنساً ورحمةً ورأفةً بخلقه لينظروه ويشاهدوه عياناً ويسمعوا كلامه ويفهموا قوله ويروه موجوداً حاضراً بينهم فلأجل ذلك قال المولى: من صفة الحكيم لا يعبد إلا موجوداً حاضراً، وقال أيضاً: من زعم أن له إلهاً لا يُعرف فهو من حزب إبليس الأبالسة، وقال أيضاً: من عبد ما لا يُرى فقد حال على عدم، وقال مثل هذا كثيراً في حقيقة الوجود، وكل ذلك في وجود أمير

المؤمنين في صورته الظاهرة المرئية كشفاً التي بدت منها المعاجز له لا لغيره../. فأقول:

ما أحسن هذا القول لو عنى فيه راويه على الوجودين وإثبات الرؤيتين ونزّه الباري عن التصوير والتبديل والتغيير، وأثبته واحداً لا يتعدد ولا يتكثّر بل التعديد والكثرة من قبل قوابل الناظرين إليه لا من قبل المنظور فلعمري لو أنه اعتقد ذلك لكان من الذين وصفهم الله في كتابه ونعتهم في خطابه بقوله: أولئك الذين أنعم الله عليهم فأولئك هم أولو الأباب، ولكنه أقرّ من وجهٍ وأنكر من وجهٍ آخر، بقوله: وكل ذلك في وجود أمير المؤمنين بالصورة المرئية لا كما يظن أهل التيه والعمى أن الوجود الذي يجدونه اليوم هو القاف أو اشلين أو السماء، فسمّى المقرين بالوجود النوري المقمر المبدر أهل التيه والعمى خلافاً لقول الله تعالى: وعلاماتٍ وبالنجم هم يهتدون، وأشركهم مع الذين يقولون بالشمس والسما فلو تبصر في حقيقة العمى لوجد جحود النور هو أكبر عمى، مع أنه بغير وجود النور واتصاله بالعيون لم تنظر العيون شيئاً ولم تشاهد شيئاً من الكون قط، فكيف يمكن جحود النور وبالنور يظهر كل مستور فإذا أشرق النور على العيون بالتجلي المعلوم / لأن القلب هو ملك الجسد والحواس

جميعاً رعيّته فمتى اتصل من الأمور شيئاً بإحدى الحواس فلا بدّ من عرضه على القلب كم أنه لو حدث أمرٌ في مملكة بعض الملوك فلا بدّ من عرضه على الملك فإن كان مما يحدث منه فسادٌ في المملكة عطّله وأبطله، وإن كان مما يحدث منه صلاحاً أبقاه وأمدّه بالزيادة والقوة، وإن ضعف ذلك الملك عن القيام على رعيته وقع الخلل والفساد في ملكه، ومتى كان مقتدراً على رعيته فلا يسهل لأحدٍ إيتاء أمرٍ بدون إرادته وإذا كان ذلك بقي ملكه عارياً من الفساد والخلل، فكذلك قلب العاقل البصير القائم بالعدل على سائر الحواس التي هي رعيته فإنه لا يُطلق حاسةً منها بفعل معصيةٍ ولا بارتكاب خطرٍ ولا خطيئةٍ بل يسوس الحواس كما يسوس الملك العادل رعيته ومع ذلك فإن العيون لا ترى شيئاً وتحققه بغير امتدادٍ من القلق ولكنها آلةٌ له للنظر فإذا اتصل بها النور أمدّها القلب بجوهر الاستعداد لقبول الإشراق فتشاهد كل ما أراده القلب، وكذلك القول في سائر الحواس، وإن ضعف القلب عن القيام على اعتدال سياستها وصل الخلل إليها، وهذا الرجل لو كان في قلبه من جوهر الفكر والتصديق والعدل شاهدٌ لما أمكنه جحود النور المنير وأثبت عليه التسخير والتقدير وإنه وإن نسب ذوي الأبصار للعمى فلا

يمكن أن أسميه أعمى خوفاً من أن يجري الكذب على لساني ولكني أقول أعور لأن الأعمى هو من جحد الوجودين وأنكر الرؤيتين فسلب ضياء العينين أعني عينين القلب، والأعور هو من أقرّ بوجود وأنكر وجود، فلإنكاره أحد الوجودين سُلِب إحدى العينين فمن جحد الوجود النوري كان أعور اليمين ومن جحد الوجود الظلي كان أعور الشمال، وأما أعور الشمال فهو مجبور على اليمين وعِوَر اليمين مجبورٌ على العمى الكلي. وهذا الرجل فهو أعور اليمين بإنكاره النور المستبين الذي هو ذات اليمين المشرق في الوادي الأيمن في البقعة المباركة من جانب الطور كصفة النار، بدليل قوله تعالى: فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور ناراً فقال لأهله امكثوا إني آنست ناراً لعليّ آتيكم منها بخبرٍ أو جذوةٍ من النار لعلكم تصطلون، فلما أتاها نودي من شاطىء الوادي الأيمن في البقعة لمباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين... فهذا من أصدق دليل وأدل برهان لأهل الهداية والإيمان ينطق ببزوغ النور والثاني تقيةٌ على السرّ وصوناً للأمر عن أهل العناد والكفر، فمثل النور بالنار ليلاً ينقض الجدار فتظهر كنوز الأسرار... إلى قوله: فلما أتاها نودي من شاطىء الوادي الأيمن في البقعة

المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين فلقد عجبت ممن يستجيز التجلي كصفة النار والشجر والبشر، ويمنع النور، إذ النور أشرف وأجلّ وأظم وأعلى فلقد حُجب بالجدار والجبل عن وجود القديم الأزل ومشاهدة علّة العلل لأن جميع أهل التوحيد البالغين يجمعون على أن البقعة المباركة هي السين وهو الوادي الأيمن أيضاً وهو الطور، والشجرة هذ الذات النورية المقدسة السنيّة، وشاطىء الوادي الأيمن هو جانب الطور وفيه كان النداء عند التجلي بالطفولية من الشجرة الذاتية...

ثم مرّ هذا الجهول يتطاول بمراجعة القول تركنا ذلك اختصاراً... إلى أن تبتَّل بشاهدٍ من كتاب الأكوار النورانية وحرّفه على مراده ليثبّت دعواه واعتقاده وهو قوله: / وأظهر الأزل ذات إرادته من القدرة التي أبداها اسمه وأمدّها بإرادته وظهر المعنى الأزل الذي أهلّه وأبدره وأقمره يعني الاسم الإشارة في الذي أهلّه وأبدره وأقمره بالمعنى في هذا الموضع الاسم والذي أهلّه وأبدره وأقمره يعني الباب ولما ظهر الاسم به سمّاه باريه معنى وليس هو معنى المعاني وأظهر الأزل إرادته من القدرة التي أبداها اسمه وأمدها بإرادته وهي بابه لأن الاسم أبداه وكوّنه من نور نوره

وهو أول الأكوان، وأما قوله في الذي أهله وأبدره وأقمره ما هو عن القمر، فهذا القول عن الباب الذي أبداه الاسم، وقوله: وظهر الأزل المعنى بالذي أهله وأبدره وأقمره، الإشارة في ذلك أن الاسم ظهر في هذه القبة العربية بالباب ومازجه بالمطالع الأحد عشر، وهذا ظهور المزاج وهو موجودٌ صحيح في كتب أهل التوحيد لا كما يزعم الرأي والعقل أن الباري يحل في الأكوان ويمازجهم وهي من خلق اسمه، والباري منزّه بذاته لا يظهر باسم ولا باب ولا يظهر إلا بذاته الأنزعية وهو منزّه عن الأسماء والصفات... فيا ليت شعري فالذين يحتجون بكتاب الأكوار النورانية ويزعمون أن الباري تعالى سماءٌ أو شمسٌ أو قمرٌ أو شيءٌ من الأفلاك والأنوار والآيات ويقولون نحن نشاهد مولانا بالصورة النورانية الأزلية الوحدانية ونعرفه بالصورة البشرية الآدمية بعلي بن أبي طالب وهو الظهور البشري ويجعلوا لهم آلهةً غير علي الظاهر بالصورة الأنزعية التي يعجز عن إدراكها سائر البريّة وهذا شيءٌ بعيدٌ عن قياسهم وإفكهم.../. فأقول وأسأل الله العصمة من الاكتراث إلى اللحن في القول: أما هذا الرجل فقد جعل دأبه التحيل على نُصرة مذهبه بالكذب والمحال على الحق، وأية فائدة في نصرة الدين بالحنث واتخاذ المعاني

بالعنث فالعجب كل العجب من هذه الجسارة بالكذب على الله تعالى وعلى رسله وأوليائه، أما قرأ قوله تعالى: قتل الخرّاصون الذين هم في غمرةٍ ساهون... أفتراه يظن أن الكذب في الدين وإن خفي على الجاهلين يخفى على العارفين أم يخفى على رب العالمين، أما يخشى على نفسه من تعجيل النقم، أما يخاف حلول دركات جهنم كأنه لا يبالي بواردات عذاب الله ولا يخاف حلول بلواه أم كيف تسوّل له نفسه بتغيير الأسرار عن مواضعها وإزالة المعاني عن مواقعها لتهم الراشدين بالشط عن القوانين وذلك شيءٌ لا يتم عند العارفين بل عند الجاهلين، فأعوذ بعصمة مولاي ممن هذه صفاته ولا بد من بيان خطله وكذبه وهو مما أضافه إلى ما استشهد به من كتاب الأكوار النورانية وهو قوله:

/ وأظهر الأزل ذات إرادته من القدرة التي أبدى بها اسمه وأمده بإرادته وظهر الأزل المعنى بالذي أهلَّه وأبدره وأقمره، فزعم هذا الحائر أن ظهوره ههنا بالذي أهله وأبدره وأقمره هو ظهور الاسم بالباب وتشريفه له ولما ظهر به سمّاه باريه معنى وهذا شيءٌ ما جرى قط في كتب أهل التوحيد أن الاسم يسمى معنى وما ذلك إلا من قياس عقله، ثم قال: وأظهر الأزل إرادته من القدرة التي

أبداها اسمه ومدّها بإرادته وهي بابه، ثم قال هذا الحائر: لأن الاسم أبداه وكوّنه من نور نوره وهو أول الأكوان، وأما قوله: بالذي أهلّه وأبدره وأقمره، ما هو عن القمر بل هذا القول عن الباب الذي أبداه الاسم ، ثم قال هذا الحائر: وظهر المعنى الأزل بالذي أهله وأبدره وأتقمره الإشارة بذلك إلى الاسم وأنه ظهر في هذه القبة العربية بالباب ومازجه بالمطالع الأحد عشر، فهذا القول ينعكس عليه من كل الوجوه فإذا كان السيد أبو شعيب ألّفه وسمّاه كتاب الأكوار النورانية ونطقه مفصحاً على أصل نشأة الأكوان في الأكوار النورانية قبل نشأة العوالم أو قبل نشأة البشر فكيف يسوّغ لهذا الرجل أن يجعل ذلك ظهور الاسم بالباب في المطالع الأحد عشر التي أظهرها في البشرية دون النورانية، ويقول: الإشارة في الأزل المعنى يعني الاسم وظهوره بالذي أهلّه وأبدره وأقمره هو ظهوره بالباب في المطالع الأحد عشر، قبّح الله من كذّب على الله فإذا كان المعنى في هذا القول على ظهور الاسم بالباب في المطالع في الظهور البشري فأي فائدة في تسميته كتاب الأكوار والأدوار النورانية.

ونحن بحوله تعالى نشرح هذا القول كما ارتسم في كتاب الأكوار، ونستعيذ بالله من الزيادة النقصان، وهو قوله: إن

المعنى في القدم كان يدعى أزل، والاسم يدعى المهِلّ المبدر المقمر، والباب كان يدعى شمس، والحيث هو الفلك، وهم سائرون فيه، والدليل على ذلك من هذا الكتاب قوله: ثم بدت مادة الإرادة من الأزل بإيجاد الاسم فأظهره وأمده بإيجاد ما أوجده أن يوجد كونه شمس بالتسمية فأظهر الأزل ذات إرادته من القدرة التي أبدى بها اسمه وأمده بإرادته وظهر الأزل المعنى بالذي أهلّه وأبدره وأقمره فكان ذلك بدو إيجاد ذاته لاسمه وظهوره له وإبدائه لاسمه أن يظهر بالشمس التي كان نحلها الاسم لبابه فظهر وأوجد في الحيث يعني الموضع، جميع الأكوان المكونة من ذات القدرة فكان ما بين الأزل والاسم مدى مئة كورٍ وكان الأزل يبدي بظهوره للأكوان بحيثها وهو في أزله لا حائل ولا زائل في ما أبدى من ظهوره بل كان يوجد من كون المبدر ما يدل تلك الأكوان على أزله وغايته وكان الاسم يوجد في سيره بترتيب ما كوّن به الشمس لا يفتر يريد بذلك إدراك الكون الذي أزّله مبديه في الظهور فلا يدركه ولا يدانيه في تماثله وهي دون الدرّة فأبان ذلك في الظهور بقوله تعالى: لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكلٌّ في فلكٍ يسبحونه، والفلك هو الحيث الذي حدّهما للوجود وهما

سائران فيه فأوجد بهذا القول أن الشمس ليست بمساوية للقمر ولا كونها ككونه وقد أوضح ذلك محمد بن مقاتل القطيعي في الرسالة المصرية في الباب السادس بروايته عن الشيخ أبي عبد الله الخصيبي في كتاب الفرق ما بين الرسول والمرسِل بروايته عن جابر بن عبد الله الأنصاري عن باقر العلم منه الرحمة في تفسير قوله تعالى: لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر، فقال الباقر لا ينبغي للرسول أن يُدرك المرسل... ثم نرجع إلى ما كنا به من كتاب الأكوار النورانية وهو قوله: ليست الشمس بمساوية للقمر ولا كونها ككونه وذلك في الشرح ليس الباب مدرك الاسم إذا كان الاسم بظهور المُهِل المبدِر المقمِر، وكذلك الاسم ليس بمساوي للأزل عندما أبدى وجوده وظهوره به فأبدى المعنى ذات ظهوره ببابه في الحالين المكوّنين في الحيث النوراني والكوان النورانية وذلك ما بيّنه من هذا الكتاب على هذا السياق ثم تمّ مراد الأزل المعنى والاسم والباب إلى أن بدت نشأة الأكوان النورانية العالم العلوي مرتبة بعد مرتبة ودرجة بعد درجة ومنزلة بع منزلة وصف بعد صف وألف بعد ألف حتى تم مراد الأزل في ما أراده، وكوّنه من عدة عوالِم الصفا ومنازلهم وهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألف علينا من ذكرهم السلام، فثبت بهذا التقرير

أن المعنى الأزل يوجد في النورانية بكون المهلّ المبدِر المقمِر، والاسم يوجد بكون الشمس، والباب هو الحيث يعني الموضِع الذي هو السماء وهما سائران فيه سرمداً، وأظهرت العوالِم العلوية بظهورهم وأغربت بستورهم وإذا ظهروا في البشرية كذلك يُظهِروا معهم من اختاروه من العوالِم هذا ما اتفقت عليه هذه الفرقة الناجية، وهو سر دينهم ومحض اعتقادهم وعليه أسسوا بنيان قواعد طريقتهم وعوَّلوا في سرائر ضمائرهم ولوحوا به لأهل التلويح وصرحوا به لأهل التصريح فالعاقل يغنيه التلويح والجاهل لا ينتفع بالتصريح : جعلنا الله لهم من التابعين ولإشاراتهم من العارفين وبعُرا عقائدهم من المستمسكين ثم سار هذا الرجل الغافل زاهياً بقول طائل أعاده في كتابه مراراً، تركناه اختصاراً ولئلا يكون له في كتابنا هذا عدة شروحات، فرأينا شرحاً واحداً أشفى وأكفى وأسها وأليق وأجمل لأن مراجعة الكلام وتكراره نقصٌ في التأليف ونقضٌ في التصنيف، والله أعلم... ثم تبسّط هذا الحائر المتخبِّط بأبيات من الشعر، وهي من قطعات مختلفة وانحلها للشاب الثقة أبو سعيد ميمون قدس الله سره المكنون وهي غير موافقة لقوله ولا لقول أحدٍ من علماء هذه الفرقة بل إنما هي تسطير أياديه، ونطق لسانه عن تصوير جنانه، ونسبها

للشاب الثقة ليثبّت بها ما استند إليه، ويمكّن ما اعتمد عليه، أولها هذه القطعة وهي هذه:

أشهد بأنّ الله حقاً بيّنِ　　　من قبل أرضٍ وسمءٍ تنبني

خلق الحجاب محمداً من ذاتِه　　　وبدؤهُ من نور عينِ الأعينِ

ورشيد سيّره ببحر علومِه　　　حاز العلومَ واستقى من معدنِ

من خمسةٍ سجدوا لديه سرعةً　　　أوّلهم ضوء الصبح البيّنِ

رفع السماء بأمره فيما يشا　　　والأرض أمرَها بأمرِ تنبني

لمّا بناها في بدء مشيَّةٍ　　　وشاء وأنطق في ظهور الأعينِ

وجعل بها ماءً ولبناً طيباً　　　من سلسبيلٍ صافي من معدنِ

والمؤمنين بتسجُّدٍ وتهجُّدٍ　　　والبانيين بنايةً لا تنفني

وجعل بها من فرعِ آدم أمةً　　　أولاد حوّا أبو سعيد المؤمنِ

الصائمين الساجدين لربّهم　　　العارفين الخيّرين الدُّيَّن

أنهارهم من سلسبيلٍ طيّبٍ　　　من بو شعيب الصادق المتديِّنِ

ثم قال: / وله أيضاً/ يعني لأبو سعيد:

اشـهد بـأن الله علـيٌّ قـادرِ حـقٌ ونـوره فـي البريـة ظاهرِ

فردٌ قديمٌ من قبل الورى مـن قبـل شمسٍ مـع هلالٍ زاهرِ

والعين هو معنى الحاب محمّدٍ نـور الهدى من ذاتِ نـورٍ باهر

قد خصَّهم برحمةٍ عينيةٍ ولخلق سينٍ خصَّه بجواهر

في خمسةٍ سجدوا لديه سرعةً أوّلهم ضوٌّ الصباح الباهرِ

ظهر لهم في صورةٍ مرئيةٍ هي صورةٌ ما لاتُحدُّ لناظر

في سبعةٍ أحديةٍ ذاتيةٍ أولاد آدم والإمام الطاهرِ

هذا الصراط المستقيم على الورى نـورٌ بدا فـي جنـح ليـلٍ ساترِ

والنطق هو موسى الكليم لربه قد كلم الرب العليّ القادر

ولسمع اسماعيل لما حقّ في قـول الإلـه فداه كبشاً حاضر

وأشهد بأن لا إلـه إلا سهفٌ هو عالِمٌ يغيبها والحاضر

ثم قال: فإذا كان هذا قول أبو سعيد ميمون بن القاسم الطبراني الذي سماعه من أبي الحسين محمد بن علي الجلي قدس الله

روحيهما ، فشهدا بأنهم مخلوقات، أما يستحي المخالف كيف يخالف ويجعلهما أرباباً من دون الله تعالى وهم من بعض خلقه وهو خالقهم وخالق كل شيءٍ من الأشياء... فأقول:
هل يجوز لعاقلٍ أن برتب أشعاراً على مراده ويلفق رواياتٍ حسب اعتقاده بالكذب والبهتان وينسبها إلى من اشتهر صدقهم وثبت حقهم وأية فائدة في الروايات الكاذبة والأقاويل الحائدة في أمر الاعتقادات والديانة وما ذلك إلا من اختلال العقل وانتقاض الفضل لأن العاقل هو الذي يضع الأشياء بمواضعها والكذب في هذا الموضع يؤول إلى خطلٍ عظيمٍ وفيه خيانة المولى الكريم لأن العالم هو الدليل إلى طريق المعرفة بالله، الهادي إليه، فإذا أرشد المريد إلى غير معرفة الحق فقد خان المريد والمراد، وبدّل الرشاد بالفساد. وقد قيل إن الكذب لا يجوز إلا في ثلاثة مواطن فقط، لرجلٍ يريد به تقيةً عن دينه أو عن نفسه، ورجلٍ يصلح بين اثنين، للحديث عن النبي عليه السلام أنه قال: كذبٌ يُعقب الصلاح خيرٌ من صدقٍ يُعقب الفساد، ورجلٍ كذب في الرحب، للحديث عن النبي عليه السلام أنه قال: الحرب خدعةٌ. وفي غير هذه الماطن الثلاثة لا يجوز لمؤمنٍ أن يجريه على لسانه ولا يسمعه بأذنه لأنه هو الحيض النجس فمن تقمص به فليبعد

تلك المدة حتى يطهَّر من الحيض، لقوله تعالى: فاعتزلوا النساء في المحيض. وهذا الرجل لم يزل حائضاً من فيه. فلذلك أنكحه لسان الشيطان في فيه، فاستوزلده هذه الأكاذيب التي أعقبها جنانه وججرى بها لسانه. ثم قال صاحب الحديث هذا الشعر:

فردٌ تعالى بلا حدٍّ ولا أمداً ولا على شيء ولا في شيء قد حصل

قديم في القدم قبل الكائنات ولا مكان كان له بل علةُ العلل

ولا سماءٌ ولا شمسٌ ولا قمرٌ ولا نجومٌ ولا فلكٌ ولا مِلَلِ

فأقول: فأما هذه القطعة فهي مطابقة للأصول التي ذكرها السيد أبو شعيب في كتاب الأكوار النورانية وهو كان المعنى يدعى أزل وذلك قبل تكوين السموات والأرض كوّن السموات والكوان النورانية اظهر لهم اسمه الذي اخترعه من نور ذاته كهيئة المهل المقمر المبدِر، والباب يدعى شمس في تلك المدة فلما تمّ مراد الأزل من إظهار التكوين اقتضى في حكمته التجلي للأكوان ليعاينوه ويعرفوه ولئلا يكون أمرهم عليهم غمةً، فأجرى المماثلة كما جرى في الظهور البشري فظهر كصفة المهِلّ وظهر الاسم شمساً والباب سماءً وجرى التجلي على هذا الترتيب، وهذا حُكْم هذه القطعة. ولكن الجاهل نسبها لصاحب الحديث، والحديث لا

يكون نظماً بل نثراً وذلك لئلا يُخلي قوله من الأكاذيب، وهذه القطعة الآتية فهي أيضاً من جملة الأكاذيب التي خيَّلتها نفسه ونطق بها لسانه وأنحلها لغيره ليرجّح بها مذهبه، وهي هذه:

وهل شارَ الرسولُ بيومٍ خمٍّ لبدرٍ أو سماءٍ يا ظليلا

لشمسٍ أو لفلكٍ أو لبرقٍ ورعدٍ أو لنجمٍ يا عويلا

ومَن جعل النبي يمناه بيمنى سوى حيدر تعالى ذو الجليلا

وما صرّح رسول الله جهراً علياً ربّكم ما له مثيلا

وقامه للورى علماً بياناً على الأشهاد جيلاً بعد جيلا

فهذا صحّ في قولٍ صحيحٍ بإسنادٍ صحيحاً لا يميلا

كذا والشمس كلّمته جهاراً وفي رداتها شرحاً طويلا

وبدر التمّ قد شقّه عياناً نزول النجم يا لك من دليلا

وله أيضاً من المنحول لغيره:

ويوم غديرٍ صرّح الاسم معلنا وقال: عليٌّ ربّكم ما سمِعتما

وهو رابع البيعات والكشف والنِّدا فما بعده إلا رجعةً قد وُعدِتُما

وكم جاء في القرآن آياتُ محكمٍ وآيات فيه متشابهات التفهُّما

فأهل الهدى مالوا إلى كلّ محكمٍ وأهل الشقا مالوا إلى الشبه والعمى

فمشهور فيه أنه خالق السما وبدر الدجى والشمس والفلك معهما

كذا جاء في التوراة والصحف أولاً وانجيل عيسى والزبور المعظّما

وجملة هذه الأبيات من قيله وكلنه أنحلها لمن ثبت صدقه ليثبّت بذلك إقكه ثم أتى بالخبر المروي عن محمد بن سنان في كتاب التوحيد، وخبرٍ آخر من رسالة التوحيد التي هلي لعلي بن عيسى الجسري ولد الشيخ الخصيبي، وهذان الخبران هما على القانون الأصلي تركناهما اختصاراً لاشتهارهما في كتب أهل التوحيد.

ثم أضاف إلى هذين الخبرين جملة شواهد من رسالة السيد أبي عبد الله المعروفة بالرستباشية وهو مما يعكس عليه اعتقاده وقد تقدم شرح ذلك في هذا الكتاب فلا حاجة في إيراده ثانياً... ثم أتى بخبرٍ آخر من كتاب الحجب والأنوار وهو مما يحل ما أبرم لو نصف روحه بالحق وهو قوله:

/ ومما رويناه عن إخواننا الثقات أن مثل القرص كذاته، ومثل الشعاه كحجبه، وفي وجهٍ آر، إن مثل الهلال في الزيادة

والنقصان الذي فيه كمثل أمير المؤمنين/.

فأقول: أما في هذا القول البهيّ والشرح السَّنّي مقنعٌ لمن اهتى وجلاءٌ للعمى وتبصرة وغنى، ولكنه تأوَّله على هواه وأزاله عن معناه، وردفه بخبرٍ آخر من هذا الكتاب، وحرّفه عما ألّفه مصنّفه رداً على الخبر الأول فقال:

/ وقد رأيناه بالعلة يعني الصورة البشرية وظهوره بالحبل والولادة والتربية والكبر والصغر والعلل والاستقام والغنى والفقر والعجز والنصر، وكل ذلك قدرةٌ قلت: فما الدليل على ذلك؟ قال: العجز من القادر قدرة، ثم قال عن هذا الخبر: فهذا يدل على ظهور الباري بالصورة البشرية ما هو عن القمر ولا هو عن الشمس كما يظن الجاهل.../. فأقول:

سبحان من يستدرج بالإمهال من هو على طريق الغيّ والضلال ممن يُحرّفون الحق عن مواضعه ويزيلونه عن مواقعه، وهذا الرجل فقد غيّر هذا الخبر وحرّفه وإلى مراده صرفه وهو خبرٌ جليّ من كتاب الحجب والنوار في الجزء الثاني منه وهو يفصح عن حقيقة سر الوجود في النور والبشر، وهو عن محمد بن سنان وهذا لفظه إنما نعتنا الحبّل والولادة ولم يكن المعنى في الحقيقة كما وصفن ولكن إرادة وتفهيم أراد الله أن يفهّمهم للخلق

وأما الهلال فلا يزيد لا ينقص وإنما تراء على مقدارك والشك فيك لا فيه، فكيف يسوغ لهذا الرجل بعد اشتهار هذا الخبر أن يحوِّله إلى غير معناه، ما يخشى انتقاض ما تكلف به من التأليف وبطلان ما اعتنى به من التكليف عند كشف دوره بالتصنيف ثم لم يرضَ لما نمَّق وسطَّر من القول والخطاب حتى أتى على ذكر حرفين أبو الخطاب وما علم أنّ في ذلك سراَ لا ينكشف إلا لأولي الألباب، لا كما زعم المدَّعي الكذاب الذي أتى البيت من غير الباب فظلّ من خلف الجدار هائماً وعن معرفة أسرار الكنز نائماً وفي أبحر الغفلة والحيرة عائماً ونحن بحوله تعالى نأتي بهذا الخبر من فقه الرسالة حسبما شرحه شيخ المقالة لا كما تأول هذا النابغ الملتجي إلى ظنّه وتسويل نفسه وهو خبر عن محمد بن سنان عن المفضل بن عمر بن يونس بن ظبيان قال: سمعت مولاي جعفر منه السلام يقول لأبي الخطاب: يا محمد ابن ابي زينب، آمِن بما نعبِّره لك من القول يجزوك هذا الخفيف الحمالة التكليف بالبصيرة والدراية بالمعرفة ومعرفة المعرفة ومعرفة عرفان المعرفة، قال يونس بن ظبيان: فعهل فوق هذا شيء يا يشدي؟ قال: يا يونس هايُ. هايُ. فزعم هذا الحائر بقوله: هاي هاي يعني الصورة المرئية التي هي العين وقول

يونس / هل فوق هذا شيء/ يعني هل فوق صورة العين شيء، قال: لا يا يونس وما علم بأن معنى قوله هاي هاي يعني نعم نعم إنما خرج لكم أبو الخطاب بحرفين حرف معوَج وحرف مستقيم فأضاء له الحرف المعوَج فامتحنه فأظلم عليه المستقيم فكوّن لذلك الحرف المعوج مائة ألف نبي وأقام له سبعين ألف حجاب ليكون منها ومن الأنبياء الوصول إلى معرفته ولن يُدرك بهذا حتى يكون معها الإرادة والقبول والتوفيق فإذا كوّن لها ذلك كان الوصول إلى معرفة المعنى ما بين ألوف من المعاني الحقيقية ولذلك دليل وإشارة توجد أهل البصائر حقيقة شرح ما نحن واصفوه من الغاية التي هي الحقيقة بأنها بلا حدٍّ ولا نهاية في التحصيل ولا وهم ولا فكر، ففي قوله: فلذلك دليل وإشارة توجد أهل البصائر حقيقة شرح ما نحن واصفوه من الغاية مقنعاً لمن فتح الله قفل قلبه إلى معرفة الحرفين الذين أخرجهما أبو الخطاب الذي هو الباب وهو مركز الوجود والبحر المغمود وفي رحبه يتحقق العاقل البصير وجود الحرفين ما بين ألوف معاني الحقيقة ولذلك أشار الشيخ علي بن منصور في إحدى قصائده بقوله:

ضَبيٌ بدا شرقاً ومغربينِ في مستقيمٍ ثم معوجّينِ

مُضــي ومظلــم فــي الوجــود معاينــاً وغنجــه مــع عقــرب الصدغينِ

إلى آخره... وقوله أيضاً في قصيدةٍ أخرى مصمَّت:

ألـف أتانـا لسـبق الكـونِ مؤتلِـفُ مـن نقطـةٍ مـا لهـا بيـن الورى طرفُ

وعند إشراقهِ باللامِ التففُ حاروا الورى في وجود اللام والألفِ

إلى آخره... وقول الجزري أمام الحلبيين:

ضياءٌ لاحَ من ظلٍ ونارا لجمع لخلق بالأكوانِ سارا

بمعوجٍّ وممتدٍّ مقيمٍ مضيئاً ثم مظلمها أنارَا

إذا ما أحد الحرفين آضنى فأظلم صاحبه ودجَا وغارا

وهذا الرجل يزعم بأن الحرفين المعوج والمستقيم هما المقداد وأبو ذر، فالمستقيم عنده هو المقداد، والمعوج هو أبو ذرّ، وإنما سمّي المقداد مستقيم لاستقامته على المعرفة ولم يفكّر في تقدم المعوج على المستقيم وامتحانه له فأظلم المستقيم، فإذا كان المستقيم المقداد، والمعوج أبو ذر فكيف يجوز تقديم أبو ذر على المقداد أم كيف امتحانه له حتى أظلم المستقيم فهذا ضد الترتيب...

ثم قال هذا التقوّل المحال: ولما أمر الباري للحروف بالسجود فسجدوا إلا الألِف ما سجد، وهو اليتيم الأكبر فقال له مولانا: لِمَ لم تسجد كما سجدت سائر الحروف فقال يا مولاي انتظرت أمرك لأنك أنت الآمر وأنا المأمور...

وأضاف ههنا حشواً تركناه للاختصار، فقال له: وعزتي وجلالي كنت آخر الحروف جعلتك أولها وجعلتُ الياء آخرها، والياء سلمان.../.

فأقول: لو أنه تبصّر متبصراً في هذا القول المروي من رسالة الشيخ علِم أنه قِشْرٌ وله لبٌّ ولو حُمِل هذا القول على ظاهره كان به نقضٌ لأن الحروف ما سجدت إلا بأمرٍ من باريها فلما وقف المقداد عن الأمر الأول وانتظر الثاني، والأصوب أن يكون جزاء المؤتمر الممثل أوفر من جزاء الواقف عن الأمر، أم تراه سبق سلمان الذي هو الباب الأعظم للانقياد والطاعة فتقدم عليه بذلك الفعل وصار أول الحروف والياء آخرها. استغفر الله، وإنما ذلك رمزٌ وإشارةٌ للراشدين، إن آخر الحروف عند الغيبة صار أولاً عند الظهور وهو قول الشيخ قدس الله روحه: وكان الألِف آخرها فجعله أولها، وقال له: قد جعلتك مفرداً وجعلت الحروف تنضاف إليك وأنت مفردٌ إذا ابتديت لا ينضاف إليك منها حرفٌ

وتكون حد النهاية لها وأنت أبداً مفردٌ بذاتك أولاً وآخراً، يؤيد ذلك ما روي عن أبي محمد الحسين بن محمد البلدي رضي الله عنه أنه قال: روي عن بعض المؤمنين العارفين أنه لقي رجلاً فقال له: من أين أقبلت يا أخي؟ قال: من المشهد. قال: متى غاب حتى شهد؟ قال: من المعراج. قال: متى هبط حتى عرّج؟ قال: فكيف أقول يا أخي؟ قال: من موضع الغيب تجديد الظهور.

وفي مثل ذلك قول الأمير حسن مكزون السنجاري قدّسه العلي الباري في إحدى قصائده، وهو قوله:

دورَ الوجودِ لعيني بكوره قد تسلسل

كما لآخر آنٍ تاليه يصبح أوّل

وذا مثالٌ قريبٌ عنه البعيدُ مغفّل

وليس في الحق شيءٌ بباطل القول يبطل

ومجمَلُ القولِ فيه بين الأنام مُفصّل

وكلَّ مصروفِ مالٍ على الوكيلِ مُكمَّل

فعُذرُ كلِّ مُضيعٍ لحافظٍ ليس يُقبل

وله أيضاً مثل ذلك في قصيدةٍ أخرى:

وسرّ إعلانِ الهُدى في ستره لمّا بدا وكُشفه لما ستر

وعودِ عيد العهدِ في أسبوعه الدائر في شهوره التي

شهر

والكرّة البيضاء في رجعتها الزهراءِ والداعي إلى شيءٍ نُكُرْ

لقد شهدتُ عالمِ الغيب ومن حلّ به من شاهدٍ على النظر

لم يغوِ فيما قد رأى فؤاده وما رآه عنه ما زاغَ البصر

وزار بي مشاهد الغيب الذي غيَّبني بي عنه فيه إذ حضر

فلاحَ لي صبحُ فلاحي في دُجى الستر بنور وجهه قبل السَّحر

وراح بي مؤيداً بجُنده الخميـ س يوم جُمعةِ السبت الأغرّ

مراتبٌ سبعٌ وفيها ضربها منازل والهاء في الغين نفرْ

فقوله: وزار بي مشاهد الغيب الذي غيّبني بي عنه فيه إذ حضر، يعني في الموضع الذي أوراني فيه الغيبة أوراني فيه الظهور... وقوله: وراح بي مؤيداً بجنده الخميس يوم جمعة السبت ألغرّ، عنى بذلك الخمسة آلاف العالم الكبير الذين هم جنده ثم ذكر في الغين نفر، يعني إذا ضربت السبعة التي هي عدة المراتب في نفسها يخرج لك عدد الدرج وقد سماها منازل وهي تسعة وأربعون درجة، وكذلك إذا ضربت الهاء في الغين لك خمسة آلاف عدَّة العالم الأكبر، وسماهم جنده مثالاً لقول الشيخ

في ديوانه:

كواكبٌ سبعةٌ وأربعةٌ لهم هلالٌ يلوحُ بالصين

جنوده لنحل من يلمّ بهِ يُتحف بالروح والرياحينِ

ومن كان جنوده النحل فهو أمير النحل وأمير المؤمنين. وقد مرّ القول على ذلك سابقاً.. ثم لنرجع إلى قول هذا النابغ واستشهاده من رسالة الشيخ بقوله:

/ ولذلك دليل وإشارة توجد أهل البصائر حقيقة شرح ما نحن واصفوه من الحقيقة التي هي الغاية وأنها بلا حدٍّ ولا نهاية في التحصيل ولا وهم ولا فكر ثم أتى بالخبر المروي عن جابر بن عبد الله الأنصاري؟ قال:

شاهدت أمير المؤمنين منه السلام يوم غزاة البصرة وكان عدد القوم تسعين ألف رجل فما لقيت منهم مهزوم إلا ويقول هز مني عليٌّ، ولا مجروحاً إلا ويقول: عليٌّ جرحني، ولا مَن يجود بنفسه إلا ويقول: عليٌّ قتلني، ورأيت مولاي وقد تشخّص تسعين ألف شخصٍ على عدد القوم ، فما كان يُسمَع في الميمنة إلا عليٌّ ولا في الميسرة إلا عليٌّ ولا في القلب إلا عليٌّ، ثم قال هذا الحائر: فانظر يا أخي بعين قلبك وافتكر في هذه القدرة لتي كلٌّ منهم يرى عليّاً قباله على كثرة عددهم وهم يشاهدوه عياناً يقيناً وهو

تعالى أحدٌ صمدٌ فردٌ في سائر الدهور والأعصار فرأوه كذلك لتعلم أن الله على كل شيءٍ قدير.../.

فأقول محوقِلاً وأستعيذ بالله من هفوةِ اللسان فإذا كان قد ثبُت وصحّ أنه في وقتٍ واحدٍ تشخّص على عدد القوم وهم تسعون ألف شخص وهو واحدٌ صمدٌ فردٌ في الديمومية والقِدَم فكيف لا يصحّ عند هذا الحائر أن يورينا صورتين نورانية وبشرية في وقتٍ واحد؟ الله أكبر على مَن أقرّ وأنكر وجهل وتحيَّر...

ثم قال بعد ذلك: فتباً لمن يقول أنه يراه بنظره ويعاينه في مكانه بصورته النورانية الباطنة الخفية. كما قال وهو أصدق القائلين: ظاهري إمامة ووصية وباطني غيبٌ لا يُدرك، وهؤلاء القوم يغنينا بذلك هم الذين أعمى الله قلوبهم يزعمون أنهم يجدونه ويحدّونه ويُدرِكون ظاهره وباطنه وهو عندهم القاف: وظهوره في أول الشهر يقولون أنه يكون ألِف مستقيم إلى سبعة أيام يصير لام إلى ليلة الأربع عشرة يصير هاء مطبوقة وإلى يوم واحدٍ وعشرين تنفتح الهاء وتصير لام أخرى، فيكون عندهم قد كملت الكلمة وهي لفظة الجلالة ، وإذا بدأ بالنقصان بعد الأربع عشرة ليلة يُظلِم الحرف الغربي بعد ما كان مضيئاً، و ايضيء الحرف الشرقي بغد ما كان مظلماً ويقولون هذه الجلالة العظمى وهي

الصورة المرئية ويزعمون أنهم على رأي شيخنا أبي عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي قدّسه الله ولهم بهذا حديث يطول شرحه، وكن نذكره وكن قصدنا التخفيف وما رأينا في كتب سائر الموحِّدة شيئاً من هذا أبداً، وهم كما قال الله فيهم: كلا إنهم عن الصراط لناكبون.

فأقول: فأما قوله لعينا / فتباً لمن يقول إنه يراه بنظره ويعاينه في مكانه بصورته النورانية الباطنة الخفية / فلو أنه خلع قناع العِناد ونزع سربال الكِبر لعلم أنه في قوله هذا مخصوم على ما يأتيه ملوم وفيما ادعاه مأثوم فويلٌ له من رجلٍ جعل دأبه تتبيب المقرّين. وتفٌّ عليه من شيطان تبسّط في ورطة المنكِرين واقتحم جادة الخاطبين أما يزجره واجر عن ذلك؟ أما يردعه ناهٍ عن مورد المهالك أما يكتفي بقول الله تعالى / ولا تقولوا على الله إلا الحق/ أما ينتهي ويختشي قول قول الله تعالى: ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين، ثم لقطعنا منه الوتين، فما منكم من أحدٍ عنه حاجزين. أما يستضيء ويتّعظ بقوله تعالى: فلا أقسم برب المشاريق والمغارب إنا لقادرون على أن نبدل خيراً منهم وما نحن بمسبوقين فذرهُمْ يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون يوم يخرجون من الأجداث سراعاً

كأنهم إلى نُصبٍ يُوفضون خاشعةً أبصارهم ترهقهم ذلّةٌ ذلك اليوم الذي كانوا يُوعدون. أما يتبصر ويرعوي في قوله تعالى: يا أيها المزمِّل قم الليل إلا قليلاً نصفه أو انقُص منه قليلاً، أو زِدْ عليه ورتِّلِ القرآن ترتيلاً إنا سنُلقي عليك قولاً ثقيلاً إنّ ناشئة الليل هي أشد وطئاً وأقوَمُ قيلاً إن لك في النهار سبحاً طويلاً واذكر اسم ربك وتبتّل إليه تبتيلاً ربّ المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتّخذه وكيلاً واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً وذرني والمكذّبين أولي النعمة ومهِّلهم قليلاً إن لدينا أنكالاً وجحيماً وطعاماً ذا غصّةٍ وعذاباً أليماً.. إلى قوله: إن ربك يعلُم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفةٌ من الذين معك والله يقدِّر الليل والنهار علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرأوا ما تيسر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى / كهذا الرجل المريض القلب والفهم، المزمن المرض الغافل عن المفترض والعمى عن موضع الغرض فلو أنه شرب أدوية الإقرار واستضاء بوبارق الأنوار لانكشف عنه عمى الأبصار، وبعد عماه ومرضه وحيرته عن رشده ينسب المستضيئين بإشراق النور المقرّين بالوجود والظهور إلى عمى القلوب بقوله / وهؤلاء الذين أعمى الله قلوبهم يزعمون أنهم يجدونه ويحدّونه ويُدرون ظاهره

وباطنـه / قاتلـه الله أشر القتـال علـى مـا رمانـا فيـه مـن القـول المحـال. فـلا والـذي وسـع الأصوات سمعاً وأسكن القلـوب فهمـاً، ليـس بإقرارنـا وإثباتنـا الوجـود نـدّعي معرفـة الإدراك والتحديـد ولا نعتقـد أن للبـاري ظـاهراً وباطنـاً ولا نجعلـه نـوعين بـل إنمـا رأينـا واعتقادنـا الـذي جعلنـا عليـه محض اعتمادنـا وهـو ديننـا وديـن آبائنـا وأجدادنا وساداتنا وأسرفنا أن البـاري تعالى نـوعٌ احدٌ جزءٌ أصمٌّ لا يتجزّأ ولا يتبعّض ظاهراً كلـه باطنـاً كلـه قـادراً كلـه عالِمـاً سميعاً كله كبيراً لا نهايـة لـه ولا تحديد لوجوده ولا يوصف بأين ولا يُدرك بحيث وإنه وإن أورانا صورة نورانية تضاهي جنس أهل النـور وصـورة بشـرية تشـاكل جنـس البشـر، فليسـت الصـورة النورانية غير الصورة البشرية، ولا الصورة البشرية غير الصورة النورانيـة فـي الحقيقـة والجوهـر، وإنمـا أوجـد ذلـك فـي عيـون الناظرين ليفهم كل جنسٍ عن جنسه ويخاطب كل ذي لغةٍ لغتـه عـدلاً منـه وإنصـافاً ومنّـةً وألطافـاً وأن الـذي أورى الصـورتين وتراءى في الوجودين هو الغيب المنيع البصير السميع الذي لا يُردك ولا يُحدّ ولا يوصف ولا يُعد ولا تُضرب بـه الأمثـال ولا فيـه للقائل مقال وأن الغيب المنيع هو علمـه وقدرتـه وجلالـه وعظمتـه وهو يجلّ عن جميع الصفات والنعوت والإشارات وإنما أورانا ذاتـه

بصفةٍ لأنه لا يوصف الشيء إلا بصفة ومن لا يوجد بصفةٍ يوشك أن لا يكون شيئاً ولا تثبت معرفته، والأزل تعالى ليس له صفةٌ تنال بل ما أظهره من الصفة فهو عرضٌ داخلٌ على أعين خلقه فيرونه كصفاتهم وذلك لعلةٍ في عباده وهو تعالى لا علّة فيه وليس هو عرضاً زائلاً جوهراً قائماً بذاته، وذاته لا بداية لها ولا نهاية لتحديدها وهي التي ظهرت فرآها كلٌّ على حسب طاقته وقوة استعداده من أهل النور والبشر فتعالى وتقدس من تقصِّر ألسن خلقه عن تعبير أوصاف ذاته في غيبه وإيجاده...

ثم نرجع إلى ما تفوه به هذا المنهمك في أودية الجهالة والراكب جادّة الضلالة وما أنكره علينا من فقه لفظة الجلالة أعني الألِف واللامين والهاء في النورانية وما درى بأن ما أنكره علينا من القول في ذلك وأعابنا فيه هو ردّ على شيخ المقالة وخلافاً لما سطّره وحبّره في فقه الرسالة وهو قوله نضر الله وجهه: فمِن ذلك ما روي عن يحي بن معين السامري أنه قالك لقيتُ السيد أبا شعيب محمد بن نصير عليه السلام فقلت له: ياسيدي أريد أن تعرّفني ما سمعته من غرائب الفقه مما أرجع به إلى تعريف المؤمنين إذا سئلت عنه، فقال: نعم يا يحي إني حضرتُ يوماً بين يدي مولاي الحسن منه السلام وقد سأله سائل عن شرح

فقـه اسـم الله تعـالى، اعلـم أن الألِـف الصـبغة واللاميـن الفطـرة والـهاء القدرة، قال: فقلت: يا سيدي ما معنى الصبغة؟ فقال: هـي التي تفرّد الله بها دون غيره،وفيها قولـه تعالى: صِبغة الله ومن أحسنُ من الله صِبغةً ونحـن لـه عابـدون فقلـت: يـا مـولاي ومـا الفطرة؟ قال: هي الفطرة التي فطر الناس عليها وندبهم بها إليه، ثم مرّ الشيخ نـزّه الله شخصـه فـي كـلامٍ مـن الفقـه تركنـاه إيجـازاً، إلى أن قال السائل: ياس يدي أسألك عن أول الحروف ما هو؟ قال: النقطة. قلت: ما مقام الألِف؟ فقال لـي: الـهجرة. فقلت: ما مقام اللامين؟ فقال: هـي المحنـة. فقلت: ما مقام الـهاء؟ فقال: هـي القـدرة بعينهـا. فقلـت: يـا سـيدي أنـت السـاعو تقـول لـي إن الألـف الصبغة واللاميـن الفطرة، ثـم تقـول لـي إن الألـف الـهجـرة واللاميـن المحنـة فقـال لـي: إن المعرفـة مجهولـةٌ عنـد الأضـداد. فقلت: ما معنى لمحنـة؟ فقـال: هـي الظهـورات بالنورانيـة فـي كل عصرٍ وزمـانٍ، مثـالاً لقـول محمـد بـن سـنان فـي كتـاب الحجـب والأنــوار، وهــو قولـــه: قلـــت ســـيدي تخبرنـــي عـــن الظهـــورات بالنورانية، قال: هي محنةٌ امتحن الله بها خلقه، وأمـا الـهلال فـلا يزيد ولا ينقص وإنما تراه على مقدارك والشك فيك لا فيه...

أما في هذا القول بطلان ما ادعاه هذا المدعي وتثبيت مـا أنكـره

هذا المفتري من فقه لفظة الجلالة العظمى في النورانية الكبرى، ولقد أفصح عن سر باطن هذا التقرير ، والفقه الكبير، العالِم الخبير السيد علي ابن السيد مقداد الحلبي السباعي مما عناه من شرح فقه بسم الله، وهو قوله: بسم الله الحقيقة والدخول من الباء إلى البهيمنة البيضاء بدور البدور، والنقطة التي تحت الباء، بيضة الوادي درّة الدرر قدس التجلي ، سين السناء، هيولا الصور، تثليث حجب الامتحان، مرآة الناظرين ميم المعنوية، الغاية الكلية، اتصال السين والميم تثليث في تربيع جمع حساب السين والميم قاف القديم عدد الميم حمّالة العرش ثمانية مكرّمون وأربع أسبوعات ثمانيةٌ وعشرون منزلة قُدّرت في الصر لعدد السنين والحساب وجلالة اللاهوت يعني لفظة الجلالة الله فالألف الأزل هلال الأهلّة قديم الأيام الأنوع القائم بذاته بالأنزعية صبغة اللاهت يعني صورة اللاهوت هي الألف المفرد المهّلّ بالنور من جانب الطور واللامين المعوجّين فاللام الأول البادي بالحجاب الذاتي المقيم المشرق بنضاخة النور واللام الآخر الحجاب الدنى العلي العظيم المسبل الستور، والهاء القدرة حائطة الحرفين المستقيم والمعوجّين وإلى ذلك أسار العالم الرصين الثقة الأمين الشيخ محمود حسين تغمّده الله برضوانه

وأسكنه فسيح جنانه وهو قوله:

فنُقطةُ باءٍ بيضةُ الوادِ أصلها وسين السنا أسنى الهيولات كلها

وميمٌ به موصول معنى محلّها تنزّه عن صفة الأنام وشكلها

وإعرابها تثليث تربيع جملة

كذا فقه اسم الله جلّ جلاله ألف أنع عن كل صفةٍ تنالُهُ

فهو صبغة اللاهون يا مَن وعلى له ولامينِ معوجّين طوبى لِمَنْ لهُ

بهم سرُّ عُرفانٍ بعلمٍ وخبرةِ

وبالهاء سرٌّ قد يجلُّ ويعظُما يدقُّ على أهل الضلالةِ والعمى

هي القدرة العظمى التي ليس تُفصَما تجلّى بها الجبار لطفاً متمما

كمصباحٍ في مشكاةِ نورٍ مضيئةٍ

هذا ما نقلناه من ساداتنا وأسرفنا أهل العلوم ووجدناه في كتبهم مسطور ومرقوم جزاهم الله عنا الحسنى وجعل الله ما نلقناه

عنهم واعتقدناه مستقراً عندنا وثابتاً لدينا ولا يسلبنا ما وهبنا منمعرفته ولا يفتنا فيما منّ به علينا من هدايته برأفته ورحمته... ثم مرّ هذا الرجل الساهي المتحيِّر يستشهد على إثبات وجود الباري كصفة البشر وينفي وجوده بالنور الأزهر في المحلّ الأنور إلى أن قال:

/ ورأيت هذه القصيدة لعلي بن سلمان الماخوسي من قرية ماخوس وكان في زماننا وما شاهدته عيني فلما رأيت أشعاره ومصنفاته وجدته على الطريق فأثبتُّ هذه القطعة من شعره، وهي هذه:

جادَ الزمان وقلّ فيه المسعد وسطا على الباز الغراب الأسود

وافْترسِت العرَّج لآسادِ الشرى والندل صال على الهمام الأمجدِ

والحق غابت أهله وتظاهرتْ أهل النِّفاق الفاسقين المرَّدِ

وتشعُّب الإخوانِ أعظمُ محنةٍ وخلافهم للسيد ابن السيدِ

أعني ابن حمدان الحسين وأنهم عن رأيه أضحوا نفوراً

شُرَّدِ

كُلاً تراه آخذاً بهوانِه   رباً له دون الإلهِ السَّرمدِ

قد عبدوا شمس النهار جماعةٌ   وجماعةٌ للبدر منهم تعبُدِ

وكذا السما قالون هي ذات الإلهُ   عقلٍ خسيفٍ وهو رأيى مُفسِد

وجماعةٍ قالون أن الصورة   المرئية العظمى التي كان الندي

منها جهاراً فوق جامع كوفةٍ   هي السيد المقداد ابن الأسودِ

قد شبهون العبد في معبوده   جهلٍ وكفرٍ منهم وتمرُّدِ

ولم يعوا ما قاله بندائه   أنا الإلهُ الواحدِ المتفرّدِ

أنا الذي الرسل عليَّ كلها   دلّت ولي بالمعنوية تشهدِ

أنا أنرتُ النيّرين وكلّ ذي   الأنوارِ تغرُب بي ومنّي تبتدي

من نور ذاتي كان اسمي بدوُهُ   وغروبه بي ذاك قولٍ مُسندِ

أنا القديم الأزل الفرد الذي   لاربَّ غيري فاز من بي يقتدي

هذا هو المعنى تعالى جدَّه   وكذاك نادى في البرية

أحمدِ

يـوم الغـدير مبلّـغ عـن ربـه كشـفاً وتصـريحاً برغـم الحُسّدِ

ويقول هذا ربكمُ وإلهكمْ هذا مُعيني والنصير ومُنجدي

إن تعبدوه فزتُمُ وسعدتُمُ وإن تحمدوه خاب من قد يجحد

والشمس إعلاناً عليه سلّمت وتقول جهراً والخلائق تشهدِ

يا أولٌ يا آخرٌ يا باطنٌ يا ظاهرٌ يا عالمٌ يا نُوجِدِ

وردّها في تسع عشر كرّةٍ بعد الغروب وصار ليلٍ أسودِ

ويقول أيتها الغزالة ارجعي فتعود كالريح العصوف المُرعدِ

وشقّ بدر التَّمِ نصفين فيا ذا العالِمِ الداري لمِن قد تعبُدِ

للقمرِ المقسوم أم لقسيمه إن تعبدِ الاثنين رأيك مفسدِ

أم تعبد الشمس المنيرة أم لمِن ردّت له يوم بقيع الفرقد

كم كرّةٍ قد ردّها جهراً وقد أعنَت له بتسبَّحٍ وتهجُّدِ

قل للذي عبوا إلى بدر الدجى والشمس هل جاكم جيث مسنَدِ

عن أحمد المبعوث في قرآنه أم عن مشاكي النور آلِ محمَّدِ

أم عن أبي عبد الإله فقيهنا العالِم البرِّ التقي الأمجدِ

وتزعموا أن السما هي ذاتُه وهو خلقها الذِكْر فيه يشهدِ

وكلَّهم من خلقه لا مِريةٍ فالصحف جمعاً والرسائل تشهدِ

إن تعبدوا قمراً قسمْه حيدرٌ وسما وشمس باطلٍ لم يوجدِ

في كتب سيدنا الحسب ولا برسل أولاده طرقُ الهدى للمهتدي

وليس في القرآن هذا جائزٌ بل إنه دين ورأيٍ مُفسِدِ

دين ابنِ خلاّدِ اللعين وقُرمطٍ والأزور الذيّوث واسحاق الرَّدي

بل إنّ دين الحق أشهره لنا نجلُ الخصيبِ عن الإمام الأوحدِ

السيد الجنان من في جنبلا قراره العابد المتهجِّد

عن أمبر الأيتام أصل سماعه أعني ابن جندب ذو التّقى والسؤدد

وسماع سيدنا اليتيم محمَّدٍ من ابن بكرٍ أبو شعيب محمَّدِ

هو باب مولانا وغاية قصدِنا الحسن الأخير العسكري الأوحدِ

إن العبادة للذي أبى لنا عجائباً ومعاجزاً لم تُعدَدِ

أعني علياً ابن ابي طالبٍ وهو موجود معبود لكل موحِّدِ

هو ابن عبد مناف يدعى ظاهراً وأمّه فاطمة بنت أسدِ

بَدا لنا في صورةٍ مرئيةٍ علويةِ متأحِدٍ متفرّدِ

مجرداً منزّهاً عن خلقه وليس يتجزّا ولا متجسِّدِ

وليس محصوراً ويدرك كنهه ولمِ يلدِ جلَّ الذي لم يولَدِ

هذا هو المعبود سرَّ وجهرةٍ له بهذا قد نُقِرّ ونشهد

ومحمد الحمد العظيم حجابه قد فاز من للإسم أحمد يسجد

والباب سلمان المعظَّم قدرُع طوبى لِمَن للباب سلسل يقصد

هذا هو الدين الحنيفي الذي من دانَ فيه كان ذاك المهتدي

وبه نجاة علي بن سلمان الذي ما حُول عنه ولا حرمةِ أحمد

وإن يكن يا خوان شخصي غائبٌ مكنون ديني في نظامي

يوجَد

وكلُّ من عن اعتقادِ ناكلاً فهو عن دين الحقيقة مبعدِ

فدعاكم يا آل صاد ذخيرةٍ يومٌ به ريق الحناجرِ تجمدِ

والحمد لله وشكراً دائماً ما غرَّد القَمري وناح الفَرقِدِ

فأقول: إنني لمّا رأيت هذه القطعة التي استشهد بها هذا الولهان من قول علي بن سلمان فلم املك القعود عن نشر ما لحن وإيضاح ما طعن وما نسبنا إليه من الرأي الفاسد والاعتقاد الحائد، بقوله أننا على دين اسماعيل بن خلاّد وعلي بن قرمط. والأزور الدَّيوث واسحاق المعكوس، فاخترت مقابلته بهذه القطعة رداً على ما سطّره ودحضاً لمَا حبَّره، وهي هذه:

راقَ الزَّمانَ وراقَ فيه الموردِ وصفا وطاب الوقتُ ثم المعهَدِ

وتضاحكت أزهاره وتلونّتْ في روض رضوانٍ وقُطب زمرُّدِ

ومائه الثجّاج أضحى هامياً من المعاصر سائلٌ ومجعَّدِ

فتخال سلطان الزمان بقبةٍ ساميةٍ تزهو بلون زبَرْجَدِ

من حولِه فتيان صِدقٍ غلمةٍ نجديّةٍ في روضةٍ من عسجدِ

تسري الجنود لسيرهِ يا حبّذا من كلِّ رشاً أملدٍ مع أغيدِ

كم مغرمٍ فيه يُرجّي وصله   يمسي ويُصبح بالغرام مسهَّدِ

لولا التجلي بالسنا لمن دنا   لم تتضح طرق الهدى للمهتدي

ولا أوى إلى مثال ظلّهِ   متحيّرٌ في رأيه المترددِ

لكنه في كشفه لمّا بدا   زاح القتامِ عن العيون الثُّمَّدِ

فلذاك لبّاهُ السميع سامعاً   عند الدُّعاء طائِعاً متهجِّدِ

وانثنى عنه الجهول بجهله   ضاهى الأصمّ الهائمِ المتبلّدِ

أقسام صاروا الخلق في عرفانه كلٌّ على ما يدَّعي يستشهد

كم واقفٍ عند المثال حائرٌ   وكم عمِيٍّ في العمى متورّدِ

وكم خبيرٍ ضلَّ في ظلِّ الضيا   وكم جهولٍ كم بهِ من ملحِدِ

وكم مشوقٍ غاص في بحر العنا وكم غفولٍ بالجفا مستعِّدِ

وكم مجيبٍ للصدا عند النِّدا وكم مُنيبٍ للهدى متعهّدِ

كم عابدٍ ما ليس يُبصِر فاغتدى متوهمّاً في ظنّهِ متقلِّدِ

إذ كان غيباً لا يُشاهَد في الورى يشك في أمثاله المتبدِّدِ

وكم مشيرٍ للسّما بزعمِهِ   هي ذاتُ باريه العليّ الأحدِ

كم من صبا نحو النجوم مصوِّبٌ برأيهِ في أي نجمٍ يرصُدِ

كم مضرمٍ نار المجوس لشعبه   محتفلٌ باللهب المتوقِّدِ

وكم إلى المقداد أضحى شائراً   وكم إلى شيخ الديانة يقصُدِ

وكم مشيراً أنه اسمٌ وكم   معتقد فيه الإله السَّرمدِ

وجماعةٌ حلُّوه في أجسامهم ويعضهم للبعض زوراً يشه

وجماعةٌ قالوا بصورته التي نطقت على الأشهاد جهراً تبتدي

هي ذات مولانا العليّ تعاظمت عن الإحاطة والأبا والمولِد

أظهرها المعبود إيناساً لكي كهيئة البشار حقاً تُوجَد

وهي تجلّ تعاظماً عن كلِّ ما نظر الأنامُ تعجّزاً وتعدّدِ

قالون قولاً صادقاً لكنّهم مالوا لقول الفاسق المتمرّدِ

دانوا بتسخير المهيمن رأيُهم رأيُ النّواصب بئس رأيٌ مفسد

وعلى الحجاب محمد تبثتوا كما ثبتوا على ربّ السما المتفرّدِ

أغووا بظاهر ما تشابه عندهم وأنبذوا بالذكر ما ينفي الصدى

ويشهدون بصورةٍ مرئيةٍ ولم يروها قط يومَ توجدِ

ومدّعي رُشدٍ بغير رؤيةٍ كمن على غيب الشهادة يشهد

مستمسكين من المقال بظاهرٍ وعن السرائر سبلهم متسدَّدِ

لا يستضون بنورِ حكمة عالمٍ بل بالظنون عقولهم متقلّدِ

جحدوا اليد البيضا وأسرار العصا مع حية التثليث كلاً يجحدِ

وإلى الثَّرى دون الثُّريا التجوا كالحمرِ من بأس القساورِ تشرُدِ

هذا وآيت الشهادة بينهم تتلى وحكم القسط فيها يوردِ

فابعد بهم وبدارهم وبقولهم واسلك على طرق الهداية تهتدِ

ولإثر أرباب البصائر اقتفِ أهل التُّقى هم أسوةٌ للمقتدي

المثبتون وجود مولاهم لهم بالنور والأبشار غير تجسُّد

وزنٌ بوزنٍ في سماه وأرضه ليس بمدروكٍ ولا متحدِّدِ

قد أحكموا التنزيه في إثباتهم سرّ الظهور بخبرةٍ لم تفقدِ

همُ الذين صوّبوا في قصدهم للمعهد السّامي فنعم المقصدِ

هم الذين امعنوا فصدقوا بالحق شاهدهم لديهم يوردِ

وهم إلى قصد المعاني سبقوا والغير في تقصيره متلبّدِ

فبغير قسط العدل لم يتدينوا		ولو لحاهم عادِلٌ ومفنِّدِ

ثبتوا الوجود بصورةٍ مرئيةٍ		بشريةٍ نوريّةٍ لم تُولدِ

لطفاً وتأنيساً بدا في خلقهِ		ورحمةٍ مع منَّةٍ وتودُّدِ

عرفوا الحجاب محمَّداً مع بابه		نورٌ وظلٌّ سؤددٌ مع سؤددِ

وأسندوا ما حققوا من رأيهم		إلى الرواة الصادقين المولدِ

عن الخصيبي رأي التوحيد في		إصحاح صدقٍ ثابتٍ ومشيِّدِ

عن شيخه الجنَّان كان سماعهُ		عن ابن جندب هو اليتيم محمدِ

عن نور أصاوُوت باب الرشدِ		للمولى الأخير العسكريّ الأمجدِ

قل للذي يزري على إقرارهم		متعرضٍ في قوله المترددِ

عن قسمة البدر النير بقولهِ		يا ايها الدَّاري لمِن قد تعبُدِ

للقمر المقسوم أم لقسيمه		إنْ تعبُد الاثنين رأيك مُفسِدِ

وما علِم في الانشقاق علّةٌ		ذاتيةٌ في كدره المتنكِّدِ

كغيبة المولى العلي بضربةٍ		من ابن ملجمَ جلّ من لم يُفقد

مثلٌ بمثلٍ في سماه وأرضه وزنٌ بوزنٍ جلَّ أن يتحدّدِ

ثم اعترض هذا الجهول قائلاً بمقاله وجداله متلكِّدِ

قل للذي عبدوا إلى بدر الدُّجى والشمس هل جاكم حديثٍ مُسنَدِ

عن أحمد المبعوث في قرآنه أم عن مشاكي النور آل محمدِ

أم عن أبي عبد الإله فقيهنا العالِمِ البرِّ التقيِّ الأمجدِ

جوابُنا يا أيها السّاهي لقد ظللتَ في وادي العمى متقصّدِ

نعم الشواهد قد أتتنا عنهم نقلاً بغير تنقُّصٍ وتزيُّدِ

ألم يقل في آية النور لنا الله نورٌ ظاهرٌ متجرّدِ

يكفيكمُ رؤية رسول الله في ليلة المعراج لمّا أصعدِ

بصورةِ الشاب المؤنَّق جاءنا لاسمه أصدق حديثٍ يُوجَدِ

أيضاً حديثاً ثانياً مصدَّقاً فمن رأى البدر التمام المبتدي

فكأنما رأى الوجود بلا خفا قولاً صريحاً جامعاً ومؤيَّد

أيضاً حديثاً ثالثاً مبرهَناً قول الشفيع الهاشمي الأوحد

على القباب مع المآذن أوضعوا صورة هلالٍ ظاهرٍ متغمّدِ

فإنها تُشبهْ لصورةْ قادرٍ جلَّ الحكيم عن التصور سيدي

أيضاً حديثاً رابعاً متتابعاً بالصدق عدلاً شاهداً للمحتدي

في نصف شعبان التجلّي دائماً من الغروب إلى البزوغ مؤيَّد

وكم عن الأطهارِ آل محمَّدٍ وافى حديثٌ مسندٌ في مسنَدِ

كذا أبي عبد الإله فقيهنا ديوانه في ذاك حقاً يشهدِ

كواكبٌ سبعةٌ يليها أربعَهْ لهم هلالٌ لائحٌ لم يُفقد

وجملة النحل الخبير جنوده يا حبذا جُنداً به متجنّدِ

هذا هو السرّ الحقيقي الذي وافى به شيخ الطريق الأرشدِ

فكيف أنتم تنسبوا أقوالنا لابن خلاّد القشيّ المتعمّدِ

والقرمطي الملعون في أقواله والأزور الديوث وسحاق الردي

ونحن من فرع الخصيبي لم نزل بالإثر نقفو رأيَه المسَدَّدِ

ندّخر ليوم إيابنا عرفاننا قيّاً وهبقاً لم نحول ونغتدى

هذا الصراط المستقيم بدقَّةٍ نسلك عليه لا نخاف تأوّدِ

حسبي بـه فـي يـوم حشـري أن يكـن لـي راحمـاً أنـي بـه متهجِّدِ

فمدخلي صدقٌ به في قصدهِ ومخرجي صدق به متخلِّدِ

يا آل صادٍ عبدكم في عقدكم مرتهنٌ مستوثقٌ ومقيَّدِ

هاكم عروسٍ حرّةٍ بهنانةٍ ضاحيةٍ من الحسان الخُرَّدِ

على عليٍّ نجل سلمانٍ فهي ردٌّ ومولاي يجازي المعتدي

حسين أحمد قد أجاد نظامها ومن بني صاد الدُّعا يتزوّدِ

فعليهم أسنى السلام مسرمداً مـا نـاح طيرٌ فـي الغصون مغرّدِ

ثـم استند هذا الـهمَّـاز إلـى شـاهدٍ مـن قـول الـبزّاز وهـو قولـه فـي قصيدتـه الرائيـة:

وقال لـي أخٌ أتـى يسألني وقـال أخبرنـي بمـا المعنـى ظهر

قلت اسمع وافتهِمْ وَعِ كان لا شمسٌ تُرى ولا قمَرْ

ثم قال هذا الرجل فإذا كـان الاسم قبل الشمس والقمر، والمعنـى كذلك أما يخافون من الله، فقل لذوي العقول الفاسدة كيف أنتـم وكيف اعتقادكم؟

فـأقول: أمـا هـذا الشـاهد الـذي هـو مـن قـول الـبزّاز فـلا تقـوم بـه

حجة ولا تبان له به محجّة لأن صاحبه رحمه الله، شائِرٌ به إلى كيفية الباري في القِدَم، وأنه كان قديماً قبل نشأة الأكوان وقبل وجود الأنوار السماوية والعوالِم البشرية وقبل أن تكون سماءٌ مبنية وأرضٌ مدحيّة وقبل اختراع السيّد الميم إليه التسليم ، كما تقرّر في كتاب الأكوار النورانية وقد سبق القول على ذلك في هذا الباب وأن المعنى تعالى لما اخترع السيد الميم وفوّض إليه النشأة والتكوين فكوّن الأكوان وكان المعنى يدعى أزل وصار الاسم يبدو في ظهوره للأكوان كهيئة المهِلّ، والباب كهيئة الشمس فلما تمّ مراد الأزل بالإرادة والتكوين أظهر المماثلة كما جرى ظهوره بالبشرية فظهر بما ظهر به الاسم وهو المُهل المقمِر المبدِر، والاسم ظهر بما ظهر به الباب وهو الشين، والباب ظهر سماءً وماءً وظهرت العوالِم بظهورهم، فلهذا قال البزّاز / كان لا شمساً تُرى ولا قمر/ يعني قبل أن يظهر بالذي أهلّه وأبدره وأقمره وقبل اسمه وبابه وعوالِم قدسه وليس في القول نفيٌ للوجود بل إنما هو إشارة إلى قدمية الباري تعالى وأنه كائنٌ قبل كل شيء فكيف يسوغ لهذا الرجل أن يقول / فإذا كان الاسم قبل الشمس والقمر والمعنى كذلك / فقد قدّم الاسم على المعنى، ثم قال هذا الحائر عن قول البزّاز أيضاً في هذا الشعر،

وهو قوله: "اخترع الاسم تعالى شأنه وأراد خلق الباب للاسم أمر"
ثم قال فيه أيضاً:

وما كواكبُه التي أبصرها يوسفٌ وما الشمس يليها والقمرُ
قلبت هم إخوتهُ حقاً وهُمْ أولاد عبد المطلب إحدى عشرْ

وقوله فيه أيضاً:

والشمس والبدر فاعرفْ أنهم هم الوليّان على مرِّ الدّهرْ

ثم قال هذا الحائر: فإذا كانوا هم الوليين في سائر الدهور وهم من جملة العالَم الكبير فكيف تجوز لهم عبادة وهم من بعض خلقه؟

فأقول: إن الشمس والقمر اللذين هما من جملة العالَم الكبير وهما أبو عبيدة نوفل بن الحارث وأبو برزة مصعب بن عمير اللذين هما الوليّان فليس يجوز لهما عبادة وإنما هما عبدان مأموران لهذين النيرين ولمن ليس يجوز عليهما التسخير، ولو فقِهَ معنى قوله هذا وإثباته التسخير على من هما من العالَم الكبير لوجدّه رداً على قول الشيخ أبي عبد الله وهو يزعم أنه من شعبه، أبى الله أن يكون ذلك لأن الشيخ نضر الله وجهه نزّه

عوالِم النور عن السهو والغلط والتعب والنصب والأكل والشرب وغير ذلك حتى لو صَفي مؤمنٌ من عالَم البشر أُطلق عليه القول أنه لا ينام ولا يمرض ولا يموت ولا يجوع ولا يعرى ولا يتسّخ له ثوبٌ ولا يُقلّم له ظفرٌ بل يبقى محكّماً مخيَّراً في نفسه إن شاء صعد إلى السماء وإن شاء هبط إلى الأرض هذا مآل نطق الشيخ نضّر الله وجهه في رسالته التي أودعها محض إشارته وكذلك ما سطّره في ديوانه فمِن ذلك قوله رضي الله عنه:

محكّمون لهم تخيير أنفسهم ما يشتهون من الجنّات في خُلُدِ

إن آثروا حالةَ الدنيا تكنْ لهمُ أو عصمةً عُصِموا من سائِر النكَّدِ

لا يحزنون ولا يخشون بائِقَةً ولا يخافون سوءاً آخر السَّنَدِ

فكيف يصح لهذا الرجل بعد هذا القول وإثباته من نطق لسانه أنهما من العالم الكبير، أن نطلق عليهما التسخير، وقد سطّر ذلك في مواضع كثيرةٍ من كتابه، واستشهد على ذلك بما تشابه عليه من آي القرآن ولو علم معنى الإرادة في نطق القرآن وفهِمَ إشارات الموالي منهم السلام والتابعين نهجهم من السادات ورفع

العناد والكبر وصغى إلى حقيقة الأمر لوجد قوله منقوض وعن الحق منهوض وعند العارفين مرفوض وعند المحقين مدحوض، وإنما مثله كالراكب طريقاً في غيهب الظلمة على حسب الظن والتهمة بغير دليل ولا تحقيق فهو معنوفٌ في سيره ومتعسّف مرتَ البوادي والهدامِل والشناخيب فلا ينفك في التهشيم والتشخيب في البراجِم والطنابيب ولم يزل منعقلاً في قيد الحيرة والتكذيب، ومستوثقاً بعُرا عقائد التسويف والتعطيب سارباً تحت ظلٍّ من غمام الوهم عن الرشد من الاتقارب إلى البعد ومن الدنوّ إلى الصدّ ومن الإقرار إلى الجحد وهيهات أن يتصل بالمطلوب أو يحتفل بالمرغوب إلا أن يتوسط الدليل في قصد السبيل ، فإنه من استخار السبيل بواسطة الدليل سار به على الطريق الواضح والمنهج اللائح لا يخشى الخسف ولا يرهب الكف في الوقوف والوجف فلا يزال بملازمة الدليل حتى يتنور قلبه بمعرفة الطرق في قصد الحق ورفض الباطل واعتقاد الصدق ليكون فقيهاً في دينه وغنياً بعلمه ويعود أسوةً في العلم والفهم والفقه يستعلم منه ويُقتدى بعلمه ويتفقّه منه ولا يشك في فهمه ولا فيما يؤخذ عنه، ومن لم يكن هكذا فهو ضالٌ مضلّ ولقد أحسن القائل في معنى ذلك شعراً:

إنّ الفقيه هو الفقيهُ بدينهِ ليس الفقيه بقولهِ وجِدالِهِ

كذا الغنيُّ بعلمه ليس الغني بمالِهِ ورجالِهِ

وهذا الرجل فقد أطلق لسانه في الجدال والشفه وتحلّى عن الورع والفقه ونصب نفسه علماً لجملة الرعاع الهمَج وهو لم يعلم الطريق الأقوم من الأعوَج ولم يُحصِّل شيئاً من الفقه ليُفقّه فيه من اقتدى به ولم يفهم طريقاً إلى الغيب الذي يشير إليه ليدلّ عليه من ينتمي إليه ولم يرّ في رأيه إلهاً موجوداً ممدوداً ولا باباً مقصوداً ليُهدي إلى معرفة ذلك من ائتمَّ به والتجأ إليه فلقد ضلّ وأضلّ وانخسفت به السبل وأطبق عليه القُفل وانقطع عن لذاذة الوصل وسكن بيتاً لا باب له وسافر في ليلٍ لا نور فيه وادّعى رشداً لا هداية معه ولقد أجاد الفقيه العالِم النبيه الأمير حسن ابن مكزون فيما لفظ به من معرفة بيان أقسام الناس في المعرفة وهو قوله قدّس الله روحه: ولقد انقسم الناس في معرفة الله تعالى على أقسامٍ لا يُمكن لبشرٍ شرحها ولكن نذكر بعضها على وجهٍ كليّ على سبيل الإشارة إليها والدلالة عليها وإن كانت ضد الحق فالشيء يظهره ضده لأن غرضنا في ذكرها إيضاح الحق في بيان بطلانها إذاً ليعرف الحق معرفة حقيقية مجردة من الباطل وذلك أن من الناس من قال عرفتُ الحق بالعجز عن

معرفته فاقتنع من المعرفة بعجزه دون معرفة الحق وذبك سبيل الحائرين، ومنهم من قال عرفتُه في مصنوعاته وآثار الصنعة وذلك مقام المنقطعين، ومنهم من قال عرفته بأوصافه ولم يعلم أنه جهله بإدخاله في حدّ الصفة الموجودة من قبل الواصف وأوجب تعدده في ذاته بتعدُّد الأوصاف التي أوقعها به من طريق جهله بوجود ذاته واستغنى بها عن الوصف الزائد عليها الجاري في حدث الواصف لها وذلك مقام المشركين، ومنهم من قال عرفته بأسمائه ، والأسماء إنما يُعرف بها من يكتنفه حدّ العارفين به ليحصلَ لهم بها الإشارة إليه ويحصل له بذلك التميّز عنهم فيهم وذلك قول المتجسمّين، ومنهم من قال عرفته في عقلي ولم يعرِف سفه دعواه في أنه عرف عقله بغير الله وذلك تصوّر الجاهلين، ومنهم من قال عرفته بنفي معرفته ولم يعلم أنه قد جاوز إمكان العدَم لوجود ذاته تعالى لأن ما لا يمكن شرحه ومعرفته لا يمتنع عدمه وتلك إشارة الملحدين، ومنهم من قال عرفته بكليته فأدخله في حيّز معرفته وتلك دعوى التائهين... وقد صرفتُ وجهي عن الإطالة في تعديد ما شاكل هذه الأقوال الفاسدِة طلباً للاختصار والإيجاز، والله الهادي إلى سبيل الخير وهو الوليّ النصير، وعلى ما يشاء قدير...

تمّ الباب الثاني

الباب الثالث

يشتمل على ذكر إثبات وحدة الباري تعالى معرفة وجوده في الصورتين النورانية والبشرية وأنه أحدي الذات وإن تعددت صفاته في أعين مخلوقاته فهو على حسب الأمزجة واختلاف الطبائع وتفاوت المنازل.

فنبتدىء أولاً بشيء من آيات القرآن الكريم مما يدل على وجوده مع العوالم النورانية وأنه نورٌ، فمن ذلك قوله تعالى في الذكر الحكيم على لسان السيد الميم، الاسم العظيم: الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباحٌ، المصباح في زجاجةٍ، الزجاجة كأنها كوكبٌ دريٌّ يوقد من شجرةٍ مباركةٍ زيتونةٍ لا شرقيةٍ ولا غربيةٍ يكاد زيتها يضيءُ ولو لم تمسسه نارٌ، نورٌ على نورٍ يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس.... وقد كشف عن حقيقة سرّ باطن هذه الآية الجليلة نزهة علماء زمانه وفريد وقته وأوانه المقدس المرحوم برحمة الحي القيوم الشيخ محمود في رسالته بما رواه من قول المولى الصادق منه السلام في رسالته المفضلية وما برهنه من قول الشيخ علي بن منصور قدس الله سره الموفور في المقدمة

الشافية وابتدأ بقول صادق الوعد أولاً، وهو قوله:

ولقد أبان عن مشكل هذه الآية الشريفة وأفصح عن معناها صادق الوعد مولانا جعفر بن محمد من ذكره السلام في رسالته المفضلية حيث قال: اعلم يا مفضّل إن هذه الآية في وجود مولاك وظهوره، اعلم أن المشكاة هي الصورة المرئية الأنزعية، والمصباح هو ما بطن من الضياء والظل الذي ذكرته لك، والزجاجة التي كأنها كوكبٌ دريٌّ هو النور البادي من الذات، والشجرة التي تُوقد منها هي الذات التي لا تُحد ولا تُعدّ ولا توصف علت وجلّت، وعليها الكتب والرسل دلَّت فلا تضرب بها الأمثال ولا فيها للقائل مقال وإنما يقع هذا المثل بالاسم والباب واليتيم فإن النور هو الاسم العظيم، والضياء هو بابه الكريم، والظل فهو الكوكب الدري الألِف اليتيم، والمعنى سبحانه يوري ذاته بهذه الصفات وهو يجل عن الصفة والمثل.

ولقد أفصح عن هذا وأعربه وأشار إلى بينونية الذات عن هذه المظاهر الثلاثة العالِم العلاّمة فريد زمانه سيدنا الشيخ علي بن منصور قدس الله سرّه الموفور في قصيدته النورية حيث قال:

والعين مولانا تعالى وسما   مِن أن يسمَّى نورَ أرضٍ وسَمَا

والله هو حجابه المعظَّما ونوره في العالمين قد نَما

فاسمع لِما قلتُ وكُنْ وعيًّا

وإنما المشكاةُ للوجودِ علامةٌ ليُعرَف المعبودِ

ليست من المصباحِ تستميد وإنما المصباح ميمُ الجودِ

وهو إلى المشكاة منتميّا

وأشرق المصباحُ بالزجاجة لما بدا ببابهِ مِزاجَه

وظاهر الباب بلا لجاجَهْ في باطن الظلّ غدا معراجَهْ

ممازجاً للكوكبِ الدُّرِيًّا

فدل بإشارته هذه إلى الصورة الموجودة وإلى الاسم والباب واليتيم كما قدمنا في القول لأن هذه المظاهر الثلاثة كلٌّ منهم يشاهد الذات في كونه ويراها بما يراها من هو دونه لأنها تُعطي كل تجلّي كصفته وكل مظهره كظهوره كطبعة فّص الخاتِم يوري أنه يؤثر ولا يؤثَّر به ولكن بظهور الحق جلَّ وعلا كصفة الشيء يقع اسم ذلك المظهر عليه كما أنه لما أورانا ذاته بصفاتنا وقع عليه اسم الناسوت وهو قبل الاسمن والصفة الموجودة لكنه جلّ وعزّ يُظهر الشيء ويبدو كصفته من غير حلول به ومن ثم أظهر ما قدمنا شرحه وتمثل به من النور والضياء والظل فكان يتجلى بالصفات الثلاث وكل صفةٍ منها دالّة على ما شرحنا من

اسم وباب ويتيم وهو قبل الممثول وأجلّ منه بل إنه يوري ذاته في عيون الناظرين إليها كصفته ما أحدثه وأبداه من غير ممازجة لأنه لا يمازج المحدثات كونه محدثها ومبديها، فهي محدثةٌ وهو قديم وهي مخلوقة وهو خالق، وإذا كان من لطفه بنا ورأفته علينا أورانا ذاته بصفة المحدثين فلا يجيب أن تثبت تلك الصفة عليه لكون المحدث لا يليق بالقديم وإذا تبصّر ذو لبّ مصيب وجد جميع الموجودات صنعةً من صانعٍ، من اسمٍ وبابٍ وكل موجود، وعلِمِ أن صانع هذه الأشياء لا يظهر بها حلولاً لأنه ذادرٌ سابق وجوده جميع الموجودات والصنائع فلا يعيبه وجود ذاته لموجوداته في صفةٍ شاكلتهم لكي يصلوا بذلك إلى معرفة معبودهم الذي أوجدهم لأن الشيء لا يفهم عن خلاف جنسه وإذا أظهر نفسه كصفة الشيء فيكون خلاف الشيء، والشيء دونه وغيره لأن الموجودات جميعها مفتقرةٌ إلى من أوجدها، والمفتقر إلى الشيء فلا يجب أن يساويه لأنه دونه وهو موجِدُهُ ومُظِهرهُ، ومظهِر ذاته باسمٍ كاسمه وصفةٍ كصفته وهو غير اسمه، واسمه غيره لأنه سابق الاسم، والاسم محدثٌ له، كما أن الإنسان يولد بغير اسم، وبعد ظهوره يدعونه باسم فيكون غير اسمه واسمه غيره إلا أنه لا يعرف إلا باسمه ولا يُدعى إلا به

وإن كـان لا يجـوز المثـل علـى ذات الله تعـالى لأنــه خـلاف الموجـودات ولكـن ليقـرب علـى أفهامنـا، وأمـات اسـم الإنسـان وجميع الأشياء الموجودة فإنها أعراضٌ زائلـةٌ لا تقوم بنفسها بل تقوم بغيرها، واسم الله سبحانـه تعالى شخصٌ قائمٌ بنفسه يُقصد ويُشـار إليـه فـلا يـدعى الأزل تعـالى إلا بـه والأزل تعـالى غيـر اسمه لأنـه كـان ولا اسم كـائن ولا شبح بـائن. ومما يطابق هذا القول ويجوهره ويزيده برهاناً وينوّره قول شاب العلم المكنون أبو سعيد ميمون قدس الله العلـي سره المصون فـي كتـاب البحث والدلالة في مشكل الرسالة وما أتاه من الكشف والبيان مما هو مشتكل من رسالة شيخ مشايخ الحقيقة وموضّح حقائق الأسرار الأنيقة ومبين الرموز العميقـة ومبرهن الإشـارات الدقيقـة ومرشد أرباب الطريقـة قطب الزمـان وفريد العصر والأوان اليد أبـي عبد الله الحسين بن حمدان، جمّل الله بـه الزمـان ، وذلـك فـي الفصل الخـامس مـن هـذا الكتـاب المـذكور الـذي هـو للعـارفين لـه وهـو قوله: قال فهل تجلّى الباري لخلقه بنورانية اللاهوت فـي عهدٍ مـا وكورٍ ما ودورٍ ما؟ قال: نعم. قال: فأين ذلك من كتـاب الله؟ قلنـا لـه: فـي قولـه تعـالى: وإذا أخـذ ربـك مـن بـنـي آدم مـن ظهورهـم ذريـاتهم وأشـهدهم علـى أنفسـهم ألسـت بـربكم قـالوا بلـى /يعنـي

أقررنا/ فكان هو المتجلي لهم والمتكلم بلا واسطة ولم يزل يراه أهل خاصته في الأكوان الستة: في الكون النوراني والكون الجوهري والكون الهوائي والكون المائي والكون الناري والكون الترابي يراه كل شخصٍ منهم بما استحق من رؤيته إلى أن ظهر لهم بالبشرية الناسوتية. فأوجد الشيخ نضر الله وجهه أن المعنى تعالى لم يزل مشاهداً في جميع الأكوان في الأكوار والأدوار وأنه لا يحول عن كيانه وإن ظهر لعيانه وأنه هو الذي ظهر في النورانية والبشرية...

ثم قال في فقه رسالته وهو من جواب السيد أبي شعيب عليه السلام ليحيى بن معين وهو قوله: ثم قال إن الله يظهر للعالم كصورهم ولم تكن هذه الصورة تلك الصورة التي دعاهم بها لأنها كانت في وقت الدعوة نورانية، فأورى بهذا القول أن هذه الصورة البشرية غير الصورة النورانية الأولى بعد إثباته وقوله ولم تزل تراه أهل خاصته في الأكوان الستة وهو متجلّي لهم يراه كل شخصٍ منهم بما استحق من رؤيته إلى أن ظهر لهم بالبشرية، وفي ذلك تفاوت وانتقاض بحب الفحص عنه لتظهر الحجة وتزول الشبهة وينجلي العمى.

فالجواب وبالله التوفيق، أما قول الشيخ نضّر الله وجهه وجوابه

للسائل وإقامة الدليل من قول الله تعالى: وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم ... الآية. وقوله: وكان هو المتجلي لهم والمتكلم بلا واسطة وأن أهل خاصته لم يزالوا يرونه في الأكوان الستة بما استحقوا من النظر إليه إلى أن ظهر لهم بالبشرية... فهذا القول هو الحق المبين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيمٍ حميدٍ، كما قال مولانا الصادق منه السلام: إن الله سبحانه تعالى لا يتغير ولا يتبدل ولا يتصور وإنما التغيير والتبديل والتصوير والقرب والبعد في أعين الناظرين إليه، لقول العالم في كتاب الأسوس وقد سأله السائل عن البر بقوله: فهو تعالى يظهر كأنه خلقُه أو يخلق خلقاً يستتر به فيتكلم منه.

قال العالم: هذا ما لا يمكن أن يحوِّل نفسه عن هيئته، وبالجملة والتفصيل إن رسالة شيخنا نضّر الله وجهه إنما منصوبها ومضمونها على أن المعنى تعالى لا يظهر في كورٍ ولا دورٍ ولا وقتٍ ولا قبةٍ ولا ملّةٍ إلا بذاته، وقد سطّر ذلك في عشرة مواضع منها، غنينا عن شرحها باشتهارها ، فلما ثبت الدليل وقام البرهان على أن الباري لا يظهر إلا بذاته علمنا أن الصورة النورانية التي دعاهم بها وهم أنوارٌ هي الصورة البشرية التي

دعاهم بها وهم أبشار، ولو كانت الصورة البشرية غير الصورة الأولى النورانية المرئية لسقط عن منكرها العذاب وكان لهم في إنكارها جزيل الثواب لأنهم أنكروا غير الله وجحدوا سواه والله أعدل من أن يعاقب من أنكر غيره وجحد سواه، وقد أورد الشيخ نضّر الله وجهه في هذا الفصل ما يشيد هذا القول وينصره، وهو قوله: والعالم الظلي لما أن ظهر لهم بصورةٍ غير الصورة المرئية في النورانية وعظم اللاهوت وجلالة الجبروت رأوه كصروهم وعلى أمثالهم وأظهر فيهم أنه يفعل أفعالهم ويجري عليه ما يجري عليهم من الأكل والشرب والبول والغائط والجنابة والنوم والتيلاد والتوالد والصحة والمرض والشدة والرخاء والموت والقتل، ثم قال مع هذا كله: أنا ربكم الأزل القديم فقالوا: ربنا عظيم كبير وأنت ذو جسمٍ بشري، لم يُقبَل ذلك اللطيف إلى هذا الكثيف وكيف يكون هذا وهو مثلنا وترى فيه ما نرى فينا، فأظهر فيهم القدرة الربانية والأفعال الملكوتية وأخبر وأنبأ بما كان وما يكون، فلما بدا لهم ذلك ازدادوا كفراً وقالوا: هذا هو السحر والكهانة، فكان من قولهم هذا إعادة الكرّات ودورة الأدوار فأوجد نضّر الله وجهه أن هذا الذي ظهر بالصورتين النورانية والبشرية هو الله العلي العظيم الذي لا يحول عن كيانه وإن ظهر لعيانه عرفه من

عرفه وأنكره من أنكره... وأما شرح قول الشيخ وروايته عن السيد أبي شعيب علينا سلامه أنه قال: ثم إن الله ظهر للعالَم بصورهم ولم تكن هذه الصورة تلك الصورة التي دعاهم بها إلا أنها كانت في وقت الدعوة نورانية وكانوا في العالَم العلوي النوراني فدعاهم من حيث هم على حق ما يوجبه العلم والفقه وإنما عنى بقوله: ولم تكن هذه الصورة تلك الصورة بالجنس الأول لأن العالم كانوا نورانيين، فظهر لهم بالصورة النورانية التي هي من جنسهم كما أخبر الشيخ أبي عبد الله نضّر الله وجهه في قصيدته التي هي باب الهداية:

والله بوري ظهوراً في مشيئته   في كل جنسٍ من الأجناس والعددِ

في العجم والعرب والروم المصاص وفي سندٍ وهندٍ ونوبٍ غيرِ مُحتيَدِ

وفي الشعوب وفي كل القبائل مِنْ   قحطانها وجميع النسل من أدَدِ

يدعوهمُ ويناجيهم مكاشفةً   بالذات والاسم لم يُولَدُ ولم يلدِ

وكما قال المفضّل بن عمر في كتاب الظهورات: إن المعنى ظهر بالجنس وهو مجنّس الأجناس ورب الجنة والناس. واعلم أن

مراد السيد بقوله: ولم تكن هذه الصورة تلك الصورة، فإنما عنى بقوله: ولم تكن هذه الصورة من جنس تلك الصورة لأن جنس الملائكة نورانيين وجنس البشر آدميين، فمن قال إن تلك الصورة الأولى النورانية هي الصورة الأخرى البشرية في الحقيقة والجوهر لا في الجنس والمنظر، فقد صدق، ومن قال إن الصورة النورانية غير الصورة البشرية في الجنس والمنظر لا في الحقيقة والجوهر فقد صدق لأن نفس شرط التوحيد أن المعنى لا يحول عن كيانه وإن ظهر لعيانه ولنا بحمد الله تعالى من الاحتجاجات والأخبار ما لو أوردناه لطال به الكتاب واتسع به الخطاب ولكن آثرنا التخفيف والاقتصار وترك التطويل والإكثار، وإنما أوردنا هذا الشرح ليتضح لذوي العقول إن أكثر الحث من الموالي والسادات على معرفة الصورة البشرية وذلك من حيث التدريج والترتيب وليكون التوصل من معرفة الأدنى إلى معرفة الأعلى فأياً من وجدوه مقراً بالصورة البشرية إقراراً صحيحاً رقوا به إلى معرفة الصورة النورانية لأن الصورة النورانية معرفتها ثابتة عندهم ولا يوصلوا إلى معرفتها إلا من آمن وأقر بالصورة البشرية إقراراً صحيحاً سليماً من علل الشك مجرداً من شوائب الإفك، وأي من خامر قلبه مرض الشك في معرفة الصورة

البشرية فإن ذلك لما سبق لـه من الشك القديم الواقع منـه فـي ذات المتجلي بالصورة النورانية لقول المولى الصادق منه السلام أنه لن يؤمن في يومه إلا من آمن في أمسه ومع زيادة المبالغة في المحافظة على السر فلا يتكلمون بمعرفة الصورة النورانيـة إلا بالإشـارة والرمـز والإيمـاء والتلـويح كونـه مـن أقـر بالصـورة البشرية وسلِم قلبه من الشك فإنـه يؤثر فيـه التلويح والإشـارة والرمـز والإيمـاء بمغرفـة الصـورة النورانيـة أكـث رمـن تأثيـر التصريح مع الجاهل بمعرفة الصورة البشرية ولذلك نرى الإشارة إلى الصورة البشرية أرقّ وأدق لأن ذلك من الصعب المستصعب وقد سئل مولانا الصادق منه الرحمة عن الصعب المستصعب، فقال: الصعب هو الإقرار بالصورة المرئيـة والمستصعب هـو الإذعان لها بالعبودية، وهذا الصراط المنصوب الذي عبّروا عنه أهل التوحيد بأنـه أحدٌ مـن السيف وأدقٌ مـن الشعرة، وأيٌّ مـن ادعى الإقرار بالصورة البشرية ولم يتعدَّ بـه فهمـه إلـى معرفـه الصورة النورانيـة ففـي نفسه فترةٌ وضعفٌ من الإقرار بالصورة البشرية فلذلك لـم يتصل بمعرفتـه بالنورانيـة، ومن ادعى جهلٌ لأنـه لا وصول إلـى معرفـة البـاطن إلا مـن الظـاهر لأن العلـوم الحقيقيـة الباطنـة الخفيـة لا يتوصل إليها الطالب المريد إلا من

طرق ظواهره، وأي من ادعى علم الباطن مع إهمال الظاهر فما عَلِم. ويعسر عليه ذلك لأن الفرع دليل على الأصل. وفي قول الشيخ أكبر شاهدٍ / والعالَم الظلمي لما رأوه بصورةٍ غير الصورة المرئية النورانية / يدل على أن العالم الظلي كانوا يرونه بالنورانية وما حجبهم عن رؤيته غير الجهل به والقمص الظلمية التي لبسوها، فلما ظهر لهم بالبشرية رأوه بشراً مثلهم وأظهر فيهم أنه يفعل أفعالهم وقال لهم أنا بركم الأزل القديم الذي كنتم تعاهدونه وتشاهدونه بالنورانية فدقّ ذلك على أفهامهم وداخلَهم ضعف اليقين فكان جوابهم ما أنت ربنا الذي كنا نراه نورانياً وأنت ذو جسمٍ بشريٍّ آكلاً شارباً فلا يقبل ذلك النور اللطيف إلى هذا الجسم الكثيف فلما وقع الشك منهم لبّس عليهم لعدم قبول عقولهم ذلك وحجبهم بحجاب الظلمة والجهل عن معرفته بالصورتين اللتين دعاهم بهما فتزايد لذلك شكّهم في ذات المتجلي بالنورانية والبشرية وقطعهم عن اعتبار معنى العلم الذي ظهر لهم من الصورة التي أمروا بالإذعان لها فتحيروا لذلك ووقفوا عن المشاهدة له بعين الحقيقة وبقوا كالذين يشاهدون الشيء نظراً ولا يعلمون ما هو أصلاً، والمولى ظاهرٌ كشفاً للمشاهدة ولا يحجبه شيء ولا يستره شيء ولا يوازيه

شيء إذ لا شيء أعظم منه فيحجبه ولا شيء أكبر من فيستره ولا شيء أوسع منه فيواريه وإنما حجبت العالم عن رؤيته ظلمة أنفَتَهم عن الإقرار له فوقعوا في ورطة الجهل والإنكار لعلة الجحود، والاستكبار فصح فيهم قوله تعالى: ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرى أعمى وأضلَّ سبيلاً.

وقول بعضهم:

ليسَ فيه علّةٌ تُنقِصُهُ إنّما العلّة في الطرف العَمِي

ومما يؤيد هذا ما قاله العالم العلاّمة الحِبر الفهّامة الذي اشتهر بين المحقين مقامه: الأمير حسن ابن مكزون قدّس الله العليّ سرّه المكنون في رسالته الموسومة بتزكية النفس وهو قوله:

ولا سبيل إلى معرفة المقامات بمعرفة الحق تعالى ومعرفته لا تصحّ إلا بذاته وذاته لا تُعرف إلا بريته ورؤيته لا تمكن إلا بتجليه وتجليه لا يدرك بكماله لأن التجلّي يقع قوة الناظر إليه ومعناه رفع حجاب الظلمة عن بصر المبصر ليشهد من ذات المتجلي على قدر طاقتاه في حدّ عجزه وكلال بصره عن مشاهدة نور اللاهوت من غير تغيير في ذات المتجلي بحركةٍ توجب انتقاله من حال بطونه إلى حال ظهوره وإنما شوهد بذلك من قبل تقلب والأبصار وذلك في مشاهدة الشهادة تعالى الله عن الحركة

والسكون وتنزّه عن حلول الأجساد والتغيير والفساد وهو القادر الذي لا يعجز والظاهر الذي لا يتحيّز لا تحويه الجهات ولا تقع عليه الأسماء والصفات الحي العالِم الظاهر بذاته الغني عن أسمائه وصفاته وعن سائر ابتداعاته لا يفعل إلا إبداعاً أفاد وجوده موحِّد أوجد وجود الموحِّدين ما عرفه من كيَّفه وقد جهل ذاته من وصفه فبإفادته القدرة للقادرين سُمّي قادراً وبتعليمه العلم للعالمين سُمِّي عالِماً وكذلك كل ما وصِف به إنما جرى عليه من قبل أنه وهبه لا من قبل أن الوصف كمال لذاته وهو زائدٌ عليها وأكمل المعارف به لأهل المزاج نفي خط الخيال العارض في الوهم لذاته ونفي حدِّه عند تجليه كالشجرة المباركة الطالعة من طور سيناء المنعوتة بالخروج عن حدود الجهات بقوله تعالى: شجرةٍ مباركةٍ زيتونةٍ لا شرقية ولا غربية بإثبات القدرة الظاهرة وتحقيق الحق ووجود العيان ورفع الحصر عن الصفة المشهورة من غير إثباتها ولا إثبات ما هو سواها، هي هو إثباتاً وإيجاداً وعياناً وبياناً وتحقيقاً ويقيناً، ولا هو هي كلاً ولا جمعاً ولا إحاطة ولا إحصاراً، فمن حلّ هذا الرمز ظفر من المعرفة بالكنز ، ولم يبلغ قرار المعرفة من لم يعرِف مواقع الصفة، لقول العالم منه السلام: من عرف مواقع الصفة بلغ

قرار المعرفة فيتجنب فصل الإفراج وينزّه وصل الامتزاج فهذا سر الأسرار وأجلّ مراتب أهل الإقرار، ومثل هذا قول العالِم الفطين الثقة الأمين محمد بن شعبة الحرّاني في كتاب حقائق أسرار الدين بروايته عن المولى الصادق منه الرحمة في قوله: إنما ظهر الله بصورة الآدميين حجةً على المخلوقين ولم يزل العلم بالصورة التي يكون بها في السماء لتستيعن بها المحقين ولا يعبدون غير الله رب العالمين، ومثله قول الشاب الثقة في كتاب الدلائل في معرة المسائل حيث قال:

مسألة إذا كان الباري عزّ عزّه لا يظهر إلا بذاته فهل كانت الصورة البشرية التي دعاهم بها وهم أبشار، هي الصورة النورانية التي دعاهم بها وهم أنوار؟

الجواب: إن الذي ظهر بالصورتين النورانية والبشرية واحد وهو الله العلي العظيم الذي لا يحول ولا يزول ولا يتغير ولا يتبدل ولا يتجسّم ولا يتصور، عرفه من عرفه وأنكره من أنكره، فهذا أيضاً من أوضح الشواهد= وأوكد الحجج على أن ظهور المعنى في السماء كظهوره في الأرض وأنه شاكل الملائكة بالصورة النورانية كما شاكل الآدميين بالصورة البشرية وهو يعظم ويجلّ عن المشاكلة في حقيقة الأمر، ومن سبيل العارف المحقِّق

الإقرار لـه بـالوجودين والاعتراف بـه فـي الـرؤيتين وتنزيهـه عـن الحـالين وأنـه أحدي الذات في بطونـه، أحدي الذات فـي ظهوره وأن يحكـم بإثبـات الوجـود أولاً ثـم يـأتي بالتنزيـه آخـراً كمـا قـال الشيخ علي بن منصور في قصيدته:

وبعد إثباتك للإيجادِ نزّههُ عن صفةِ الأجسادِ

واعتقِد الموجود اعتقادِ بأنّ ذلك باري العبادِ

فكُن به مستبصراً واعيا

لـم يكـن هكـذا كـان نـاقص العلـم والمعرفـة لأن المعرفـة لا تكـون تامة إلا بمعرفة الرؤية والحدود والمشاهدة والحضور فـي الغيبـة والظهـور وإن كـان فـي حـال بطونـه لا يُحّدّ ولا يوصـف ولا يُدرك لقول العالِم في كتـاب الأسوس: إنـهـا لـن تكـون المعرفـة تامـة إلا بمعرفة الرؤية والحدود، وأي من أيَّ.

ومما أوضحه العالِم الفقيه العارف بالإثبات والتنزيه: جلال الدين بن معمار الصوفي في كتاب تقويم الأسماء في معرفـة أشخاص مـا فـي الأرض والسماء وهو قولـه: إن المؤمن إذا أكمل إيمانـه وصار يسمع بـالله ويرى بـه وعرف الحقـائق الكونيـة يعني عرف حقـائق أشـخاص مـا فـي الكـون وتمكّـن مـن الارتقـاء إلـى دار الخلود والبقاء وعرف الباب وانتهى إلى معرفة الحجاب يرى الله

عند ذلك بصورة الشيخ الكبير كموسى ومصورة الطفل الصغير كعيسى وكصورة الشاب المؤنَّق المفتول السبال محمد ، ومن هناك يشاهد الصورة الأنزعية التي لم تزل عن كيانها وإن ظهرت لعيانها يعني يعلم حينئذٍ أنه، وإن أورى ذاته تعالى بهذه الصفات الثلاث، فهو أنزع بطين، ومعنى أنزع بطين يعني أنزع من الصفات بطين الذات في سائر الظهورات لم يزل عن الكيان الأول الذي كلن عليه قبل الظهور، وإن ظهر العيان والوجود للمشاهدة فلا يتوهم الجاهل الخسيف الرأي المأفون العقل أن الإشارة في نفس هذه العبارة إلى الصورة البشرية فقط لكونها سمّيت بأنزع بطين، أوَ لم يعلم أن هذا الاسم دلالةٌ على أن البشرية التي أظهرها ليس لها حقيقة بل إنما حقيقتها نورانية أنزعية من الصفات وإذا كان من صفيَ ورقى لا يعاينها إلا في البشرية فأي فائدةٍ في صفاته؟ ومن أي شيء صفي والصافي إنما يصفى من البشرية إلى النورانية فكيف يجوز أنه من صفيَ وصار نوراً أن يرى باريه بشراً بصورةٍ أدنى من صورته، معاذ الله.

ومع هذا فإن العوالِم العلوية لا يتساويان بالنظر إليه بل كل يشاهد الذات كونه ويراها بما لا يراها من هو دونه وما كان من

البشر فهو كذلك وأن أهل النور يفهمون عن ربهم نُطقَه وإرادته وأمره ونهيه كما يفهمون البشر عمّن هو مثلهم وعلى شاكلتهم وهيئتهم وأن البشر وإن رأوه نورانياً فإنهم لا يفهمون عن النور ولا استدلوا على معرفته بالنور إلا من الوجود البشري مما هو من تعاليم الموالي عرفه من عرفه وأنكره من أنكره، فهذا أيضاً من أوضح الشواهد وأوكد الحجج على أن ظهور المعنى في السماء كظهوره في الأرض وأنه شاكل الملائكة بالصورة النورانية كما شاكل الآدميين بالصورة البشرية وهو يعظُم ويجلّ عن المشاكلة في حقيقة الأمر، ومن سبيل العارِف المحقّق الإقرار له بالوجودين والاعتراف به في الرؤيتين وتنزيهه عن الحالين وأنه أحديّ الذات في بطونه، أحديُّ الذات في ظهوره وأن يحكم بإثبات الوجود أولاً ثم يأتي بالتنزيه آخراً كما قال الشيخ علي بن منصور في قصيدته:

وبعد إثباتِك للإيجادِ نزّههُ عن صفةِ الأجسادِ

واعتقِد الموجود اعتقادِ بأن ذلك باريَ العِبَادِ

فكُن به مستبصراً واعيا

فمن لم يكن هكذا كان ناقص العلم والمعرفة لأن المعرفة لا تكون تامة إلا بمعرفة الرؤية والحدود والمشاهدة والحضور في الغيبة

والظهور وإن كان في حال بطونه لا يُحدّ ولا يوصَف ولا يُدرك لقول العالِم في كتاب الأسوس: إنها لن تكون المعرفة تامة إلا بمعرفة الرؤية والحدود، وأي من أيَّ.

ومما أوضحه العالِم الفقيه العارف بالإثبات والتنزيه جلال الدين بن معمار الصوفي في كتاب تقويم الأسماء في معرفة أشخاص ما في الأرض والسماء وهو قوله: إن المؤمن إذا أكمل إيمانه وصار يسمع بالله ويرى به وعرف الحقائق الكونية يعني عرف حقائق أشخاص ما في الكون وتمكَّن من الارتقاء إلى دار الخلود والبقاء وعرف الباب وانتهى إلى معرفة الحجاب يرى الله عند ذلك بصورة الشيخ الكبير كموسى وكصورة الطفل الصغير كعيسى وكصورة الشاب المؤنّق المفتول السبال كمحمد، ومن هناك يشاهد الصورة الأنزعية التي لم تزل عن كيانها وإن ظهرت لعيانها يعني يعلم حينئذٍ أنه، وإن أورى ذاته تعالى بهذه الصفات الثلاث، فهو أنزع بطين يعني أنوع من الصفات بطين بالذات في سائر الظهورات لم يزل عن الكيان الأول الذي كان عليه قبل الظهور، وإن أظهر العيان والوجود للمشاهدة فلا يتوهم الجاهل الخسيف الرأي المأفون العقل أن الإشارة في نفس هذه العبارة إلى الصورة البشرية فقط لكونها سميت بأنزع بطين، أوَ لم يعلم

أن هذا الاسم دلالةٌ على أن البشرية التي أظهرها ليس لها حقيقة بل إنما حقيقتها نورانية أنزعية من الصفات وإذا كان من صفى ورقى لا يعاينها إلا في البشرية فقط فأي فائدةٍ في صفاته؟ ومن أي شيء صفي والصافي إنما يصفى من البشرية إلى النورانية فكيف يجوز إنه من صفي وصار نوراً أن يرى باريه بشراً بصورةٍ أدنى من صورته ، معاذ الله.

ومع هذا فإن العوالم العلوية لا يتساويان بالنظر إليه بل كل يشاهد الذات كونه ويراها بما لا يراها من هو دونه وما كان من البشر فهو كذلك وأن أهل النور يفهمون عن برهم نُطقه وإرادته وأمره ونهيه كما يفهمون البشر عمّن هو مثلهم وعلى شاكلتهم وهيئتهم وأن البشر وإن رأوه نورانياً فإنهم لا يفهمون عن النور ولا استدلوا على معرفته بالنور إلا من الوجود البشري مما هو من تعاليم الموالي منهم السلام لكون الجنس لا يفهم عن خلاف جنسه فتلطّف بهم عطفاً عليهم لعلمه بضعفهم عن تحصيل معرفة من ليس من جنسهم فقرُب حينئذٍ من صفاتهم وذلك من حيث هم لا من حيث هو.

ومما رواه أبو الفتح محمد بن ابراهيم النعماني في قوله: فإننا إذا اضطررنا إلى تعبير الكلام في صفة الذات عبَّرنا الكلام من

حيث تناقصنا نحن لأن المحدّث لا يقدر على صفة القديم ولا يملك العبارة عنه لأن كثرة التكريرات التي بنا مضت زادتنا عجزاً في ضيق اللغة فلجأنا للعجز الذي فينا لاستعارة اللفظ دون المعاني لأننا إذا رمنا نفي الأسماء عن الأزل القديم عجزنا عن الدلالة عليه فوجب من حيث عجزنا أن لا نعرف إلا ما كان موجوداً ظاهراً، وحجبتنا ذنوبنا أن نعرف الباري إلا بوجوده فأوجدنا ذاته من حيث قوتنا وضعفنا وهو عزّ وجلّ لا يقع به زيادة ولا نقصان فثبت لهذا القول أن الباري تعالى ظاهرٌ موجودٌ للعيان كلٌّ يراه بحسب الإمكان فمنهم من يراه بالحقيقة وهي النورانية والربوبية ومنهم من يراه بالبشرية والنورانية وينزّهه عما رأى من التصوير، ومنهم من يراه بالبشرية فقط ويُنكر نورانيته، ومنهم من يراه مربوباً ولا يعتقد أنه ربٌّ ويُنكر وجوده مطلقاً وذلك لتفاوت المنازل في معرفته.

وقد برهن ذلك وأفصح عن إثبات الوجود المقدس المرحوم الشيخ محمود في رسالة تحفة الأخبار بقوله: وكثير في الموجودات يُرى في العيان ويلمس بحاسة اللمس ونجهل معرفته لعدم سبق العلم به وقد يكون من أنفس النفائس وإذا سئل عنه من قد رآه ولامسه فينكر رؤيته ويجحد ملامسته وذلك لجهله به وعدم

معرفته عنده وهذا مطرد عليه القول جميعاً ولا ينكره أحد، وترى العارف بذلك الشيء يجلّه إذا رآه ويعظمه لعلمه برتبته فهذا من أدلّ دليل على اسم الغيبة مع المشاهدة والوجود مع المباينة ولهذا قيل: غيبة موجودة فهي غير معدومة لأن الموجود هو المعاين المشاهد، ومعنى ذلك أن الغيبة ليست عن الأبصار بل عن الأفهام والأفكار كما قال تعالى: إنها لا تعنى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور، ولهذا قيل إنه ظاهرٌ لعارفيه حسب ما تقضيه قابلية كل هيئة لكل موجود لأن الحق تعالى واحدٌ متعددٌ بحسب تعدد الموجودات وهو بالحقيقة لا تعدد لذاته لأن الشيء الواحد إذا تعدد باعتبارات كثيرةٍ راجعةٍ إليه فهو واحدٌ غير متعدد في ذاته كما أن السيف له أسماء كثيرة وهو حقيقة واحدة وكذلك الخمرة أيضاً لها أسماء عديدة وهي ذات واحدةٌ، وهذه الأسماء والاعتبارات فهي صفات موجوداته وهو تعالى لا تعدد لذاته لأنه جزءٌ أصم وقولنا جزءٌ أصم ليس بمعنى أنه جزء من شيء بل إنما هو جزءٌ واحدٌ غير متقسّم ولا متبعّض ولا متجزّىء موجود لكل موجود بحسب استعداده وصفاء جوهريته تستحيل غيبته مع وجود موجوداته لأنه أوجد الموجودات فالكنّف لا يُطلق على ذاته إذ لو كنفها شيءٌ لكان يكون ذلك الشيء

محيط بها ومن المستحيل أن يحجبها شيءٌ أو يحيط بها أو تظهر بغيرها ولهذا قال تعالى: قل أي شيء أكبر شهادةً قل الله شهيدٌ بيني وبينكم. يعني مشهوداً مرئياً بيني وبينكم كما روي عن عبد الله بن العلا عن ادريس عن زيد بن طلحة قال: قلت لمولاي الصادق منه السلام: يا سيدي الله في كل مكان أو في مكان دون مكان؟ قال: بل في كل مكان. قلت: فهو في الجماد والنبات؟ قال: ليس هو فيه كالشيء في الشيء حلولاً ولا هو خارجاً منه كالشيء في مكانٍ دون مكان مبايناً. قلت: فمثِّل لي ذلك. قال: ضوء الشمس يطلع على الجيف ويُظلّ النطف، قلت نعم، قال: وكذلك هو، قلت: فظاهرٌ هو كضوء الشمس؟ قال: ضوء الشمس تراه الأبصار وتحويه؟ قلت لا.

قال: وكذلك هو. قلت: أفما تضرّه ملامسة؟ قال: أيضرّ الشمس طلوعها على الجِيَف؟ قلت: لا، ولذلك هو..

فإذا تبصّر في هذا الخبر ذو لبٍّ ثاقبٍ ورأيٍ صائب تسلّق منه على حيث الإشارة واقتنع عن تزيُّد العبارة مع أن الشمس من إحدى مصنوعاته لم تمنع نورها عن أحدٍ ولا أحدٌ من خلقه يحيط بها وهو مُنالٌ في ملاحظ جميع الأنام بل يتفاضلون به على قدر أنوار أبصارهم فمنهم سليمٌ ومنهم سقيمٌ ومنهم معدوم الضياء

بتاتاً ونور الشمس لا علةً فيه ولا محجوبٌ عن أحد.

ثم نرجع إلى بيان حيرة هذا الحيران وما استشهد به مما لا تقوم له به محجّة ولا تثبت له به حجة بعد أن أتى على ذكر فصولٍ من رسالة الشيخ الكبيرة ولم يعلم أن ما أتاه من ذلك دليل على هدم ما بناه وسطّره ورواه وبطلان ما اعتمده وعناه وما ذلك إلا لزيادة انتقاص عقله وانتقاض فضله وانخساف سبله لأن من علامات العاقل البصيرة كثرة إصابته في كلامه وقلة سقطه فيه وإدمان المحافظة على سرّ الله، ومن علامات الجاهل المغضوب هتك السِّتر المحجوب وإفشاء السر المكنون والتعاطي لما لا يكون وكثرة سقطه في لفظه وعدم إصابته فيه. وهذا الرجل فما أراه يبرم أمراً ليمكن به عُرا ما عقد عليه مراده إلا وألحمَه بشاهدٍ آخر يحل ما ابرم ويُخمِد ما أضرم، ومع هذا فلا يحوج العاقل العارف أن يأتي ببينةٍ على بطلان دعواه إلا مما سطّرته يداه وتفوّه به لسانه وتلاه، غنينا عن تكرار ذكر هذه الفصول طلباً للاختصار... ثم ذكر فصلاً من كتاب الأسوس يشدد به محالة وغيَّه وضلاله، وما علم أن في ذلك يُضيق مسراه ومجاله ثم لم يأتِ به كما رواه المؤلّف ولا أراد به مراد المصنِّف وبحسب الغيرة على إظهار الحق وردع الباطل التزمتُ بذكر هذا الفصل على

الوجه المختار حسب ما وقع به الاختيار وهو الوجه المتعرّي من الاكتراث والانغياب عن مسلك الفقهاء الأبرار والقادة الأطهار وهو هذا:

قال السائل للعالم بعد أن ذكر قدرة الأوصياء والأنبياء فقال له: اعطني من القُدَر ثلاث ادخل فيها إلى تعليمي الجاهل وفطنة العالِم وتزكية الفِطن لأكون أقدِر أن أعلم كل جاهل، قال العالِم: إن المعلم أبٌ وطبيب ومداوي ينبغي له أن يفطن ويضع دواه حيث يرى الداء وكيف يفطن الذكي وكيف يستجير الجاهل وكيف يُوهم الأحمق وكيف يغذّي الصبي وكيف يُخرِج الشك وكيف يُعذب المرار على القلوب المختلطة... ثم ضرب العالِم للسائل مثلاً، فقال: إن مثل من يعلم كمثل الشمس يراها الناس ولا يرون عملها تطلّ على كل الناس وينتفع بها الكل وهم لا يعرفون عملها بجريها وحرِّها فكل رجلٍ منهم قد انتفع بها في رؤيتها ولم ينتفع بها في عملها ومثلهم كنجاة الموت يعرفون بمجيء أرواحهم وذهابها ولا يعرفون من هي ولا كيف هي ولا إلى أي شيء تدلّك. وكذلك العالِم والجاهل... ثم قال: الأصل الأكبر القديم الأعلى الأعظم في كل شيءٍ وهو يختبر بعض تلامذته إنما الناس ثلاثة: عالِمٌ رباني ومتعلم طالب على سبيل

النجاة، ومقصِّر في النار. ثم قال: إن صورة الإنسان على صورته كما قال في الإنجيل وهو قول للملائكة تعالوا نخلق إنساناً على صورتنا وأمثالنا فإذا تبصّر في هذا متبصِّر علم أن صور الملائكة قبل نشأة صور الآدميين وإن وجود الباري تعالى معهم ولهم سابقٌ وجوده مع الآدميين وهو مستقيم الوجود لاستقامة الملائكة وتنزيههم عن الموت والفناء، فلما أظهر عالَم البشر على صور الملائكة التي هي على صورته وأراد أن يُظهر قدرته في الصورة التي هي على صورته وأظهرها في الجماد والموات يعني الصورة التي أظهرها لعالَم البشر بعد أن أظهر منها القدرة أظهرها في الجماد والموات دلالة على عدم بقاء الآدميين وأنهم هم أهل الفناء فكما دلّ ببقاء الصورة النورانية على بقاء الملائكة الموسومين بعالم البقاء فكذلك دلّ بالصورة البشرية على وجوده لهم ثم أظهر الغيبة تنبيهاً على عدم بقائهم وإعلاماً بفنائهم. ثم قال السائل: فأراد أن يشبِه الخلق؟ قال العالم: إنما وقع الشبه في الأجناس وليس هو من جنسهم يعني وإن ظهر مجانساً لهم في الرؤية ليس هو من جنسهم في الحقيقة. قال السائل: فإذا كانت صورهم على صورته ثم رآه من يجهله مع من هم على صورته أليس لا يدري أيّهم الرب من

العبد؟ قال العالِم: بلى ولكن الجوهر نوري مضيء وغيره لحميّ دمويّ فكيف يشبه الخلق إذا رأوه؟ قال السائل:

والصورة لها مصوّرٌ؟

قال العالِم: صورة لا مصوِّر لها، وصورة لها مصوِّر.

قال السائل: فالشيء له مُشيء؟

قال العالِم: فشيء له مشيء ، وشيء لا مُشيء له، وشيء يسمّى شيء، وشيء لا شيء يسمّى كما أن صورة لها مصوِّر، وصورة لا مصوِّر لها.

قال السائل: إن الصورة لها أجزاء لا يُشبه بعضها بعضاً.

قال العالِم: وكذلك الشيء له أجزاء لا يشبه بعضها بعضاً.

قال السائل: إن الصورة لها حدود وليس خلفها قُدامها ولا تُبصِر خلفها بما تبصر قدّامها.

قال العالِم: وكذلك الشيء له حدود وله قدام وله خلف وليس قدامه كخلفه.

قال السائل: فإن كان جسماً فله مُجسِّم؟

قال العالِم: إن كان شيئاً ظاهراً فله شيءٌ يُظهِره.

قال السائل: شيء لا صورة فيه؟

قال العالِم: جسم لا صورة فيه.

قال السائل: جسمٌ ذو عدد؟ قال العالِم: صورة ذات شخص.

قال السائل: شيء لا صفة له؟ قال العالم: جسمٌ لا صفة له.

قال السائل: يخرج من حدّ الأجسام إذ لم تكن له صفةٌ؟

قال العالم: يخرج من حد الأشياء إذ لم تكن له صفة.

قال السائل: فكيف يوصف؟ قال العالِم: جسم لا صفة له وجسم له صفة.

قال السائل: شيءٌ لا يشبهه شيء. وشيء يشبهه شيء؟

قال العالم: جسم يشبهه جسم، وجسمٌ لا يشبهه جسم.

قال السائل: شيءٌ لا جسم، وشيءٌ جسمٌ؟

قال العالم: جسم لا شيء، ولا شيء جسم. قال السائل: نفيت وجود الشيء.

قال العالم: نفيت وجود الجسم. قال السائل: لا بد أن يكون في مكان دون مكانٍ.

قال العالم: وكذلك الشيء لا بد أن يكون في مكان دون مكان.

قال السائل: فشيءٌ يحيط بالأشياء وشيءٌ لا يحيط بالأشياء؟

قال العالم: فشيء يحيط بالأشياء، ولا تحيط به الأشياء ، وشيءٌ محاطٌ به ولا يحيط بالأشياء، وجسمٌ لا يحيط بها.

قال السائل: فالشيء بالصورة يظهر؟ قال العالِم: الجسم بالصورة

يظهر.

قال السائل: الشيء عرَضٌ أم جوهر؟ قال العالِم: الجسم عرضٌ وجوهر.

قال السائل: العَرَض إنما هو حِدث. قال العالم: والشيء إنما هو حِدْث.

قال السائل: فشيءٌ يقوم بنفسه، وشيءٌ لا يقوم بنفسه؟

قال العالم: جسم يقوم بنفسه، وجسمٌ لا يقوم بنفسه.

قال السائل: الجسم مشتق من الولادة وأثر الصنعة؟

قال العالِم: والشيء مشتق من الولادة.

قال السائل: فما أقول لك شيء إلا قلت لي مثله، وما أجبتني بالجواب بالمكافأة بين الخصمين دليلٌ على أن المجيب انفرد من السائل.

قال السائل: فما الوجه في ذلك؟

قال العالِم: العلم من الله يرِد للخلق ومنه يسبق وعن أنبيائه يؤخَذ، لا تعجّباً ولا استكباراً ولا تقبيحاً فيما أتت به الأنمبياء ولا مستحسناً نبيٌّ على ربه ما لم يستحسنه واعلم أيها السائل أن الجسم شيءٌ والشيء جسم فلذلك تكافت فيه الأسماء والحجج ولو كان الشيء أثبت من الجسم لظهرت حجّتك ولو كان الشيء

أقوى من الجسم لم أضايقك طرفة عين.

فاسمع ما أقول لك واقبل ما أعرضه عليك فإن أقرب القلوب نصفة أولاها بالمعرفة، ثم إني أقول لك: قال الحكيم القديم: فإن في أول الأيام وآخر الزمان يكون ظهوره بعجائبه بالأنسبة والقدرة التامة... سألتني عن الجسم والشيء فالشيء يدخل فيه ضعفٌ من خمسة أوجهٍ ، يدخل فيه ضعفٌ أنه عرضٌ والعرض لا يقوم بنفسه وإنما يقوم بغيره، والحركة لا تقوم بنفسها وإنما تقوم بفاعلها وكذلك اللون والطعم والذوق كل ذلك لا يقوم بنفسه وإنما يقوم بغيره، والجسم يقوم بغيره / نسخة بنفسه/ وتحتاج هذه الأعراض إليه والأشياء كلها تحتاج إلى الجسم والجسم لا يحتاج إليها والشيء داخل في باب الجسم وليس الجسم داخل في باب الشيء، والصورة أقوى من الجسم، تفسير ذلك مما هو مسطور في كتاب حجة العارف عن الشيء والجسم فإنما ذلك حرف استفهام عن ماهيته في وجوده لجميع من أوجدهم وأنها لا تخلو الموجودات من هذين القسمين إذ لا ثالث لهما، وأحدهما الشيء فهو يعم جميع الموجودات وهو أعمّ من الجسم والجسم أخص وقوعاً على الموجودات. وكل جسم شيء وليس كل شيء جسم.

وقولـه: والشـيء داخل فـي بـاب الجسم فإنمـا عنـى بـه الأعراض التي تكون في الجسم وتحدث عنه مثل البياض والسواد والحمرة والصفرة والرائحة والحركة والسكون وما أشبه ذلك لكله يقع عليه اسم الشيء وهو داخل في باب الجسم والجسم هو ما كان له ثلاثة أبعاد وهي طول وعرض وعمق.

فأما قول العالم : هم جسم/ ليس يريد به ما ذكرنا من الأبعاد الثلاثة التي هي الطول والعرض والعمق تعالى الله عن التحديد. وإنما أراد بهذا تنزيهه وإخراجه عن حد الشيء الذي هو أنكر المنكرات وليدل عليه بما هو أخص لأن الشيء يقع على كل محسوس من جوهر وعرض وحدّ ورسم، ثم نفى عنه التحديد لأنه ليس بمحدثٍ فيناسب الأجناس المحدثة بالطول والعرض والعمق وإنما أراد إثبات الجوهر ونفي الصفة... ثم قال: والشيء جسم أراد به أنه شيءٌ تعاينه وهو الظهور الذي هو علامة الوجود لأنه قد أثبت ألف ولام بينك وبين مخاطبك وهي التعريف لأن كل ما لايثبت به أَلِفٌ ولامٌ بالمخاطبة فهو نكرة والاسم الذي ثيبت أنه جسمٌ أي في العيان والمنظر، وأما في الحقيقة فلا يجوز أن يقال له شيء وذلك نفياً للصفات وثبتاً للوجود ونفياً

للعدم..

ثم قال: فإن قال لنا قائل: فإذا نفيتم عنه اسم الشيء والجسم والعرض والجوهر فقد دخل هذا القول في باب العدم... فنقول: ليس هذا القول يلزمنا فيه حُجّة لأننا نعتقد في الصورة أنها دليل الوجود، وننفي عنها الصفات والأسماء والأعراض ونستدلّ بالقدرة فلهذا لا يلزمنا في هذا القول حجة ، والشيء هو المثال، والجسم هو الصورة... إلى قوله: فلذلك تكافت الأسماء والحجج، فالأسماء هي الأمثلة، والحجج هي الصور، ثم بيَّن ذلك بقوله: ولو كان الشيء أثبت من الجسم لظهرت حجتك... ثم قال: والشيء فيه ضعفٌ من خمسة أوجهٍ لأنه عرضٌ والعرض لا يقوم بنفسه، والحركة لا تقوم بنفسها وكذلك اللون والطعمّ والمذاق كل ذلك لا يقوم بنفسه وإنما يقوم بغيره والجسم يقوم بنفسه وتحتاج هذه الأعراض إليه. والأشياء كلها تحتاج إلى الجسم، والجسم لا يحتاج إليها.

وقد تقدم القول أن الشيء هو المثال وهو الذي يُظهر الموت في أعين الممزوجين ألا ترى أن الناطق هو الجسم، والصمت هو المثال وهو الشيء فإذا ظهر الناطق عند الموت بطل الشيء فالذي يُرى على المغتسل هو الشيء وهو الصامت وتقوم

الصورة وهي الجسم الذي يدعى وصيّ الإمام بعد الإمام، بيان ذلك أن جعفر الصادق منه السلام هو الناطق والصامت هو المثال وهو موسى والذي تراه على المغتسل هو المثال والذي يقوم بالأمر هو الناطق فمن هذه الجهة أُطلِق عليه أنه شيء وهو المثال، والشيء عرضٌ داخل في أعين الممزوجين وهذا بيِّنٌ جداً. وأما قوله: لا يقوم بنفسه يعني العرض، وهذا مما لا يُدفَع أن الأعراض لا تقوم بنفسها، ألا ترى صفرة الوجَل وحمرة الخجل لا بد لها من جسمٍ تظهر فيه وكذلك البياض والسواد والحركة والسكون، ومراده بذلك أن الموت لا يقع إلا بالمثال الذي هو عرض في أعين الممزوجين.

ثم قال العالِم: فإن قلت شيء لا جسمٌ فهو ضعيف لأن الشيء الجسماني أقوى فإن الجسم دالٌّ على قويّ لا ضعيفٍ، والصورة أقوى من الجسم أراد بذلك أن الشيء الذي هو العرض إذا ظهر من غير جسمٍ فهو ضعيفٌ، وإذا ظهر بالجسم فهو أثبت... وقوله: والصورة أقوى من الجسم، أراد أن الصورة التي هي الناطق أقوى من الجسم الذي هو الصامت...

ثم قال السائل، بعد كلامٍ طويل: أيجوز أن يكون الباري متجسِّماً كجسم الخلق؟ قال العالِم: لا، وكيف يجوز ولكل واحدٍ منهم

عقيب واجتماع في المواضع وافتراق في الحواس وإن الخالق لا يُدرَك شمَّاً فيكون رائحة ولا يُدرك بالأذن فيكون صوتاً ولا يُدرك بالذوق فيكون طعماً ولا يُدرك باللمس فيكون خشونة أو ليناً، فهذه حدود الأجسام المخلوقة المتجاوزة في الأمكنة المختلفة بالحواس.

قال السائل: فإذا أخرجت الخالق من هذا الحدّ فقد أخرجته من حدود الأجسام ومن حدود الأعراض وذلك أن الأعراض تُدرَك بهذه الأربع جهات.

قال العالِم: إنه ليس يحتاج أن يخرج وليس بخارج من حدّ الأجسام وهو خارج عن حد الأعراض لأنه يُحَدّ بغير هذه الحدود وهو حدٌّ لا في حد لأن الخالق ليس هو طعماً ولا لوناً ولا رائحةً ولا صوتاً ولكنه جسمٌ آخر منفردٌ خامسٌ بالوحدانية القديمة الأزلية يُدرَك بالعيان... شرح ذلك إنه ليس بخارج من حدّ الأجسام في الظهور والوجود بل في الجوهر والكيفية..

ثم قال: وهو خارج عن حد الأعراض وذلك أصوب لأن الأعراض لا تقوم بنفسها ولا تكون إلا بمستقر... ثم قال: لأنه يُحدّ بغير هذه الحدود، يعني بغير حدود الأعراض، بل يُدرك بحدود الأجسام بالنظر، وينفيها عنه بإظهار القدرة لإثبات حدود

القِدم... ثم قال: وذلك أن الخالق ليس هو طعماً ولا لوناً ولا رائحةً ولا صوتاً، نفى أن يظهر بالأعراض... ثم استدرك وقال: لكنه جسمٌ آخر منفردٌ خامس بالوحدانية، فقوله: منفرد يعني مباين الأجسام وقوله / خامس بالوحدانية/ يعني خارج عن حد الطبيعة وأجسامها المركّبة مباين للعناصر الأربعة... ثم بالوحدانية، دلّ بأنه أقدم من الطبيعة التي تُظهِر المركبات الأرضية والمكونات الطينية، قديم بالصورة النورانية القديمة الأزلية بظهوره لعالَم النور البسيط، ومعنى البسيط هو الخارج عن تركيب الطبائع الأربع...

ثم قال: /يُدرك بالعيان/ أراد به الظهور وأنه يُرى عياناً بنظر العين ليس بالإحاطة والإدراك لأن القديم لا يدركه المحدّث فقد أثبت له الظهور ووصفه بالقدم وأفرده عن الحِدث، وقوله /موجود بالعيان/ يعني به الظهور الذي هو دليل الوجود... ثم قال بعد كلام طويل فهذه هيئته بالتوحيد في الربوبية وإنما يجب له ذلك بصفة الكمال عن صفة العجز، فصفة الكمال هي النورانية الخارجة عن حد الطبائع الأربع والأجسام المركبة فهي الهيئة التي يجب له التوحيد بها بالربوبية، وصفة العجز هي الهيئة التي أظهرها كصورة الإنسان

العاجز وقد عبّر فريق من أهل التوحيد على أن صفة الكمال هي الشبوبية العظمى، وصفة العجز هي إظهاره الطفولية والشيخوخة ذلك في الوجود النوري، وأما في الوجود الظلي فصفة الكمال هو إظهاره القدرة والمعجز، وصفة العجز هو إظهاره الضعف والغلبة والفقر... ثم قال: وذلك من له عينان ليس كمن له فرد عين، ومن ليس له عين ليس كمن له عينان، دليل على من أقرّ بالوجودين النوراني والبشري ليس هو كمن أقرّ بوجودٍ وأنكر وجوداً، فمن أقر بالوجودين فهو كمن له عينان ومن أقرّ بوجودٍ واحد فهو كمن له عينٌ واحدةٌ ومن أنكر الوجودين فهو كمن عدم العينين... ثم قال: فكذلك فضّل من يوصف بالكمال على من يوصف بالعجز تنبيهاً على أن الإقرار بالصورة النورانية التي هي صفة الكمال أعظم وأفضل وأشرف. وأيضاً من أقرد واعترف له بالقدرة في الوجودين أفضل ممن نسب عليه العجز... ثم قال / وأما الجسم الخامس يعني الصورة البشرية فهو جسم النقلة يعني لا بد لمظهره من إظهار النقلة عند الغيبة بالموت وهو ذو جهاتٍ أربع يحسبه من رآه مخلوقاً حتى يظهر الجهة الواحدة الناطقة الفاخرة السامية يعني من يراه بالصورة البشرية يحسبه مخلوقاً حتى يُظهر النطق والقدرة السامية والأفعال

الربانية فحينئذٍ يعلم أنه جهة واحدة لا يشبهه صفةٌ ولا جسم ولا هيئة.

ثم قال العالِم للسائل: خذ ما أعطيتك بشكرٍ فقد فصلتُ لك الخالق من المخلوق والرب من المربوب تفصيلاً واضحاً... ثم قال بعد كلامٍ طويل إن الله أراد أن ينتقل والإرادة محدّثة يعني أراد الظهور، وأما إرادة الباري فمعاذ الله أن تكون محدّثة بل هي قديمة بالاستطاعة بل إنما أراد أن يظهر للتعريف والفعل وليس إرادته كإرادة المخلوقين تُبدي لهم حال لا، وحال نعم وذلك أنه تعالى لا يدخل عليه العَرض فينتقل من حال إرادة إلى غير حال إرادة وإنما عنى بذلك الظهور والوجود لا غير... ثم انتقل بعد الإرادة إلى الموضع الذي أراد، والموضع هو الحجاب الذي يظهر فيه... ثم قال وإنما انتقل الجوهر بالصفة فهو بالصفة في الموضع وهو بالصفة منتقل وهذا علمٌ يبعد علمه على مستمعيه إلا بعد غوص فكرٍ... معنى قوله إنما انتقل الجوهر بالصفة يعني القدرة ظهرت بالصورة فبدا للمخلوقات ما يعجزون عنه... وقوله: وهو بالصفة في الموضع نفى عنه الانتقال من حالٍ إلى حالٍ لأن حدَّ الانتقال هو ما أخلى حيّزاً وأشغل مثله فنفى هذه النقلة أن يشغل حيّزاً أو يخلي غيره، ودليل ذلك أنه لما ظهر

للبشر لم يغب عن أهل النور ولا أخلى السماء من وجوده لهم بل يظهر لأهل السماء على صفاتهم ولأهل الأرض على صفاتهم ولم يتغير بالظهور من حالٍ إلى حال لأن انتقاله ليس بعرضٍ فيغيّره بل هو بالصفة منتقل يعني باختلاف الصورة واتفاق القُدر لإثبات الوجود ونفي العدم، ثم أثبت القدرة التي تجري على يد الأملاك الأربعة بأنها للباري تعالى وأنه إذا أراد أمراً لإظهار قدرةٍ فيتصور على صورة ذلك الملك ويُجري ما أراد أن يجريه فتكون القدرة للقادر والشرف للملك والناس لا يعلمون إلا أنها للملك فيسمى الملك عند ذلك حجاباً...

ثم قال السائل: أفلله حجبٌ غير هؤلاء الملائكة؟

قال العالِم: نعم لله حجبٌ لنفسه خاصةً من نور، في كل سماء حجاب يكون في ذلك الحجاب ساعتين فينتقل من سماء إلى سماء...

قال السائل: أخبرني عن هذه الحجب بأي صورة هي؟

قال العالِم: نور يتلألأ فهذا من أدل دليل على وجوده بالنورانية لأهل المراتب السبع العلوية التي هي السماوات السبع.

ثم قال السائل: أفلله حجبٌ غير هذه؟

قال العالِم: نعم ظهوره بالأوصياء ونزول القدرة بالأنبياء، إشارة

العالم بهذا القول إلى وجوده للبشر كما أشار أولاً إلى وجوده لأهل النور..

قال السائل: ما علامة ذلك؟ يعني ما علامة ظهوره بالأوصياء ، ولأي شيءٍ نعرفه ونستدل عليه إذا كنا نراه بصفات البشر؟

قال العالم: علامة ذلك نطقهم بالغيب وإحياؤهم الموتى وتغييرهم الشيء عن كيانه وهيئته فذلك للرب لا للعبد.

قال السائل: ولم ذلك؟ يعني لِمَ لا يظهر ظهوراً واحداً لأهل السماء والأرض؟

قال العالم: ليُنصف أهل الأرض كما أنصف أهل السماء وليعرفه أهل الأرض كما عرفه أهل السماء، والمعنى في ذلك إنما ظهر الباري تعالى في البشرية إلا لينصف أهل الأرض لعلمه فيهم أنهم لا يفهمون عن الصورة النورانية التي شاكلت عالم النور بالرؤية والمنظر فتلطف لهم بلطف ذواتهم ليفهموا ولولا ذلك لم يكن دل، ولهذا قال داوود النبي عليه السلام للجبال والأشجار تصففن وسجّن للرب الذي يجيء بالعلم والقدرة ليدبّر أهل الأرض ويقضي للعباد بالقسط وللشعوب بالعدل، وكذل قوله: ظهر الله في جماعة الملائكة.

قال السائل: فأهل الأرض يعرفون هذه الأسماء والقدرة والحجب

يعني هل يعرفون أهل الأرض هذه الأسماء والقدر والحجب التي أظهرها في النورانية والبشرية؟

قال العالِم: نعم معرفتها على العلماء يؤدونها إلى الجهلاء لأن العالِم رباني أما رأيت المعلم كيف يعلّم صبيانه فيرفعهم من درجة إلى درجة أخرى وهو لا يخبرهم بما عنده حتى يستحقول ذلك فأثبت للعالَم معرفة هذه الحجب النورية والبشرية وأنه لا يمكن الوصول لشخص إلى معرفة ذلك غير بالتدريج فهو يبدأ به أولاً لمعرفة الأقرب وهو الظهور بالحجب البشرية فإذا حصل من الطالب القبول الكلي رقى به العالِم إلى معرفة الحجب النورية، وإن ضعف عن حمل ذلك فلا يكلّفه وإنما يوقفه عند وقوف فهمه.

ثم قال العالِم، بعد كلامٍ طويل: فلا بد للآمر والناهي من أن يُفهم خلقه أمره ونهيه ولا بد أن يتهيأ كهيئاتهم ليفهموا عنه.

قال السائل: فكيف لا يكلّمهم بالربوبية التي ليس فيها هيئة ولا صورة؟

قال العالم: وقد رأينا صوراً كثيرةً لا يفهم بعضها عن بعض فلا يُفهم الشيء عن خلاف جنسه وهو بخلاف الأشياء كلها فكيف يفهمون عنه الأمر والنهي؟

قال السائل : بقدرته.

قال العالم: إن قدرته أزلية فكيف يفهم عنها المحدث، والمحدَث لا يعبّر عن المحدَث إلا إذا كان مثل جنسه، وإذا كان مبايناً لجنسه فلا يفهم عنه لأن العربي لا يفهم عن العجمي، والعجمي لا يفهم عن الرومي، والرومي لا يفهم عن البربري، وهذا إنما هو اختلاف الأجناس لاختلاف الصور، والقديم لا يفهم عن المحدّث فاقتضى وجوب الوجود لكل ذي جنسٍ وليخاطب كل ذي لغةٍ لغته وأنه لا بد من هيئةٍ مثل جنس خلقه يكلّمهم منها ليفهموا عنه أمره ونهيه.

قال السائل: أهو يظهر كأنه خلقه أم يخلق خلقاً يستتر به فيتكلم منه؟

قال العالِم: هذا مما لا يمكن أن يحوِّل نفسه عن هيئته ولكنه يخلق خلقاً فيحتجب به ويتكلم منه، دلّ بهذا القول أن الظهور حِدْث بنسبته إلى القدم وقد قال الشيخ الخصيب / إذا كانت الغيبة قدم فالظهور هو كله حِدث إلا ظهوره بالأنزعية فقط فإن فيها ظهر الرب في القِدم.

ثم قال السائل: ومن ذلك خلق صورةً واحدةً أم صوراً كثيرة؟

قال العالِم: إن الله خلق من كلامه صورة ومن روحه صورة ومن

نوره صورة ومن إرادته صورة ومن علمه صورة ومن قدرته صورة ومن قضائه صورة ثم خلق اثنتي عشرة صورةً نوريةً على عدد الأشهر الإثنعشرية ثم خلق صورةً بيده وخاطب خلقه منها، وهذا قولٌ بيّن جداً في معرفة الصورة النورانية والشجرة الذاتية الوسطى ذات الفروع الإثني عشرية في كل عامٍ على عدد الأئمة السامية.

ثم قال السائل: فكيف صارت له صورة؟

قال العالِم: لحاجة المخلوقين إليها كحاجتهم إلى الكلام لأنه لا كلام إلا من صورة فأتاهم من حيث يعرفون وهذا قولٌ مفهوم لا يحتاج إلى شرح.

ثم قال السائل: فكيف طوَّل على العباد ولم يُنادهم من موضعٍ واحدٍ بلا تفريق يعني لِمَ لا يظهر ظهوراً واحداً في موضع واحد لا اختلاف فيه ولا غيبة له؟

قال العالم: فإذا كانت صفة القدرة للقادر، فعلى الناس أن يجيبوها من حيث جاءت ويصدقوها من حيث ظهرت وإن اختلفت الصور فلم تختلف القُدر وإنما يُعبد صاحب القدرة الذي له هذه الأشخاص المختلفة بالرؤية والمنظر وذلك لاختلاف مراتب السالكين إليه ولو أن كامل مخلوقاته في مقامٍ واحدٍ ورتبةٍ واحدةٍ

بالقوة والاستعداد لجزاهم ظهوراً واحداً من غير تغيير ولا تبديل وهو الظهور النوري ولكن علمه سابق بعجز الجنس عن معرفة خلافه، تراءى لكل جنس على حسب طاقته وقوة لطافته واستعداده، ما كان نوراً فهو نورٌ، وما كان بشراً فبشرٌ، ولقد عجبت من اعتقاد هذا الهائم المغرور وتأوله أن جميع الظهورات بالصور المختلفة والأشخاص المنتقلة كلها في البشرية دون النورانية على حسب قياس عقله ولم يتفكر في أسرار هذه الأقاويل السنية التي وردت عن الموالي منهم السلام بالحث على معرفة الوجودين النوري والبشري. ولقد مر في صدر هذا الكتاب من الشواهد ما به هُدىً ونورٌ وشفاءٌ لما في الصدور لا سيما هذا الشاهد المشهور من كتاب الأسوس وقد سبق القول به في هذا الكتاب وهو قوله عن الحق تعالى: وذلك أن الملائكة سمعت منه كلاماً ورأت له نفساً ورأت له روحاً وشاهدت له قدرةً وشاهدت منه ما شاهدت من أنفسها فلم تعرف أنه ربها بالنطق والنفس والذات، ثم أن الله عزّ وجلّ أظهر لنفسه أشخاصاً كهيئة الملائكة النورانيين بصور مختلفة، بصورة الشيخ الكبير الأبيض الرأس واللحية وهو ما وصفه دانيال حين رأى قديم الأيام على كرسيٍّ من نور وحوله الملائكة

وهو على صورة الشيخ الكبير الأبيض الرأس واللحية وذلك بالوقار والرحمة والهيبة يتلطف بالملائكة ثم نظرتُ إليه فرأيته كهيئة الشاب راكباً على أسدٍ، مفتول السبال وذلك بهيئة الغضب ثم أراهم قدرته بالتربية والغذاء بصورة الطفل الصغير وأوراهم كيف يُغذّى وكيف يُفطم فعلمت الملائكة ذلك كله ثم رأت الملائكة من الشيخ قدرةً وعلماً ومن الشاب قدرةً وعلماً ومن الطفل قدرة وعلماً ومن الجوهر القديم قدرةً وعلماً فاختلفت عليهم الصور ولم تختلف عليهم القدر فذلك الذي دلّت عليه الملائكة أنه شيءٌ واحد يعني بظهور القدر من تلك الصور الثلاث وعدم اختلافها استدلت الملائكة على أنه ، وإن أظهر صوراً مختلفةً في أعين الناظرين فهو واحد لا يتغير ولا يتبدل إنما التغيير والتبديل من قبل قوابل الناظرين إليه، فجعلت الملائكة هذه الأسماء والنسبة للرب بما رأت منه ومن قدرته وعلمه ثم إن الله تعالى خلق آدم على صورة الملائكة وأخذ عليه الميثاق بالصورة التي عرضها على الملائكة وأظهر لهم منها القدرة والعلم.

أما يتنبّه الجاهل العميّ بهذا اللفظ السني والشرح الجلي ويعلم أن هذه الثلاث التي أظهره الباري لأهل السماء وعرضها على الملائكة النورانيين وأظهر لهم القدرة والعلم أنها كانت قبل نشأة

آدم أبو البشر، من قوله: ثم خلق آدم على صورة الملائكة وأخذ عليه الميثاق بالصورة التي عرضها على الملائكة يعني أخذ الميثاق على آدم أبو البشر بالإقرار بالصور المذكورة كما أخذه على الملائكة سابقاً، ثم قال: وخلق آدم من التراب على الطبائع الأربع وذلك أن الصورة التي شاهدتها الملائكة النورانيون أربع صور: صورة الشيخ وصورة الشاب والقدرة والمشيئة، فخلق على مثال كل واحدةٍ من هذه الصور طبيعةً وهو الواحد الخالق الذي لا تشتت فيه ولا تفريق فشاهدته الأربع طبائع على مثالها وهو بجوهره الواحد الذي ظهر في هذه الأشخاص الأربعة لم يتغير فهذه معرفة الأشخاص في السماء فكيف يزعم هذا المُرتطِم في ورطة الغفلة أن ليس للباري ظهور ولا وجود إلا في البشرية فقط، وانتقل في ذلك من عهد آدم إلى ظهور الحجة، وبعد غيبة الحجة امتنع الظهور والوجود إلى حين قيامته... أما يفقه ويرى كيف الكتب نطقت بها الأنبياء والمرسلين تعبيراً على وجود النور المبين، فمن ذلك قوله تعالى وهو أصدق القائلين: وهل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين، إذ دخلوا عليه ففزع منهم قالوا لا تخف وبشّروه بغلامٍ عليمٍ... قال العالم: إنه دخل ثلاثة نفرٍ على ابراهيم في هيئةٍ واحدةٍ ولسانٍ واحدٍ ومثلٍ واحد ، حتى ظن

ابراهيم أنهم ملائكة فاتخذ لهم طعاماً ولما تبيّن له أمرهم ذكر الميثاق الأول الذي أُخذ عليه بالنور بالصور الثلاث قبل ظهوره بالبشرية فلما ذكر الميثاق آمن بالديّان وحده لعلمه بأن الجوهر واحدٌ لا يتغير، فاكتفى بمعرفة الأحد السرمديّ الذي ظهر بثلاثة أشخاص وبشَّر بها ولده ودلّ عليها ثم جاءت الأنبياء من وُلده كلهم يطلبون معرفة تلك الأشخاص الناطقة والحقيقة الواثقة التي أخذ عليها الميثاق بها اتّباعاً للملة الإبراهيمية وفي ذلك يقول الله تعالى: ومن يرغب عن ملة ابراهيم إلا من سفِهَ نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين، إذ قال له ربه أسلِم قال أسلمت لرب العالمين ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بنيَّ إن الله اصطفى لكم الدِّين فلا تموتنّ إلا وأنتم مسلمون. وقال تعالى تذكيراً بالعهد والميثاق الأول: واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به. وهو الميثاق الأول الذي أُخذ على الخلق في النورانية بالإقرار للنور المتجلي للملائكة الكرام بالصور الثلاث وإن رأوه في وقتهم بالبشرية ظاهراً معهم فهو ذلك النور الأول. وقال تعالى حثاً على العبادة والإقرار لذلك النور / أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك ابراهيم واسماعيل

واسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون يعني العهد والميثاق الذي أُخذ على ابراهيم بالإقرار أوصى به بنيه فلما وصل إلى يعقوب سأل بنيه عنه بقوله: ما تعبدون من بعدي قالوا إلهك وإله آبائك يعني مستقيمين على عبادة الرب الذي أحذ الميثاق على آبائك بمعرفته وعبادته، وإنما سألهم يعقوب عن ذلك ليعلم ما عندهم من الإثبات على الميثاق المأخوذ على جملة النبيين وأن يبينوه ولا يكتمونه عن الناس الذين أنسوا إليه وأما النبيين فغير محتاجين أن يؤخذ عليهم ميثاق أو عهد وإنما هذا القول تنبيهاً لنا على الاستقامة بما عاهدنا عليه من الإقرار الأول في النداء الأول بأن نبقى على إقرارانا بالنورانية عند إظهاره لنا بالأشخاص البشرية وأن نعترف أنه هو من غير ظنٍّ ولا وهمٍ، والشاهد بذلك قوله تعالى: وعلّم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسمائي هؤلاء إن كنتم صادقين وآدم في هذا الموضع فهو الحجاب الذي احتجب به لما أهبطهم إلى الأرض، والأسماء ههنا هي ظهوراته بالنورانية التي علّمها لآدم وعرضها على الملائكة فقالوا لا علمَ لنا إلا ما علّمتنا إنك أنت العليم الحكيم فأظهر لهم القدرة والعلم من تلك الأسماء والمظاهر التي عرضها عليهم فاختلفت عليهم الصور ولم تختلف عليهم القدر،

كما مرّ القول سابقاً فأقروا لـه واعترفوا أنـهم ربـهم وباريـهم وهو قولـه تعالـى: يـا آدم أنبئـهم بأسمائـهم، وهـو إظـهاره العلـم والقدرة التي استدلوا بها على معرفته، فلما أنبأهم بأسمائهم، يعني دلّهم بـالعلم والقدرة عليـه، قال لـهم ألـم أقل إنـي أعلـم غيـب السموات والأرض وأعلـم مـا تبدون ومـا كنتـم تكتمـون، فلمـا أظـهر الخلـق بالبشـرية وظـهر لـهم بالحجـاب البشـري ودعـاهم إلـى معرفتـه والإقـرار بمـا سلف مـن ظهـوره بالنورانيـة فبعضٌ عـرف وأقـرّ، وبعضٌ جحد وأنكر علـى علمٍ منـه بطريق الإقرار والمعرفة وهو قوله تعالى: وأضلّه الله علمٍ منه بطريق الهدايـة وإنما اضلـه بعد أن استحق الضـلالة فأبلسـه المـزاج والكدر الـذي فيـه، ولجحده علـى علمٍ منـه استحال مزاجـه فصار إبليـس مـع المـؤمنين وأمـا المؤمنـون فقد أمنـوا مـن الاستحالـة ولكنـهم مـع زيـادة المعرفـة والإقرار والعمل الصالح تستحيل ظلمتهم فتصير نـوراً ثـم يرجعـون إلـى الصـفا والمحـل الأول لأن النفـس الجاهلـة كـردة، والعالمـة شـفافة مضيئة، فـالمؤمنون يرقـون إلـى عـالم الصـفا وهـو عـالـم العقل ومحلهما الأول، والكافرون يردون فـي المكبوبـات ويمزقـون فـي القشـاش وفـي الـدردور خالـدين، والـدليل علـى ذلـك قولـه تعالى: /للملائكة/ إني جاعلٌ في الأرض خليفةً قالوا أتجعل فيها

من يفسد فيها ويسفِك الدماء ونحن نسبّح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون. وذلك أنهم انوا روحانيين لا يأكلون ولا يشربون ذوي أجسام شفافة فداخلهم العجب لذلك وقالوا في أنفسهم هل خلق الله خلقاً أكرم وأشرف منا فكان هذا أول ذنبٍ أذنبوه فخلق من ذلك الذنب إبليس ضداً لهم، فأوصاهم الحق تعالى أن لا يخبّروه من أي شيء خُلق فافتخر عليهم وتكبّر فقالوا له كيف تفتخر علينا وأنت مخلوق من ذنوبنا؟ فقال لهم الحق تعالى: خالفتموني وأخبرتموه فكان هذا ذنباً ثانياً وقال لهم: إني خلقت من ذنوبكم هذه الدار السفلية وأريد أن أُهبطكم إليها وهو قوله تعالى: / إني جاعلٌ في الأرض خليفة/ فردوا عليه بقولهم: / أتجعل فيها من يُفسد فيها ويسفك الدماء/ دلالةً على تجردهم عن عالم الأجسام وأنهم لا يفسدون ولا يسفكون دماً، وإن ذلك لا يكون إلا في البشرية فقد نزّهوا أنفسهم عن ذلك وزكّوها بالتسبيح والتقديس بقولهم / ونحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك/ فأجابهم الحق تعالى على وجه التجهيل وعدم الاطلاع على علم الغيب بقوله / إني أعلم ما لا تعلمون/ وقد استحقيتهم الهبوط بردكم على قولي، وقد أذنت لكم بالهبوط إلى الأرض فقالوا وقد داخلهم ضعف اليقين: قوموا بنا نجتمع إلى

برنا ونسأله أن لا ينزلنا إلى الأرض وأن يبقينا في السماء نشاهده ونعبده، أما في نفس هذا الخطاب بطلان اعتقاد من يعتقد أن الباري لا يُرى في النورانية وكيف لا وهم يخاطبونه شفاهاً ويشاهدونه موجوداً حاضراً ويرونه عياناً وإنما استحقوا الهبوط لاتهامهم باريهم بفعل غير الواجب بقولهم: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء، فنسبهم للعصيان بقوله لهم: عصيتموني بردكم عليّ قولي فلو أنكمقلتم إلهنا لك المشيئة والعلم والقدرة والإرادة في الفعل تفعل ما تشاء، قد كنت أشكر ذلك من فعلكم وهذا كله خطابٌ لمعاين مواجه، ثم قال لهم: لقد استوجبتم الهبوط إلى الأرض وإني أخلق لكم الأبدان الطينية اللحمية الدموية وسأحتجب في ما أخلق لكم فمن عرفني هنا عرفني هناك ومن ،نكرني ههنا أنكرني هناك، فقالوا لما رأوا الأمر حتماً لازماً وقضاءً جازماً ربنا إذا خلقت لنا أجساماً وحجبتنا بها وظهرت لنا في صورةٍ كصفاتنا عرفناك ووحدناك ولا نعصيك، فكان قوله تعالى أمراً منه بالهبوط: اهبطوا مصراً، ثم وعد تابعي الهدى الآتي منه بالأمان من الخوف والأحزان بقوله تعالى: فإما يأتينكم مني هدىً فمن تبع هداي فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون، يعني من ثبت على الإقرار الأول ثم تابع الهدى

بالظهور الآتي كمثل المثال المضروب من الحمأ المسنون/ وهو الطين المعروك/ الذي امتحن سائر العالم بالسجود له فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون، فأي بيانٍ أبين وأجلى وأكشف من هذا البيان لمن كشف الله عن قلبه الران وأشرق عليه نور الإيمان، وأما ذو العماية والحرمان فلربما ذهنه لا يتصور ذلك ولقصر علمه وكلال فهمه ونقص الحظ والقساوة والغلظ فلا يتضح له وجه الحقيقة ولا يسهل له سلوك الطريقة ولزيادة العناد والعمى عن الرشاد يزري على المحقين ويزدهي بقدر المؤمنين العارفين مفتخراً بذلك عند من يناسبه بالقصور عن الاستضاء بضياء النور، وما علِم أنه يُنسب بفعله هذا إلى سوء الفهم وانحطاط الرتبة في العلم ويستحق الرفض والشمّ لجحوده الحق وإدخاله في حيّز العدم، ولنذكر في معنى إثبات الوجود هذا الفصل من كتاب الأصيغر وفيه زيادة إرشاد وهداية وهو قوله: ولنرجع إلى مبادىء ما بدأنا به أولاً فنقول ما نُرغم به هذا الجهول: فإنك إذا قلت الصورة المرئية أليس قد أثبتت رؤيتها وأوقعتها تحت حس البصر وأشركتها بالمحسوسات والمرئيات، ثم تقول بعد ذلك لا حقيقة لها بل تخييلاً في أعين الناظرين فأنت بزعمك وجدت ثم نفيت بقصدك واختيارك بغير علمٍ ولا مطابقة معنى نسبت إليه

فلو تفطنت لما تقول أنت وأصحابك لكذبت نفسك وكذبوك أصحابك على جحدك وجهالتك وكيف أوقعت تحت حس البصر ما لا حقيقة له ولا موجود، فإذا طولب بما تشير إليه من الصورة المرئية وحقيقة معرفتها ونسبتها جعلت لها قبائلاً ونسباً وبيتاً ومسجداً يحويها وهي ذات صورة فلو عنّفوك الصبيان الذين في المكتب لسخروا من عقلك وخجلت منهم واستحيت من قولك وقد تقرر لك بما سبق من ذكر الموالي الناسوت واللاهوت، فلم تتدبر ما سمعت بل أعرضت عن الكلام ومررت به صفحاً وقد قال أبو سعيد في خطبته: ظهر لخلقه كخلقه مجانساً، وتقرب إليهم برأفته ورحمته مؤانساً، شاكلهم بالأجناس والصور وباينهم في الحقيقة والجوهر، وقوله / باطن ظاهر/ وقوله / صموتٌ نطوقٌ/ وقوله / غائب حاضر/ فأنت جحدت وأوثقت بحجتك معرفة الصورة المرئية فلقد سميتها مرئية وأنت ما رأيتها ولا عاينتها ولا حضرت زمان الظهور ولا شاهدت الغيبة والحضور فكيف تشهد بما لا تعلم صحته ولا حققت رؤيته ، والله تعالى يقول: ولا تقولوا على الله إلا الحق. وقال تعالى: ولا تقف ما ليس لك به علمٌ. وقال تعالى: وما شهدنا إلا بما علمنا. وقال مولانا أمير المؤمنين: من مال إلى ظاهرنا وترك باطننا سلبه الله ولا يتبنا.

فلو انتبهت من رقدتك وصحوت من سكرتك، وعنّفت نفسك عن جهالتك واتبعت الحق لكنت تعلم أن الذي شهدت به وذكرته وحققت معرفته بزعمك، وفي الأرض حصرته وجزّأته وأجريت عليه ما يجري على عالم الكون والفساد وأخليت نظرك من السماء وعالم العقل ومن أحاط بكل شيء قوةً وقدرةً وسلطاناً وعظمةً وكبرياء وجلالة ومهابة الذي لا يخلو منه مكان ولا يحصره زمان ولا يحيط به أوان بل هو محيط بالكل وهو في عالم العقل وعالم الغيب وعالم النور وعالم الشهادة وعالم البشر بكونٍ واحدٍ لا يحول عن كيانه وإن ظهر لعيانه، ظهوره قدرةً ورحمةً، وبطونه عظمة ومنّة لم يغب عن أرضه بمشاهدة سمائه ولا عن سمائه بمشاهدة أرضه، ولم يغب عمن عرفه ولا تختلف رؤيته على من وحّده فكيف يسوغ لمن شهد له أنه موجودٌ ومنزّه وعنده من الجهالة والضلالة ما أن يجعله لا يُعرف إلا بمقارنة الصورة البشرية، أتُرى هذا البائس المسكين يعبد الصورة والمثال والجسم القائم بوجود هذه الجملة وهذا هو الضلال واعتقاد الجهّال وأهل الزيغ والاختلال الذين يتكلمون بذات الله بغير علمٍ.

ثم قال في فصلٍ آخر، أليس خطر ببالك عند ذكر السيد قدّسه الله وأنت تقول حضرة تاج العلا وقبلة الهدى والطريق إلى الملأ

الأعلى أليس هذا تعليم وتفهيم وتنبيه لذي رشدٍ أن يفهم الإشارة إلى الملأ الأعلى الذي هو الهداية لمن اهتدى وبعلم الموالي اقتدى. ثم قال في فصلٍ آخر من هذا الكتاب الموسوم بالأصيغر: إن معرفة الإله تعالى بصورةٍ يحملها تخطيط فيكون الإنسان بمجرد الشهادة قد أحاط بالإله وحصره وميّزه وحدّه وعدّه وأثبت وجوده وعيانه وأفرده عن العقل وأفرد العقل عن النفس وهذا هو الضلال واعتقاد الجهّال أعوذ بالله من ذلك، لأن العالم البشري كان عن وجود عالم الأنوار السماوية وبرهان ذلك واضح لا يحتاج إلى دليل عليه لأنه قد تقدم برهان ذلك في الملل والشرائع فلا يحتاج إلى إكثار القول فيه فالعالم الأعلى وهو عالم النور، أقدم من البشرية عند الإله. وكرة الأرض جميعها لما حصرته العلماء وأقاموا البراهين عليه كالنقطة من السماء وكل كوكب من الكواكب أضعاف كرة الأرض أضعافاً كثيرة وهذا مما لا ينازع عليه أحد لأنه كلمة إجماع باتفاق العلماء، فإذا كان الأمر على ما يزعم بعض الناس أن الإله تعالى ظهر بالبشرية وحدها دون أن يكون له ظهورٌ في السماوية وانتقل من عصر آدم إلى زمان الحسن العسكري وظهور الحجة منعه عن الظهور والوجود والحضور، فلا يخلو كمن أمورٍ، إما أن يكون الناس كفروا به،

أو أن يكون غاب عنهم، وأما أن يكون غضب عليهم، وإما أن يكون انتقل إلى موضعٍ آخر يدعو أهله ويُرشدهم وجميع ما ينسب إلى هذه الأحوال باطل ومحال وذلك أن الله تقدست أسماؤه حاضرٌ موجود لخلقه غير مفقود، ظاهر بكلمته قاهر بقدرته باطنٌ بحكمته يدعو الخلق بالنطق الواضح إلى ربوبيته وأزليته، قاهر الوجود ببقائه وديمومته، ظاهرٌ بأنواره بادي بمشيئته قاهر الكل بقدرته حيٌّ قيّومٌ لا تأخذه سنةٌ ولا نومٌ نشر الأرواح وحرّك الأشباح وسخر الرياح ومدّ الظل والنور وجعل الوجود رقّه المنشور والسماوية سقفه المرفوع والفضاء بحره المسجور كل ذلك دلالةٌ على حقيقة وجود الربوبية وإثباتاً لدوام الأزلية ولوجود السرمدية فكان ظهوره بالبشرية عدلاً منه وإنصافاً لئلا يكون على الله حجة بعد الرسل فالنطق من البشرية وظهور المعاجز والقدر دلّهم على ذاته ومعرفة أسمائه وصفاته ووجود السماوية وآياته كان ظهوره قدرةً ونطقه حكمةً ودلالته على ذاته رحمةً وغيبته عظمةً ليهلك من هلك عن بيّنةٍ ويُحي من حيي عن بيّنةٍ. وقال تعالى: هو الذي في السماء إلهٌ وفي الأرض إمامٌ. فدلّهم بذلك على حقيقة الظهور، وأوصل نورهم بالنور، فقد بالغت بالتلويح والتصريح بكشف الحق وأوضحته

غايـة التوضـيح وبينتـه لكـل ذي عقـلٍ صـائب ورأيٍ ثابـت وفهـمٍ ثاقب وأسأل الله العظيم أن يؤيد بمعرفتـه كل ديانـة، ومثلـه قـول مولانـا الصـادق منـه السـلام للمفضّـل بـن عمـر، وهـو تعليـمٌ لنـا وتنبيه يجرونـه الموالي منهم السلام على أيدي أبوابهم ومواليهم ليوصلوه إلينا فنعلمه ولا نشك فيه ونقرّ به ولا نجحده بـل نتنـاول ذلك خلفاً عن سلفٍ وآخر عن أول بـالقبول والتسليم، والفضـل فيـه لمـن جرى علـى أيـديهم وترسّـل عنهـم لتـابعيهم وهـو قولـه: اعلم يا مفضل أن الذي في أيديكم من الكتاب هو جزء من ستين جزءاً، وإن الستين جزءاً هو جزءٌ من ستمائة ألف ألف جزء وإن الستمائة ألف ألف جزء هو جزءٌ من أجزاء لا نهايـة لهـا ولا عدد كما قال الله تعالى: قل لـو كـان البحـر مـداداً لكلمـات ربـي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربـي ولـو جئنـا بمثلـه مدداً. فإذا كـان هذا وصفه فماذا يكون أوله وآخره وأين يكون منتهاه؟ وهل يـدرك كنهه لأن الكـلام بدوه مـن المتكلم، فإن وجدت للمبتدىء ابتداءً فإنـك تجـد للكـلام ابتـداءً، وإن وجـدت للمبتـدىء آخـراً فإنـك تجـد للكـلام انتهـاءً فاعقل هذا يـا مفضل ليعقلـه مـن سمعه من أهل التوحيد والمعرفـة عنـك فإنـه ليس فيـه ولا وكيـف ومـا، لأن مـن قـول لا و كيـف ومـا هلـك الضـالون وتـاه الشـاكون، ولقـد أفصـح

عن معنى هذا القول وأعربه الشيخ أبو صالح الديلمي في كتاب هداية المسترشد وسراج الموحِّد قدّس الله روحه وهو قوله: فتأمل أيها السيد الموافق كلام المولى الصادق منه الرضى والرحمة عن سياقه الظهور في العالم النوراني والعالَم الترابي الجسماني وهو قوله: إن الذي في أيديكم من الكتاب هو جزءٌ من ستين جزءاً وإلى ما لا نهاية وبلا خلاف عند سائر الموحّدين العارفين أن القرآن هو السيد الميم، وآيات القرآن هي ظهوراته في كل كورٍ ودورٍ وقبة وملة... فتدبر هذا الكلام واغرقْ في بحار الحكمة، فإذا كان القرآن الذي في أيدي هذا العالَم البشري الترابي عدد آياته ست آلافٍ وستمائة وستٌ وستون آية، وعدد كلماته سبعٌ وسبعون ألف كلمةٍ وأربع وستون كلمةً، هذا غير ما قد سقط من وغُيِّر وحُرِّف وبُدِّل...

وقد ذكر مولانا الصادق منه السلام أنه جزء من ستمائة ألف جزء إلى ما لا نهاية له، كل ذلك تعليماً لنا وتعريفاً وتنبيهاً وتيقظاً أن المعنى أولٌ بلا بداية وآخرٌ بلا نهاية وأنه لم يزل خالقاً وظاهراً لخلقه في سماواته وأرضه... وقوله: فاعقل هذا يا مفضّل ليعقله من سمعه من المؤمنين عنك وأن ليس فيه لا وكيف وما، فإن من قول لا وكيف وما هلك الضالّون وتاه

الشاكون إعلاماً من لنا إنما هلك من هلك بشكّه وتيهه وحيرته في حال الظهور بالصورة المرئية يؤنس بها للعالَم لمّا ظهر لهم كهم وذلك أنهم قالوا ما هذا ربنا لأن ربنا نوراني وهذا جسماني وكيف يكون هذا وقد كان سبق ظهوره لهم كهم ذرواً في النورانية القديمة وقال: ألست بربكم؟ فلم يكن هذا الكلام إلا عن معرفةٍ متقدمةٍ، فقالوا: بلى، ومعناه لا، فكان اعترافهم له بظاهرهم لما عاينوه من القدر وما أبهرهم من النور الذي أغشى أبصارهم وقلوبهم وسرائرهم فأبوا عن ذلك فأثبت عليهم الحجة من الجهتين لإنكارهم في الظهورين فحقّت عليهم كلمة العذاب فلُعنوا ورُكسوا ونُكسوا ولُحقوا بمن هو أصل عنصرهم وبدوّ ضلالتهم إبليس الأبالسة /لعنهم الله/ فهم آدميو الهياكل شيطانيو الأرواح هذا ما داموا في البشرية فصورهم في أعين أهل المزاج والكدر بشرية وأرواحهم خبيثة منكرة رجسة شيطانية، ومما يطابق هذا ما روي عن مولانا صاحب العسكر ، برواية أبي سعيد يرفعه إلى بعض موالي مولانا صاحب العسكر، قال: سألته هل يحتجب الله عن خلقه؟ قال: سبحانه بل تحجبهم ذنوبهم، اقرأ قوله تعالى: كلا إنهم عن ربهم يومئذٍ لمحجوبون. ولم يقل إن ربهم محتجبٌ عنهم، قلت فقد روي عن آبائك أنهم

قالوا إن الله احتجب عن خلقه بخلقه، قال نعم يروننا عند ظهور القدرة ولا يقدّرون النظر إلى سوانا ونحن منالون في أعينهم بصورنا، وليس ذلك لجميعهم بل لأهل الجحود ، وأما المؤمنون فلا يروننا صورةً ولن يروننا نوراً وقدرةً، قال: قلت يا سيدي فهل يرى الله أحدٌ؟ قال: إذا شاء عرّف من شاء نفسه ، قال: قلت سيدي هل يحتجب الرب بشيء؟ قال: لا شيء أكبر منه فيستره ولكن تحجب الخلق عنه الخطيئة.

وقد سئل المولى الصادق أيضاً، فقيل له: يا مولانا من أين يظهر الحق؟

قال: من بين الخلق ولكن أكثرهم لا يعلمون. وقال موسى بن جعفر منه السلام أول شيءٍ كلّف الله به عباده أنه قال لهم: لا تُنكروني في أيّ صورةٍ ظهرتُ فلما ظهر بالصورة البشرية أنكروه وإنما كان ظهوره كهم رحمةً منه وفضلاً ومنّةً وطولاً وجوداً وعدلاً وإشفاقاً عليهم، إذ قد علم أن ليس في استطاعتهم أن يثبتوا له نورانيته لأطفأ الأنوار وأعمى الأبصار وأحرق الكون جميعه ما علا منه وما سفُل وما بينهما وكان ذلك غير جائرٍ في الحكمة ولا يثبت في العدالة لأن النور الأصلي الحقيقي لا يدرك لأنه عين الذات من حيث التجرد عن النسب والإضافات وعن ذلك

سئل السيد الرسول عليه السلام فقيل له: وهل رأيت ربك؟ فقال: نوراني أراه، أي النور المجرد لا يمكن رؤيته ولذلك أشار الحق في التنزيل لما ذكر نوره في مراتب المظاهر فقال تعالى: الله نور السماوات والأرض. الآية فلما فرغ من ذكر مراتب التمثيل التي هي المشكاة والمصباح والزجاجة والكوكب الدري فقال: نورٌ على نورٍ، فأحد النورين هو الضياء، والآخر هو النور المطلق الأصلي الأحدي، ولهذا أتم، فقال: يهدي الله لنوره من يشاء، أي يهدي بنوره الظاهر المتعين في المظاهر الساري فيها إلى نوره المطلق الأصلي الأحدي ولما سئل ابن عباس عن رؤية الرسول لربه تعالى أخبره أنه رآه وأخبر بقول عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سألته عن رؤية ربه عزّ وجل وهو قوله / نوراني أراه، فراجع السائل ابن عباس ويحك ذاك إذا تجلى بنوره الذي هو نوره أي إنما يتعذر عن رؤية الإدراك باعتبار تجرد الذات عن المظاهر والنُّسب والإضافات وقد تقرر في كتاب آداب عبد المطلب أن صاحب العلوم الباطنة العارف بها العامل بمعناها يرى ربه بالنورانية وأما رؤيته بالمظاهر فمن وراء حجابية المراتب فالإدراك غير ممكن كما أن الشمس يمنع من النظر إليها جلال نور وجهها فإذا اكتست برقيق غيمٍ أمكن

رؤيتها وإلى مثل هذا أشار السيد الرسول عليه السلام في بيان الرؤية الجنابية المتشبهة برؤية القمر فأخبر عن أهل الجنة أنهم يرون ربهم وليس بينهم وبينه حجاب إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدنٍ، فنبّه بهذا على بقاء رتبة الحجابية وهي رتبة المظهر هذا ما لفظ به حسن بن حمزة الشيرازي في كتاب التنبيه قدس الله روحه: وقد ورد في لخبر النبوي الصحيح أن الله جلّت قدرته يتجلى يوم القيامة بصورٍ متنوعة متعددة وهو يتحول من أدنى صورةٍ إلى غيرها وبالعكس، وسبب تجليه بذلك بحسب العلامات التي بينه وبين عباده التي هي عبارةٌ عن ظنونهم الاعتقادية فيه كما قال تعالى: أنا عند ظن عبدي فليظنّ بي خيراً، وذلك بمقتضى مشيئته وعلمه وحكمته وإرادته فيهم.

وفي روايةٍ أخرى إنه يأتيهم بصورةٍ غير الصورة التي يعرفون ويقول: أنا ربكم ، فيقولون أعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فيأتيهم الله بصورته التي يعرفون ويقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا.... الحديث.

فقد أبان بأنه تعالى يتلبس بأي لباسٍ شاء ويتصور بأي صورةٍ شاء مما يُعرف ومما يُنكر من غير حلولٍ ولا اتحادٍ، تعالى عن الحلول والاتحاد والتشبيه بالعباد... ثم نعود إلى قول هذا

المعدوم علم الحق والمعتقَد نقيض الصدق الجاهل لما يعلم المتكلف بما لا يفهم ، وهو قوله بعد كلامٍ طويل:

/وهذه صلاة المفضل بن عمر، أول ما يتبدى يقول: سيدي المقداد بك اقتديت وبذكرك ابتديت، سيدي سلسل لك أسأل وبك أتوسل، أسلمت أمري ووجهت وجهي إلى الله فاطر السموات والأرض مسلماً حنيفاً وما أنا من المشركين ديني معرفة الذات وتيقني الأزل ومحياي روح القدس ومماتي الإقرار بالرجعة البيضاء ثابت اليقين لله رب العالمين. وتم. وهذا الأول/.

فأقول: يا لله لعجب كيف يتخايل لهذا الرجل أو يتصور في فكره ويصح في عقله أن المفضل بن عمر الذي هو الباب الأعظم وقد شرفه الاسم الأقدم بالظهور أن يقتدي بالمقداد الذي هو اليتيم في صلاته، ويقوله: سيدي المقداد بك اقتديت وبذكرك ابتديت فهذا قولٌ لا يجوز من أن يجري من الأعلى للأدنى بل من الأدنى للأعلى فكأن هذا الرجل ممن يقول عن الصورة التي صرّحت على المنابر بالإعلان هي السيد المقداد /لعن الله قائل ذلك ومعتقده/ أم كيف يقول المفضل: سيدي سلسل لك أسأل وبك أتوسل، وهو سلسل بإجماع سائر الطائفة الخصيبية أترى يسأل نفسه ويتوسل بها ولو أن هذا الرجل نسب هذه الصلاة

إلى غير المفضل كان عليه أجمل. ثم قال:

/ديني معرفة الذات وتيقني الأزل ومحياي روح القدس ومماتي الإقرار بالرجعة البيضاء/. فكيف يجوز له أن يقول ديني معرفة الذات وهو لم يعرف الذات ولا النور فضلاً عن الذات ولا الضياء فضلاً عن النور ولا الظل فضلاً عن الضياء ولا يدين بشيءٍ من ذلك، وقوله وتيقني الأزل، وإذا سئل عن معرفة الذات والأزل لم يعلم ما هو الذات ولا أين الأزل ولم يقرّ بوجود شيء مما لفظ به، وقوله ومحياي روح القدس، فلم يدرِ ما روح القدس ولا الرجعة البيضاء، أين هو عن قول الأمير حسن ابن مكزون السنجاري: إن الصلاة والنسك والمحيا هم الاسم والباب واليتيم، ولذلك وجهٌ ثانٍ يفصح عن سر المظاهر النورانية في رتب التثليث والتربيع. ثم قال هذا الرجل في الصلاة التي رواها عن المفضل ابن عمر، وهو قوله:

/ وبعده تقول بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين. آمين، وتسجد وتقول : صلاتي محمد المحمود الواحد الموجود وهو المكان والصمد والأبد لم يلد ولم

يولد ولم يكن لـه كفواً أحدٌ، ويسلّم.../.

فأقول: إن هذا الرجل قد زعم أن هذه السورة حكمها واقعٌ بالسيد الميم وهذا ضد رأي أهل التوحيد المقرين لأنها إنما سميت سورة الإخلاص لما فيها من إخلاص التوحيد للعين فإن فيها نسبته وإخلاصه وتوحيده، أين هو عن قول باقر العلم منه السرم: ما من سورةٍ في القرآن إلا لعلي فيها ذكر، فقال لـه رجلٌ فأين ذكره في سورة : قل هو الله أحد؟ فقال مولانا الباقر للرجل: جئت بالكاره فأوضح مولانا بقولـه للرجل / جئت بالكاره/ إن سورة قل هو الله أحد كلها ذكر أمير المؤمنين وأنـه أحد صمد وأنـه أنزع من الوالد والولد، كما قال جل وعلا: لم يلد ولم يولد ولم يكن لـه كفواً أحد، وبطل قول من عمي وقصر وشك وتحير ونسب هذا الإخلاص والتنزيه للميم... ثم قال:

/ وتقول السلام على إخوتي العارفين الذين يسقون من الماء المعين ودلّوني على الحق المبين وهي صفة المؤمنين... فيا ليت شعري ما هو الحق المبين الذي دلوه عليه وهو لم يثبت شيئاً يراه، والمبين هو المرئي، والمرئي هو ضد اعتقاده ومذهبه، الإشارة إلى الغيب فقط. ثم قال:

/ وتشهد وتقول أشهد أن العين هو رب العالمين أشهد أن العين

المعنى والله المصطفى وجبرائيل سدرة المنتهى واشهد عليّ يا أخي بالصورة الظاهرة للبشر المرقومة بالنظر لا هي كلية الباري ولا جملة ولا جزء، ولا الباري غيرها اتصاله منها كالخيط الوهمي لا داخل بها ملازم ولا هو عنها بخارج وأشهد أن الموصوف فوق الصفة إقراراً بالمعرفة لا إله إلا معلّ العلل ولا حجاب إلا ما انتحل ولا باب إلا سلسل الذي تسلسل منه العلم، وتمّ. وهذا ما وجدنا/.

فأقول: أما هذا الرجل فقد خالف على الشيخ أبي عبد الله في ابتداعه هذه الصلاة لأن السيد أبا عبد كرم الله مثواه قد نسب طريقه إلى السيد أبي شعيب محمد بن نصير الذي هو باب وحجاب لمولانا الحسن العسكري منه السلام، وهذا الرجل فقد انتسب بهذه الطريقة التي وضعها والصلاة التي ابتدعها إلى المفضل بن عمر الذي هو باب مولانا الصدق منه الرحمة ليكون بذلك أسوة طريقته كما كان الشيخ قدوة أهل مذهبه ولكنه افتخر على الشيخ في انتسابه إلى المفضل بن عمر في القدمية لأن المفضل كان أقدم من السيد أبي شعيب ولكنه كان يجب عليه أن يذكر أسماء ساداته الذين أخذ عنهم هذه الطريقة كما ذكر الشيخ أنه تلقن ذلك سماعاً من السيد الجنَّان من محمد بن

جندب الذي هو اليتيم الأكبر من السيد أبي شعيب الذي هو الباب الأكرم إعلاماً بشرف الأبوة وإثباتاً للأخوة، لأنه من لم تثبت أبوّته لم تصح أخوّته وهو فقد نسب طريقه إلى المفضل ولم يكن في عصر المفضل ولم يذكر السبب في ذلك ولا الواسطة التي بينه وبين المفضل وذلك دلالةً على عدم الأبوّة وإضاعة الأخوّة وخروجه عن رأي السيد أبي عبد الله الخصيبي والمذهب الشعيبي بما قرره ورواه عن المفضل، وقد تقدم عليه القول في صدر هذا الكتاب أنه كان اطلاعه على هذا السر بالتلصص فلما وصل إليه كابر أهله وعاندهم عليه فحق فيه القول إنه من دخل في هذا الأمر من غير بابه وأداء حقوقه فحقّا عليه أن يخرج منه كما دخل فيه، وهذا الرجل قد خرج عن رأي الشيخ بشهادةٍ من نطق لسانه.

ولقد عجبت من قوله وشهادته بالصورة الظاهرة كالبشر المرقومة بالنظر، لا هي كلية الباري ولا جملة ولا جزء، ولا الباري غيرها اتصاله منها كالخيط الوهمي لا داخل بها ملازم ولا هو عنها بخارج، فيا لله ما أبشع هذا الكلام الذي يفصح بأن الصور هي أكبر من الباري المصوِّر، بقوله /اتصاله منها كالخيط الوهمي/ وأنه جعل أن الصورة ممتدة من الباري فهو رأي أهل

التفويض، وهكذا كان اعتقاد اسماعيل بن خلاد ومن جرى مجراه من أهل العناد، وإن جعل أن الباري ممتد من الصورة فهو الكفر الصراح والشرك المباح وليس هو مذهب يسمع ولا رأياً إليه يفرغ لأن الصورة المرئية في نفس الحقيقة لم تكن إلا الذات المعنوية الأحدية والغاية الكلية التي ليس الباري غيرها ولا هي سواه، وقولنا ليست كلية الباري يعني ليست كلية الباري بالرؤية والمنظر، وليس الباري غيرها في حقيقة الجوهر، بل هي هو إثباتاً ويقيناً ولا يقال عنها أنها ممتدةٌ من الباري فيكون الباري غيرها ولا هو ممتد منها فتكون هي غيره بل إن هذا القول يصلح أن يكون في حقيقة الاسم المختَرَع من نور الذات اتصاله بها وانفصاله عنها وأما قائل هذا القول بالصورة المرئية بأنها ليست كلية الباري بل اتصاله منها كالخيط الوهمي يُفصح عن اعتقاده بأن الصورة المرئية هي روح الميم وذلك دليل نفي الوجود مطلقاً سماءً وأرضاً لأن قائل هذا القول لا يُقر بالوجود النوري أبداً، وأما الصورة الظلية فقد جعلها روح الميم وقديمه بمجرد لفظه هذا، وإن كان ذلك فعلى أي شيء حصل من إثبات الوجود، وأي شيء بلغ من حقيقة التوحيد، وإلى أي شيء وصل من معرفة الظهور، أين هو عن قول المولى

الصادق منه الرحمة: فإذا أنكر العبد ما رأى فهو لما لا يرى أشك وأريب، وقوله منه السلام: من صفة الحكيم ألا يعبد إلا ظاهراً موجوداً، لأن من غاب فلم يرَ يوشك أن لا يكون شيئاً، دلالةً على أن عبادة الموجود هي العبادة الخالصة من الشك والشرك والريب والإفك لأنه وصف من يعبد الموجود بالحكمة، والحكمة هي المعرفة به والإقرار له في وجوده فيقتضي أن من يوصفون بالحكمة هم أفضل الأمة، وأوجد أن من يعبد المعدوم غير حكيم ولا مستبصر وليس له معرفة ولا نظر جاهل متحير وأعمى لم يُبصر وميت لم يقبَر. وفي قوله: إن من غاب فلم ير يوشك أن لا يكون شيئاً دلالةً على أن ليس وراء الظاهر الموجود شيءٌ يدعى ولا بعد المعلوم المشهود شيءٌ يرجى ولا بعد المعاين المرئي شيءٌ يعرف ويسمى ولا بعد النور المبين المؤانس خلقه بالنور والظل شيءٌ يعبد ويُرى فيُقصد ويُشاهد ويُشافَه ويخاطب ويُعتمَد بل ما وراء ذلك فهو صفات المعدوم المجهول الذي ليس هو شيئاً، وفي ذلك قول السيد أبي شعيب علينا سلامه ليحي بن معين: يا يحيى قد قال مولانا الحسن إن كل ما لا يقع عليه اسم الظهور يوشك أن لا يكون شيئاً، دلالةً على أن الغيب ليس هو شيئاً يعبَد، ومن قال إن الباري نوعان

نـوعٌ غائـب ونـوعٌ ظـاهر فقد وقـع فـي شرك الشك، ومـن قـال إنـه غيب لا يُرى فقد ارتطم في ورطة الإفك ولكنـه واحدٌ في ظهوره وبطونـه وإن الغيبـة والظهور إذا انتسبا إلى القدم فلا حقيقـة لـهما لأنـه لا يقال ظهور إلا لمن كان غائباً فظهر، ولا يقال غيبـة إلا لمن كان ظاهراً فغاب، والباري تعالى لم يغب قط عمّن عرفه ولـم يـزل ظـاهراً لعارفيـه غائبـاً عن جاحديـه وإذا أورى الغيبـة فالغيبـة فينا لا فيه، كما قال الشيخ في إحدى قصائده:

لم يغب غير أننا نحن غبنا وحُجبنا عنه فصرنا طمُوسا

وقد ورد فـي كتـاب آداب عبد المطلب أن مـن غـاب عنـه باريـه وقـع فـي الحيرة والتيـه فليسأل مـن هـو أعرف منـه عـن الغيبـة والظهور ليعرّفـه ذلك ومهما قال لـه العالم امتثل وقبل وإن بقـي في تيهه وشكه وحيرتـه فهو ملعونٌ، وإذا احتـج علينـا مـن يُنكـر الوجود النوري وزعم أن الباري ظهر في البشرية فقط وانتقل مـن عصر آدم إلـى ظهـور محمـد الحجـة ولـم يكـن بعده إلا الرجعـة البيضـاء وظهوره بالسيف وإهراق الـدماء كـان الجـواب مـن قـول مولانا الصادق إنـه لا يخلو عصرٌ وزمـان ووقت وأوان مـن معنـىً موجـود وظلٍّ ممدود وبـاب مقصود، وإن اعترض معترض وقـال فـهذا عصرٌ لم نجد فيه شيئاً مما قال الصادق فكأنما هذه الأخبار

لا حقيقة لها، كان الجواب من قول ابن شعبة الحراني أو من قول أبي صالح الديلمي اعلم أرشدك الله وإيانا وأرانا الحق عياناً ويقيناً وألهمنا اتباعه أن معنى كلام المولى منه السلام أنه لا يخلو عصر وزمان ووقت وأوان من معنىً موجودٍ وظلٍ ممدود وباب مقصود، فالمعنى الموجود هو الذي أوجدنا ذاته في سمواته وأرضه، وذاته لا تحد ولا تُدرك ولا يحاط بها ولكن ذلك لحاجة خلقه من أهل سمواته وأرضه فتلطف لكل جنسٍ بمقتضاه ولكل كونٍ كما ذراه وبراه فأهل النور رأوه نورانياً وخاطبهم بلطف ذواتهم بمقتضى قابلية كل شخصٍ منهم وأما نحن عالم البشر نظرنا إليه من حيث تناقُصِنا وعجزنا فرأيناه صورة بشرية ذات جسمٍ بشري ونظرنا قياماً وقعوداً واكلاً وشرباً وأزواجاً وأولاداً وحركةً وسكوناً وقتلاً وموتاً وجميع ما يجري على المخلوقين وهو جلّ وعلا بخلاف ما وقعت عليه الأبصار من المخلوقين ودلالة ذلك أن كل مرتبة من عالَم النور تنظر إليه من حيث هي لا من حيث هو ولا يتساوى اثنان بالنظر إليه من جميع ما ذرا وما برأ من عالم النور والبشر ففي اختلاف مناظرهم أكبر دلالةٍ على أنه أعظم مما رأوه وأجل مما نظروه وكان ظهوره علامةً ووجوده دلالةً وإثباته عدلاً ومنّةً ولطفاً ورحمةً وهو في حقيقة ذاته لا

يُدرك بإحاطة ولا يوصف بأينية ومتى أضفنا الغيبة والظهور إلى القدم فلم يكن لهما حقيقة ومتى أضفناهما إلى الحِدث واضطرار المخلوقين كان الظهور علامةً للوجود وكان التغيير والتبديل والانتقال عرضاً داخلاً على أبصار الناظرين إليه وهم يرونه حسب التفاوت في المنازل والرتب وهو جل وعلا لا يتغير ولا يتبدل ولا يتحول عن حالةٍ إلى حالةٍ أخرى ولا يزول عن كيان القدم إلى كيان الحِدث ولا يُخلي حيّزاً ويشغل مثله ولا يُخلى منه مكان ولكنه لما حجب أبصارنا وأورانا ما لا يحاط به ولا يدرك في الجهات بصورةٍ آكلةٍ شاربةٍ يدخل عليها الأعراض برؤية الأبصار وهو بخلاف ذلك فكذلك هو القادر على أن يحجب أبصارنا عن مشاهدة هذا الظهور الذي قال عنه المولى الصادق وهو موجودٌ عياناً كما أورانا في وقت استحقاقنا النظر إليه فكان الحجاب علينا وهو موجود في الحقيقة يراه من يعرفه ويستحق رؤيته بالنورانية فلا يحجبه شيءٌ ولا يواريه شيءٌ بل هو ظاهرٌ مع دوام الديمومية وباقٍ مع بقاء الأزلية وموجودٌ بإيجاد السرمدية ظاهرٌ بالكلمة الربانية باطنٌ بالحكمة الأبدية بادٍ بالمشيئة والفطرة التي فطر الناس عليها وندبهم بها إليه معايناً بالعلم قاهراً بالقدرة القوية ذو لطفٍ خفيٍّ يدعو الخلق بأوضح النطق

على وجوده فإذا تبصر من كان لـه بصرٌ في هذا الشرح الجلي والإيضاح البهي تطلع منه إلى حيث الإشارة إلى حقيقة الوجود والظهور واكتفى عن تكاثر العبارة بما هو مرقوم ومسطور من معرفة الغيبة والحضور إذ ليس ثم عيبة بل إنما الغيبة هي علة الناظر المحجوب بالعجز عن إدراك النور المجرد المتنزّه الذي لا يمكن أن يشار إليه إلا بصورةٍ واحدةٍ وحقيقةٍ واحدةٍ وإن أورى الصورتين النورانية والبشرية فهو ذات واحدة وظهورٌ واحد وهو إلهٌ واحدٌ وإنما رؤية ذلك من قبل تقلب القلوب والأبصار وإن البشرية التي رأيناها ليس لها حقيقة بل الحقيقة في الربوبسة لا في الكيمية، ولا في الكينونية ولا في الماهية ولا في الأينية لأن الكيمية والكينونية والماهية والأينية وجميع ما يُنسَب إلى ذلك فهو من صفات مخلوقاته وحاجتهم إلى الكمّ والكيف والأين وما شاكل ذلك وقد ورد في الرسالة المصرية من قول محمد بن مقاتل القطيعي بروايته عن شيوخه ما هذا لفظه وهو قوله: ولما تمّ خلق العالَم العلوي تحلى لهم المعنى بذاته فشاهدوه وخاطبهم ظاهراً شفاهاً ودعاهم إلى عبادته فأجابوه والاسم بين يدي مولاه يعلمّهم ويوفقهم فأجابوا كلهم بالطاعة وأقروا له بالربوبية فكان أول من أقر وأجاب السيد الباب ثم الأيتام ثم المراتب تتلو

بعضـها بعضـاً كـل مرتبـة تتلـو مـن تقـدمها إلـى آخـر مرتبـة الممتحنين فهذه هي الدعوة الأولى ثم إن المعنى أمر الاسم منـه السلام فخلق العالَم الصغير السبع مراتب الـذين هـم المقربـون والكروبيـون والروحـانيون والمقدسـون والسـائحون والمسـتمعون واللاحقون الـذين عدتهم مائـة ألـف وتسـعة عشر ألـف شـخصٍ وخلق من تبعهم من عالم المؤمنين الذين هم أهل الإقرار، وخلـق عـالم الجحـود والإنكـار مـن فضـل طينـة أهـل الإقـرار لأن عالمنـا نحـن تبـعٌ لعـدة المائـة ألـف وتسـعة عشـر ألـف شـخصٍ العالـم الصغير وإن تلك مراتب قد تمت ونحن بتوفيق الله لهم تـابعون وبهم لاحقون، وبمرتبة اللاحقين يلحق من صَفيَ من المؤمنين وإلى جملتهم يضافون ولهم تـابعون، كمـا قـال الله تعالى: والذين آمنوا واتّبعتهم ذريتهم بإيمانٍ ألحقنا بهم ذريتهم ومـا ألتنـاهم من عملهـم مـن شـيءٍ... فلمـا خلـق السـيد الميـم /منـه السـلام/ العالمين المقر والعاصي أمره المعنى تعالى فمزجهم مـع بعضـهم يعني أظهرهم مع بعضهم في صعيد واحدٍ ثم تجلى لهم المعنى بذاتـه كمـا تجلـى لعـالم النـور أولاً وخـاطبهم وهـم إذ ذاك أشـباحٌ كالذرو.

وقد روي أنهم كانوا في وقت الدعوة كأسنان المشط لا يزيد فيهم

شخص على شخص في استماع الدعوة وفيهم الجزر الذي منحهم من جوهر العقل وقوة السماع ورد الجواب والنظر الصحيح الذي ليس فيه ارتياب عدلاً من الباري فيهم وتطولاً عليهم وقال لهم ألست بربكم أي كما شاهدتم وتحققتم فكان أول من أجاب بقول /بلى/ الأيتام ومن يليهم من المراتب النورانية كما أجابوا في الدعوة الأولى وكان أول من أقر بالطاعة من العالمين أهل المزاج العالم الصغير، وأول من أذعن منهم بالإجابة المقربون ومن يليهم إلى آخر درجة اللاحقين ثم من تبعهم من عالم المؤمنين، ومن قصّر عن استماع الدعوة ورد الجواب بالإجابة فهو من جملة المهبوطين الموعودين بالصفا عند متابعة الهدى.

ومثله ما رواه شاب العلم أبو سعيد ميمون قدس الله سره المكنون في كتاب مجموع الأعياد مرفوع الأسانيد الصحيحة إلى أبي محمد عبد الله الجنّان، قال: حدثني سيدي ومولاي يتيم دين الله محمد بن جندب قال: حدثني باب الهداية والإيمان نور أصباؤوت السيد أبو شعيب محمد بن نصير بعد شرح حال الظهورات وهو قوله: وهذا يا محمد بن جندب ظهورات مولاك في الكرّات والرجعات وأشخاصه البديّة وحجبه العلوية القائمة

بالصفة الأنزعية وهي العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فلما رأوه العالَم وعليه تاجٌ من نور متجلياً بعظمته محتجباً بجلال الجبروت كبّرته الملائكة مسبّحين بحمده مقدّسين له وكان أول من كبّره الحجاب ثم الباب ثم الأيتام ثم النقباء وهم أول من نقّب علم الباطن سر الظهور. والنجيب الذي أنجب مسارعاً ولبّى داعياً وكبّر زاكراً، ومختصه المخصوص والمخلص والممتحن ثم خلق عالمه الصغير وظهر في هذا اليوم بالخميس الكبير وهم له عابدون وساجدون فكان أول من وحّده بصفة الصورة الأنزعية وشاهده بجلال النورانية المقرَّب بالمعرفة والدعوة ثم من بعده الكروبي الذي رُفع عنه كرب النجاسة ثم الروحاني الذي روّح بروحانية القدس فحصل عارفاً وبها شاهداً ثم المقدّس بالتقديس لما اعترف قدسه قدسته المعرفة فأوصلته الحقيقة ثم السائحون الذين ساحوا في علم الملكوت ثم المستمع الذي لما سمع دعوته لبّاه بالعبودية وناجاه بالربوبية ثم اللاحق الذي لما رآه حقق الوجود باقياً وأثبت الظهور كاملاً فلحق بنورانية اللاهوت متصلاً طائعاً ثم لم يزل مولاك ظاهراً في سماواته بالصورة الأنزعية التي لم تتغير ولم تضمحلينبّئهم بما كان ويكون ويحدث بعد حين، ثم أظهر مولاك الظهور البشري وأظهر القباب وشرع الشرائع وأوجد

الملل والأديان المختلفة كل ذلك للعلة التي تبدو من العالَم، فافهم ذلك يا بن جندب وحرِّص المؤمنين على معرفته ، فهل من بيانٍ أبين وأجلى وأشفى من هذا الشرح الشهير الواضح الفصيح الذي يفصح عن ظهور الباري تعالى للعوالم العلوية النورانية ثم للعوالم الترابية كما اقتضى بوجوب الحكمة وكشف سنحات الظلمة بالعدل الشامل والقسط الكامل لا كما يزعم هذا الرجل المحجوب عن معرفة النور وأنه انتقل في البشرية من لدن آدم إلى ظهور الحجة، وظهور الحجة منعه عن الوجود والحضور ولم يفكر في قوله تعالى: هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً... الآية. وقوله تعالى: واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصاً وكان رسولاً نبياً وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجياً وقوله تعالى: يا بني إسرائيل قد أنجبنا من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الأيمن وأنزلنا عليكم المنّ والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحلّ عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى... وقوله تعالى: وشجرةٍ تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغٍ للآكلين... وقوله تعالى: وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفوراً،

تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً... وقوله تعالى: لقد أنزلنا آياتٍ بيّناتٍ والله يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم، ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريقٌ منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين... وقوله تعالى وله المثل الأعلى في السماوات والأرض... وقوله تعالى: إذ قال موسى لأهله إني آنست ناراً سأتيكم منها بخبرٍ أو آتيكم بشهاب قبسٍ لعلكم تصطلون. فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين، يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم، والقِ عصاك فلما رآها تهتز كأنها جانٌ ولّى مدبراً ولم يعقب يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون إلا من ظلم ثم بدّل حُسناً بعد سوءٍ، فإني غفورُ رحيم، وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوءٍ في تسع آياتٍ إلى فرعون وقومه إنهم كانوا قوماً فاسقين... وقوله تعالى: أمَّنْ خلق السموات والأرض وانزل لكم من السماء ماءً فأنبتنا به حدائق ذات بهجةٍ ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قومٌ يعدلون، أمَّنْ جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزاً أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون، أمَّنْ يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء

ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلاً ما تذكّرون، أمَّنْ يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون، أمَّنْ يبدأ الخلق ثم يعيده من يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين، قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيّان يبعثون، بل ادّاركَ علمهم في الآخرة بل هم في شكٍ منها بل هم منها عَمُون... وقوله تعالى إنك لا تُسمِع الموتى ولا تُسمِع الصمّ الدعاء إذا ولّوا مدبرين، وما أنت بهادي العُمي عن ضلالتهم إن تُسمِع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون، وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابةً من الأرض تكلمهم إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون، ويوم نحشر من كل أمةٍ فوجاً ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون، حتى إذا جاءوا قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علماً أمّاذا كنتم تعملون، ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون، ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصراً إن في ذلك لآياتٍ لقومٍ يؤمنون، ويوم يُنفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا ما شاء الله وكل أتَوْه داخرين، وترى الجبال جامدةً وهي تمر مرّ السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبيرٌ

بما تفعلون من جاء بالحسنة فله خيرٌ منها وهم من فزع يومئذٍ آمنون، ومن جاء بالسيئة فكبَّت وجوههم في النار هل تُجزَون إلا ما كنتم تعملون، إنما أُمرَتُ أن اعبُد رب هذه البلدة التي حرّمها وله كل شيء وأُمِرت أن أكون من المسلمين، وأن أتلو القرآن فمَن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضلّ فقل إنما أنا من المنذرين وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافلٍ عما تعملون...

أما في هذه الآيات الكريمة والشواهد العظيمة نورٌ وهدىً وضياءٌ ورشدٌ لمن كشف الله عن فكره خيالات الحيرة وانقشع عن قلبه غياهب أقتام الظنون واقتنع بما هو كائنٌ عما لا يكون، ولو ذهبنا إلى شرح بعض أسرار هذه الآيات التي هي من الكتاب لاتسع الخطاب ولكونها لا تخف على ذوي الألباب المتبعين الأسباب إلى معرفة الدخول من الباب ولكن آثرنا الكنون عن ذكر شرحها في هذا الباب برعة الرغبة بالاختصار والرهبة من الإضجار ممن لا طاقة له ولا استطاعة بالإكثار فرأينا الإيجاز أجمل من الإطالة وأسها تناولاً وألطف احتماله.

ثم نرجع إلى ذكر بعض أشياء من الآراء الفاسدة التي نمت بين أهل الجبال الذين مدحهم هذا الرجل في الباب الثاني من كتابه

وهم من أهل جبل مصياف وخلافهم مما كان من بِدَع سراج الدين العاني وتلميذه سنان قوحل ونما عنهم عصر بعد عصر كما قد وعدنا في الباب الثاني من كتابنا هذا وذلك مما ذكره الشيخ يوسف ابن العجوز في مناظرته وهو قوله: ولقد عاشرت من أصحاب المقالات خلقاً كثيراً ولو ذهبنا إلى ذكر ما يعتقدونه من التحليل والتحريم لما وسِع ذلك كتاب بعد أن ذكر وصية المعلم جامع له بعدم معاشرة أهل المناصف وهو قوله: أُوصيك يا يوسف ابن العجوز أن لا تميل إلى أصحاب العقول الفاسدة بعد أن اعتقدتَ الحق وقول الصدق فلا تسمع منهم ولا تُغيّر ما أنت عليه فقبلتُ وصيته ولم أرجع أعاشر أحداً منهم بعد ذلك ولا شهدتُ له بتحقيق ديانة وكنت قبلها عاشرت أهل المناصف وصحبتُ أهل إسفين وأقمت معهم بالصحبة والمعاشرة إلى أن نُقِل المعلم جامع رحمه الله فانقطعت بعد ذلك عن الجميع ولم أرجع أشاهد أحداً منهم في مقامٍ لِما رأيت من ترك الحقوق وهدم الشرائع وخلاف ما وصّت به السادة المتقادمون والعصابة الموحِّدون فضاددني كل حاسدٍ من الظالمين وكان أول من قام على المكابرة وسوء الظن والمكاشرة، وطلب الرئاسة والحكم بغير سياسة ربيعة بن نصر العصيدة من قرية إسفين وهو أضعفهم

علماً وأقلّهم فهماً ولم يكن أحدٌ يتبعه لطلب علمٍ فجرى بيني وبينه الحديث على إثبات وجود الصورة ونفيها وكان معتقده في أمير المؤمنين عزَّت آلاؤه وتقدست أسماؤه إنه مصوِّر صوره في ظهوره وبطونه بيدٍ نور ورأسٍ نور ورجلٍ نور وأثبت أن الصورة الأنزعية هي نور الذات وقال فما أنفي عنها سوى الأكل والشرب فأخّرته عن ذلك وجرى بيني وبينه الحديث في سطر الإمامة فاعتقد ففيه أنه معنوي ذاتي فأخرته عن ذلك ولم أوافقه واتبعوني على ذلك أهل الحقيقة الصادقة ومال إليه أصحاب البطون الخارقة وكان أول من اتبعني من الإخوان العارفين ممن هو من أهله وأقاربه منهم أخوه: الريس سالم وفقه الله والمعلم جبرين ابن أبو محمد وفقه الله وكان المعلم جبرين أكبرهم سناً وأقدمهم سماعاً وعلماً، وكل من كان يتبع الريس سالم مال إليّ وصدّق مقالتي ثم نقيبهم المعلم عسكر، وحضرنا بعد ذلك في قرية اسفين وجرت المذاكرة فيما بينا على ذلك واشتد عليّ بالمعلم علي بن منصور المؤدب وهو أيضاً من أهله وأقاربه فتحدث أمامه بتحقيق ما هو معتقده وتحدثت بما رددته عليه فشهد لي المعلم علي بن منصور المؤدب أن الحق معي ثم مر في ذكر ما جرى له مع ربيعة إلى أن أتى على ذكر الفرقة

الحاتمية الذين يدعون إلى المعلم مبارك ابن حاتم وينتمون إلى حاتم في المذهب الذي صدر عن سراج الدين العاني ولكنهم زادوا فيه ونقّصوا وصاروا في ذلك شيعاً وتحزّبوا أحزاباً واستدبروا في جبل الماصف فمنهم من يقول علي اسم ناسوت والله اسم لاهوت غيبٌ منيعٌ ممنوع الرؤية والمشافهة وعلي صورة بشرية مخلوقة ويقولون إن الله اخترع الاسم من نور ذاته وهو النفس القدسية المحذَّرة وهي الناطقة من صورة محمد وبعده علي إمام بعد إمام إلى إمام الجماعة البشريين الذي هو من جملتهم والله غيبٌ لا يُدرك ونور الذات هو المحتجب بالروح الناطقة القدسية وهي حائطة بهذه الصورة البشرية وإذا نطقت الروح حجبت الصورة المخلوقة وبطلت وحصلت الإشارة إلى الناطق لأن الروح الناطقة هي معنى هذه الصورة المحدثة وهي مقيمة لها فإذا نطق الإمام على رجلٍ كان الإمام معنىً والملقى إليه اسماً والتالي له باباً والذي بعده يتيماً ونقيباً ونجيباً إلى آخر المراتب وهذه المقالة هي اعتقاد كل ناعقٍ ، ومذهب كل آبق من المبتدعين الذين استوطنوا ذلك الجبل وقد وقع الخلف بينهم والتفاخر بينهم بشرف الأبوّة لطلب الرئاسة ومنهم من ينكرون السيد ويلعنونه ويتبرأون منه ويقولون أنه من وقف على ما

ألقاه إليه سيده وقنع فيه فهو مشركٌ بعبادته لعلي بن أبي طالب دون الغيب الذي لا يدرك ويعتقدون أن علياً بشريٌ مثل جماعتهم فلعنة الله تترى على جمعهم ويقولون أنه ما خلق الله قبل هؤلاء المؤمنين أحداً، والعالَم النوراني هو فيهم متشخصٌ في علمائهم، والعالَم الأصغر هو في من صغُر منهم بالمعرفة وعندهم أنه ما خُلِق شخصٌ نوراني إلا في جسمٍ بشري، والصافي منهم هو من صحّ مذهبه واعتقاده في ذلك وإن هذه النفس القدسية لا تحُلّ في الإنسان إلا عند نطق الإمام عليه فقد أثبتت هذه العصابة أن علة الوجود جسمٌ كالأجسام فكفروا وأشركوا وكانوا كما قال السيد أبو سعيد في جوابه لاسماعيل بن خلاد: يا أياها السامري الذي بين بني يعقوب فرقتَ، إلى قوله:

وأنت تروي أنه لا يُرى ثم تقول بأنه أنتَ

وهؤلاء الجماعة يعتقدون بأن النفس الناطقة حلّت في اجسامهم ونطقت على ألسنتهم فمعاذ الله بل إنما استقرّت في أنفسهم دعوة الضد فلذلك لا يرجعون عن منكرٍ ولا ينتهون عن مفحشٍ وأحلّوا ما حرّم الله وأذاعوا سره ونبذوه وراء ظهورهم واعتقدوا غير الحق ومنهم من يقول إن الغيب الذي لا يُرى هو العقل في الإنسان ونور الذات هو حجاب العقل الذي منه الرؤية، والاسم

محمد المخترَع من نور الذات هو روح المؤمن الناطقة القدسية من هذه الصورة البشرية باللسان اللحمي الدموي، والصورة الأنزعية حائطةٌ بالصورة البشرية لامعةٌ مشرقةٌ عليها كإشراق الشمس على الدنيا وهي روح المؤمن وسمعه وبصره ونطقه وهي لا تجوز الأحشاء ولا تحلّ في مؤمنٍ إلا عند نطق الإمام عليه، وعندهم أنه من أجل هذا قول الشيخ: إن المؤمن إذا صفي لا يحل في الأحشاء ولا يرى ظلمةً ولا يقمّط ولا يبول في ثيابه وإن الذي كان جنيناً في الأحشاء إنما أنشأته الطبائع اللحمية الدموية، وليس عندهم روح المؤمن إلا هذه وإليها يشيرون وهذه الصورة التي يشهدون بها بعضهم على بعض، فيقول أحدهم للآخر أشهد أنك غايتي ومعناي وأنت أنا وأنا أنت ويزعمون أن قول المسيح عليه السلام لم يرق إلى ملكوت السماء من لم يولد ولادتين فالولادة الأولى عندهم هي الخطاب من السيد حين السماع، والثانية هي نطق الإمام عليه وهي السماء والأرض وهي واقعة على خطاب الإمام، وهذه المقالة فقد نطق بها حاتم الحنفية ويوسف ابن الإمرأة وداوود القيقانية وجعفر السويدانية وحسان حديا ومحسن باب الله ومرهج الطوبان وهم من نواحي بلاد الحصن والديار الشرقية، وقد قال

يوسف ابن العجوز رحمه الله، وما من هؤلاء إلا ونافسته وعرفتُ منهاجه واعتقاده، وأما المعتزلة فإنهم يعتقدون أن الشمس هي الاسم وهي الصورة التي يشهدون بها وممدها السماء وهي محيطة بالصورة البشرية ومنها حياة كل شيء، ومنهم من يشهد أن الصورة المرئية هي الغاية الكلبة الظاهرة باللاهوتية الناطقة بالمعنوية وإن الحجاب الإلهية، والاسم الأحدانية، والباب الوحدانية الناطقة من النفس القدسية وهذه الصفات جميعها عندهم صفةٌ واحدةٌ ناطقةٌ من الأشخاص البشرية مؤدية مترجمة عن الغيب الذي لا يُدرك ولا يظهر ولا يُرى وهي عندهم روح المؤمن، وتفرعنوا في الجبال وأمدوا بعضهم بعضاً بهذه المقالة واشتروا بأسبابهم الضلالة ودعوا إلى ذواتهم وقلّت بينهم العصابة الخصيبية الذين ما حادوا عن الحق الثابتين على سار الخصيبي، وأما هؤلاء الشيوخ الفاسدين فما أضلهم عن الحق إلا خلوهم من جوهر السبيل وانقطاعه عنهم فاستقرت في نفوسهم دعوة إبليس وسوّلت لهم أنفسهم الفاسدة وزعموا أن عصمة الدولة قدّس الله روحه ألقى إليهم هذا السر وعملوا بذلك نسبةً ممتدةً إليه ومنهم من لا يثبتها ومنهم من روى عنه أنه قال: سماعي من أبو سعيد، وإذا نطقوا على أحدٍ بهذه المقالة يقول

سماعي من فلان من الأمير علي علم الدولة من صدق العلم من عصمة الدولة من أبو سعيد من الجليّ من الخصيبي من أبو عبد الله الجنّان من اليتيم الأكبر من أبي شعيب من الحسن العسكري إلى آخر السطر حتى يقول: محمد الرسول سمع من علي وعندهم علي ومحمد شيءٌ واحدٌ ناطقين عما ذكرنا كما فعل ناصر بالصلاة التي رواها وحفظها عن المفضل بن عمر ولكنه لم يذكر السبب في ذلك خوفاً من أن يفسد عليه قوله وبيان كذبه لعلمه بأن هذه الأسباب والأنساب والزخارف فلا حقيقة لها وليس لها أبوة صحيحة إلا عن زيد الحاسب ومَن ينتمي إليه لأنهم أودعوا مصنفاتهم هذه الزخارف والأسباب الفاسدة ويعتقدون أيضاً أن الروح التي في الجسد هي مقيمةٌ للجسد وحاملته للمأكولات والمشروبات وأنها مطلمة مقتمة تحس بالآلام والعذاب الواقع عليها وأنها نفسٌ ضدية تحمل الصفات والعقوبات عن النفس الناطقة القدسية المؤمنة التي لا يقع عليها عذاب ولا صفة ولا تجوز الأحشاء ولا تحل في جسد ولجأوا في ذلك إلى قول السيد أبي عبد الله نضر الله وجهه بأن المؤمن إذا صفي لا يجوز الأحشاء ولا يقمّط ولا يغوط ولا يبول على ساقيه إشارتهم بذلك إلى النفس الناطقة في الإمام وهي متصلةٌ بالذات

التي هي الغيب المنيع وهي عندهم على بن أبي طالب وباطنه أمير المؤمنين وباطن أمير المؤمنين المصباح وباطن المصباح الكوكب الدري وباطن الكوكب الدري الشجرة التي هي الذات وهي عندهم باطن الصورة التي يشهدون بها بعضهم على بعض والمعنى عندهم لا يظهر ولا يُرى لا يُحَسّ ولا يُلمس وهو العقل المعقول المعقل الخالق لكل شيء وأن الذي شاهدناه هو روح قدسية معبّرة عن الذات ستراً على الغيب الذي لا يُدرَك وإن الذي رأيناه بالصورة المرئية هو الميم، والميم والعين والسين شيءٌ واحدٌ ونورٌ واحدٌ وباطن تلك الصورة غيبٌ لا يُدرك ولا يسمى ولا يعقل وإن الصورة نورٌ أشرق من منير وقدرة ظهرت من قدير وهي حجاب الذات وموقع الأسماء والصفات وهي نهاية ما يطب المؤمن إذ لا وصول إلى معرفة المنير إلا بنوره ولا يُعرَف القدير إلا بقدرته والصانع إلا بصنعته وهذا الكفر والضلال والإفك والمحال وما أحد من هؤلاء يسمى موحِّداً بل مشركاً جاحداً وعن الحق حائداً هذا ما لفظ به يوسف ابن العجوز النشابي وشهد به في مناظرته لأهل الجبال الذين شذوا عن الحق في المواطن التي توطنوا بها الرجال الذين مدحهم ناصر، وإنني لم أذكر ما ذكرته من هذه المناظرة في أمر هذه الآراء الحائدة

والعقول الخاسرة إلا لما تقدم من مدح هذا الرجل المنعدل عن الطريق السهل لأهل ذلك الجبل، وما نعتهم به من الاستقامة على صحة الاعتقاد وأنهم ما غيّروا ولا بدلوا مع أنهم بقية السلف المبتدعين الذين ذكرهم حاتم الجديلي في كتاب التجريد وفروع تلك الأصول الفاسدين الذين ذكرهم ابن العجوز في مناظرته لا سيما قول الفقيه المبرور والليث الغيور المعلم علي بن منصور قدس الله سره الموفور في المقدمة الشافية وهي القصيدة النورية وما ذكرهم به من الاعتقاد الوضيع والقول الشنيع الداعي إلى الخسف والتبخيع وهو قوله بعد ذكر الأضداد الذين هم أصل الكفر والعناد ومعدن المحارم والإلحاد فقال في وصف هؤلاء المذكورين:

وكلُّ من شار إلى هذي الصور وقال إن الله حلّ في البشرْ

وجسَّم المعنى بأشباح الكدرْ وازدرى على وليٍّ منتظَرْ

لوعدِ ربٍّ مُنجِزٍ وفيَّا

وقال إن السيد الرسول ثم الإمام الأنزع الجليلِ

لحمٍ ودمٍ شاربٍ أكولِ ولم يحقِّق لهما تفضيلِ

إلا بنطقٍ باديّا قدسيّا

وذلك النطق من الإمامِ يوجد للخلق مدى الدوامِ
من كل شيخٍ قام في المقامِ فتلك هي نهاية الإعظامِ
فعاد دينُ الله فرعونيا
وكل فرعونٍ أقام نفسه وندب الخلقَ لروحِ قُدسه
حاشا لقدس الله أن يمسّه رجسٌ ولكن عكسه ونكسَه
في ما به أصبح مفتريًّا
وخوّنوا للسادة الأسلافِ بأنهم لم يوجدوا الإنصافِ
ولا أجابوا بالجواب الشافي وكل ما في كتبهم غلافِ
لسرّ مكنونٍ لهم خفيًّا
وإنما القوةُ بالصدورِ كيما يكون مججَّبٍ مستورِ
فأيُّ ما كفرٍ وأيّ زورِ أعظم من هذا لذي التفكيرِ
أن يدّعي الهادون خائنيّا
وصرّحوا بكفرهم وأجهروا وقلّ من ينهي دعاة المنكَرُ
وأضعفوا أهل الهدى وازدروا وصغّروا فيهم بما ينتصروا

منَ المرجَّى القائم المهديّا

وزُحزِحوا عن الهدى وسمعلوا وشابهوهم بالذي قد فعلوا

وأنكروا ثم تمادوا وعلوا بالكفر بل هم عن هداهم نزلوا

وأبدول الطاعة بالمنهيّا

ونكّبوا عن منهج الطريق واشتروا الخذلانَ بالتوفيقِ

وانفصموا عن حبله الوثيقِ وغيَّرون البِرَّ بالعُقوقِ

لكلِّ أبٍ مُشفِقٍ حنيّا

وقوله أيضاً في شعرٍ آخر:

أصلُ السعادة تثبيت اليقين على توحيد أنزعَ لم يُولد ولم يلدِ

مع رسلهِ ظاهراً لا مثلما زعموا أهل الحلول الذي حلُّوه في الجسدِ

وأنه معهمْ ما زال منتقلاً في كل شيخٍ مقيّمٍ قام في البلدِ

بلا معاجز أوراها ولا قُدَرٌ لكنّ قد كان منهم نُطق مُستفِدِ

وشبّهوه بأجسامٍ مركّبةٍ باللحم والدم والأعظامِ والجسدِ

وإنـه بشرٌ حقاً بلا نكرٍ والفعل منه فهو تكسيب مجتهدِ

وكـل معجـزةٍ أورى الأنـام فهـي تعليـم إذ عـرف السـاعات والرصدِ

وإنمـا نُطقـه أعلـى فضـيلتَه فهـو المـرادُ لمـن إيجـاده قصد

برِئـتُ ممـن تكـن هـذي عقيدتـه وكـل مـن كـان بالتجسـيمِ مُعتقِدِ

أمـا فـي هـذه الشـواهد إثبـات فسـاد عقائـد أهل تلـك الـديار ممـن كانوا فـي عصرهم من المؤمنين الكبـار، ولقد أُنشئت هـذه العقائـد الداعيــة إلــى أقبــح المــوارد مــن تــاريخ ســنة ثــلاث وســتمائة واستُبدعَت من كتـاب الثامنـة الـذي تعلـق بـه سراج الـدين العانـي وتلاميذه منهم سنان قزحل والنسّاج الحمصـي، وقد قيـل أن هـذا الكتاب المذكور من تصنيف تلاميذ الأحمر الذي حَمِر عن الحق. ولمـا أن ظهـر هـذا الكتـاب وشـاع وذاع فتمسكوا بـه أهـل الزيـغ والبِدع خلف عن سلف حتى وصل هذا المذهب إلى هؤلاء الرجال الذين ذكرهم الشيخ يوسف ابن العجوز والشيخ علي بـن منصـور وأثبتـوا ذمّهـم فـي أقـاويلهم خوفـاً مـن نمـو كفـرهم فـي الأمصـار والنواحي، ولقد اطلعت على خبرٍ مفردٍ في كتـاب قديم يعبر بأنـه

لما ظهر هذا الكتاب وافتتن فيه الأبعدون ومن الصواب حصلت مذاكرة يومئذٍ فيما بين العصابة الموحّدين من أهل ذلك الزمان في أمر الكتاب المذكور والمذهب المدحور وانهم عرضوا أمره على ابن بقراط الحموي والأمير حسن ابن مكزون السنجاري وصفي الدين بن المحوِّر الفارقي الصوفي وبقية العلماء والقادة الذين يُقتدى بهم ويرجع إلى أقوالهم أهل الحقيقة، فلما تحققزا من فساد هذا الكتاب المنقوض وعاينوا خبث إيراد مذهبه المرفوض صنفوا بذلك تصانيف وأرسلوا في ذلك رسائل رداً على هذا الكتاب والمذهب الداعي إلى سوء المنقلّب وقد قيل إنه كان ورود الأمير حسن ابن مكزون من بلاد سنجار إلى تلك النواحي والديار بسبب ذلك في باطن الأمر بما أنه كان قد افتتن فيه أغلب الناس من أهل ذلك الزمان فأخمد المومى إليه ما استعر من نار الإنكار المشتعلة وأوضح فساد ما ذهب إليه أهل الارتداد والزيغ والعناد، وبيّن أصول المذاهب المنتحَلة وأفصح عن صحة شر ائط الملة وفي ذلك يقول ابن بقراط هذه الأبيات شعراً وهي هذه:

قد وقع بين سادة العلم خُلْفٌ وجدالٌ بزائدٍ ثم ناقِصْ
ونقارٌ وفتنةٌ عن كتابٍ وزِحامٌ وشرّهم عاد راقِصْ

فـي كتـابٍ جديـد أظهـرْ لـديهم　　　اسـمه التامِنَـهْ غريـبٌ وراهصْ

طلبوا السيد ابـن مكـزون فيهـم　　　يفتهِـمْ عـن غرائـبٍ ومواعِصْ

كشفوا سرّه بعقلٍ وفهمٍ　　　ثم علمٍ رأوه شركاً مراهِصْ

وجَدوا فيه كل إفكٍ وزورٍ　　　قد غرق فيـه كل نـذلٍ وناقِصْ

وزنيمٍ وأحمرٍ ومُعادي　　　ودَحورٍ وفاجرٍ ثم فاحِصْ

حلّلـوا مـا حـرم وثبتـوا صـورهم　　　بعلـيٍّ أمـير أهـل الخصائص

هــذه ويلهــمْ أمانـــةُ ربٍّ　　　حملوهـا كفـراً بأعلـى النوايص

وبه فتنـةٌ تحير فيهـا　　　كلّ بَرٍّ بقلـي صافي وخالِصْ

يا ولاة الهدى وكل ولـيٍّ　　　سالم الوْدِ عند كشف الوصاوصْ

اعلمـوا وافقهـوا حـذارِ عليكـمُ　　　مـن كتـابٍ مخـالفٍ ثـم داحِصْ

واتبعوا شيعة الحسين حُسيناً داحضٌ من غدا عن الحق شاخِصْ

ويليه هذه الأبيات وقد قيل إنـها لابن مكزون:

اسمعِ كلامي تنجُ من نار اللهبُ واتَّبِع الحق ودَعْ عنك الكذبْ

التامِنـه كلامهـا مزخـرفٌ ليـس بهـا رشـدٌ ولا فيهـا صواب

قرأتها وفهمتها فوجدتُها أشوَه مقالٍ كاذبٍ لأهل الريَبْ

قـد قلّبـوا الأديـان فـي تغيـيرهم وزخرفـوا القـول الحقيقـي المنتجَب

مقـدّمٌ مؤخّـرٌ فـي لفظـهِ بؤسـاً لراويـهـا ففـي شرّ الغضب

ألَفَها بزورِه مسمّيا لنفسه اسمَ الأمير المرتقَبْ

فاعتقدوها عقبه أولادُهُ بكفرهم مع سوء ظنّ مُنقلب

وشيّعوها فتنـوا النـاس بهـا وكـم عمـيٍّ تـاه فيهـا وانتصبْ

وكذلك وردت الرايـة من مصنفات اسماعيل بن خـلاد /لعنـه الله/

إنـه كـان يـروي أن الشيخ أبـا عبـد الله رضـي الله عنـه مـا أودعَ علمـه جميـع كتبـه علـى قلـة مـن يفهـم كتبـه ومـراده بـالقول فيهـا ومذاهبه، وإنما أودعه لصدورٍ، ولا صدور الكل بل صدور الأقلّ المطيقـة للحمـل، فـزعم أن الشـيخ نضّـر الله وجهـه كـان ضـنيناً بالأسرار وبخيل بالإظهار يمنـع منهـا الأقربين ويمنحهـا الأبعدين إذا كـانوا لحملهـا مطيقيـن، وإنـه مـن خيفتـه علـى إظهارهـا وقلـة رغبتـه فـي انتشـارها لـم يودعهـا كتبـه ومصـنفاته ولا صـدور الكـل مـن أولاده وثقاتـه لعـدم قبـولهم لهـا وضـعفهم عـن حملهـا فلـذلك سـوّلت لهـذه العصـابة أنفسـهم فزعمـوا أن هـذه الأسـرار الـتي لـم يودعهـا الشـيخ فـي كتبـه ولا ألقاهـا إلـى أولاده هـي هـذه البدعـة الـتي ابتـدعوها وهـي عنـدهم سـر السـر وبـاطن خفـيّ الأمـر بمـا قاسـوه مـن الشـرك والحلـول بـالقول الحائـد عـن الأصـول لأن اسـماعيل ابـن خـلاد /لعنــه الله/ كـان سـماعه مـن الحقيـنـي، والحقيني من همّام الأعسر ولد اسحاق الأحمر الذي هو إبليس الأبالسة في عصره وشيطان الشياطين في دهره وهـو الـذي أضلّ القرون بعد القرون وكيف ذلك وقد قال الشيخ نضر الله وجهـه في الرسالة: إنـي آليتُ علـى نفسـي أن لا أدعَ شيئاً مـن التوحيد إلا أذكره في هذه الرسالة، وقال في ديوانـه أيضاً:

وقد صرّحت بالمعنى وأوضحتُ الدلالاتِ

وإنني لم أذكر طرائق هؤلاء القوم إلا لوجهين: أحدهما ليحذرهم المؤمنون، والثاني لِما سطّر هذا الرجل المسلوب الرشد، المنطوي على الإصرار والجحد من مده أهل تلك النواحي التي جرت فيها هذه البِدَع وما تصوره أيضاً من الذمّ وقرره بأهل صافيتا من نقص العلم والفهم وتغيير القوانين والرسوم وإضاعة الفقه المعلوم مع أن أهل صافيتا سابقٌ ولاحقٌ ما قطّ ابتدعوا في الدِّين ولا سُمِع عنهم تغيير القوانين ولا انسلخوا عن أقوال الأئمة الراشدين والسادة المتقادمين وإنما هذه السجية دأب أهل بلاده ودياره والانخساف واقعٌ به وبداره لارتكابه أراجيح الهوى وجحوده من على العرش استوى، ثم انثنى إلى ذكر فصلٍ من كتاب الهداية وهو موجود في الباب الرابع عشر في ذكر المهدي الثاني عشر من الأئمة عليهم السلام وهذا الكتاب المذكور صنّفه الشيخ رضي الله عنه على مذهب الإمامية وأهل التفويض الذين يقولون بالعين قول المحدين بالميم وإن الشيخ نضّر الله وجهه رواده وأثبت فيه ذكر معاجز الأئمة والبراهين والعلوم التي أظهروها وجعل لكل مقامٍ منهم باب مفرَد ومع ذلك فقد أدخل مولانا العين في جملتهم في ظاهر الأمر وهو في الحقيقة

إمامهم وربهم ومعناهم وغايتهم مولاهم، وإنما جعل هذا الكتاب بهذه المثابة تنبيهاً للشيعة عند ذكر المعاجز والبراهين على مكنون السر وإعلاماً بباطن الأمر كونه من خفي عليه مذهب التوحيد ولم يقبله أو شك فيه أوقفه عند مذهب التفويض بروايات يقبلها عقله وإشاراتٍ يحتملها فهمه ولا يهمله من غير طريقةٍ يقتفيها أو مذهبٍ يذهب إليه واعتقادٍ يعتقده ويعتمد عليه فصنّف لهم هذا الكتاب المذكور حجةً لهم وعليهم، ومن فتح الله قفل قلبه وكشف الران عنه وأشرقت عليه أشعة أنوار التوحيد رقى به إلى حقيقة معرفة ذلك وسلك به الطريق الواضح وصرّح له بما يحتمل من القول الذي يدل على التوحيد المحض الخالص من الشك والزيغ والشرك ومن ضعف عن حمل ذلك أوقفه كما ذكرنا ورسم الباب الرابع عشر في معرفة ظهور المهدي وعلاماته وما يظهره من القدر والمعاجز والعدل والإنصاف والجود والاستعطاف كما رسم ديوانه نظماً على هذا القانون تشوقاً إلى ظهور المهدي وهو على مذهب الشيعة أيضاً ما خلا الغديرية وباب الهداية ويا ظاهراً لا تغيب عنا فهؤلاء لأهل التوحيد خصوصاً وما بقي على مذهب الشيعة ولكنه لا يُخلي منها إشاراته التي تدل على التوحيد بل جعل ظاهر القول

تعريضاً للشيعة ثم يلوّح لأهل التوحيد بالحقيقة تلويحاً فيلتقط ذلك الرجل السعيد الموحِّد الصافي الذهن النيّر الفهم المستعد لقبول الحقيقة فيقوى بها فهمه ويتضح بها رسمه ويزداد بها رغبةً ويملى باتصاله بها خشيةً ورهبةً ويمتنع من قبولها قليل العلم الكليل الفهم المتبلّد عن الفقه فيقف عند الجدار هائماً عن الدخول ومتمسكٌ بالفروع دون الأصول ولو ذهبنا إلى ذكر بعض الفصول التي رواها والأخبار التي أتاها لطال الخطاب وعجزنا عن حصرها تركنا ذلك حذفاً للتطويل ورغبةً في الإيجاز لأن الكلام الموجز أجمل وأجمع لأننا قد برهنا في هذا الكتاب نهاية ما يقصده الطلاب من معاني حقائق الأسرار رداً على هذا الرجل المهذار ما يغني عن الإكثار، والكلام القليل أقرب تناولاً وأسهل تأويل وأثبت وأرسخ من الكلام الطويل في أذهان أهل الرياضة في التحصيل لا سيما الشفقة على أرباب الفهم الكليل خصوصاً أهل القصور المستضعفين عن عظائم الأمور فلقد أوردنا في هذا الكتاب من هذا الفن ما يزيل الخلف ويزيد في النصفة ممن انتصف فمن علم ذلك وعمل به حُمِد مسراه وصار إلى مجادل عيون الحقائق مصيره ومنتهاه وكان ممن قال الله تعالى فيهم: وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفورٌ شكورٌ

الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصبٌ ولا يمسنا فيها لغوب، ومن أخرجه بظهر الغيب واستلحظه بعين الريب وأحال به عن المشاهد المرئي والتجأ به إلى الغيب فالله له قبيل بما اكترث به إلى التغيير والتبديل والتشبيه والتعطيل إذ لم أدع لمن اطلع عليه عذراً يميل به عن المكاشفة للمشهور بعين المشاهدين له بنظر الحقيقة إلا من ختم على قلبه قفل الشك وحرج على صدره ضنك العناد والإفك وخيم على فكره عمام البطر والفتك وتشوق دمه للإهراق والسفك ولكنني أرى أنه لا يخلوا وقت من شاكٍّ ولا عصرٌ من جادٍ ولا بد لمن سلك سبل التأليف وغاص أبحر التصنيف من حاسدٍ أو راصدٍ أو باحثٍ عن غيبةٍ أو فاحصٍ عن ريبةٍ أو معتمدٍ غيبة وأنه لا بد لعالم البشر من الزلل والنسيان والتفاوت في الأفهام، وإني سائلٌ متضرع إلى الله تعالى وداعٍ ومبتهل إليه بأسمائه الحسنى وأمثاله وصفاته العليا أن يعصمنا من الزيغ الخلل ويمنحنا الزيادة في العلم والعمل وأن يؤيد به كل ذي ديانة ويثبت به كل ذي أمانة ومن أحب أن يجري الخير على يده واعتقد الحق فاستيقن به جنانه ونطق به لسانه وأثبت مراتب الوجود بالنور والبشر وحقق المظهر الحق المشهود في الغيب والحضر وأن يجنبنا وإخواننا طريق أهل

العناد والميل والارتداد والبهت والجهالة والغيّ والضلالة وأن يوزعنا شكر النعمة التي أنعمها الله علينا وعلى والدينا وأن يُتهمنا لدينا كما أتمها على أبوينا ويهبنا استعداداً مستوفياً لقبول إشراقات بوارق أنوار الحظائر القدسية ويفيض علينا من فيوضات غدارن العناية الربانية وأن يمدنا بنفحات رياحين القرب ونسيمات الوصال بالمحبة الذاتية فنتنسم ذلك بالمناسبة الشوقية للحضرة العليّة فنزداد بهجةً وسروراً ورياضةً ونوراً وتحفةً وحبوراً وأن يزيدنا رغبةً في ديننا وإثباتاً في اعتقادنا وتزكية في يقيننا ويثبتنا على ما هدانا إليه من معرفته التي هي السعادة الأبدية والغنيمة الكلية ولا يفتننا فيها ولا يحجبنا عنها ويجعلها معنا مستقرةً بالخير والقبول الذي لا ينقطع ومستديمةً بالرشد المبذول الذي لا يمتنع ومقرونةً بالشكر المنقول الذي لا يندفع وأن يبدأ بإخواننا المؤمنين وساداتنا وأسلافنا المتقادمين السالكين طريق الحق والتابعين منهج الصدق، وإني أسأل من وقف على ما ضمنته واطلع على ما سطرته من الإخوان المحقين الراكبين جادة التمكين أن يتدبروا ما ذكرته ولوحت به وحبّرته وصرحت به بعين النصفة فإن لمحوه للهداية موافقاً أو لما اعتقدوه من معرفة الحقيقة مرافقاً فلا يهملوه ولا يذيعوه لغير أهله فلقد قال

المولى جعفر منه الرحمة: مذيع السر شاكّ وقائله عند غير أهله افر فأعوذ وأعتصم بحول مولاي وعصمته من أن ينظر في كتابنا هذا ممن هو بهذا الوصف وإن لحظوه نازحاً عن الطريق ومنعدلاً عن معرفة التحقيق أو شارداً عن التوفيق فمن شأنهم إصلاح الفساد، لأنني لم أذكر ما ذكرته في هذا الكتاب ولم أشرح ما شرحته من هذا الخطاب إلا للمبالغة في قمع هذا الرجل الذي تصدى بالزهو والافتخار على أهل الإقرار وكان ممن قال الله تعالى فيهم: قل هل أبنئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً... ومما نُقل من كتاب آداب عبد المطلب وهو قوله: خُصّوا أولياء الله بالتسليم والرحب وتباعدوا من المذيعين لسر الله فإنهم يريدون بذلك الرياء والسمعة والرئاسة، ومن طلب العلم على بصيرة فلا تمنعوه فإنه هو الناجي ومن طلبه على غير بصيرةٍ فداروه وأعطوه الكلمة بعد الكلمة حتى يطهّر قلبه وتزداد بصيرته، لقوله تعالى: فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم... ومن طلبه عناداً فامنعوه وقاطعوه ولا تُعطوه، لقوله تعالى: السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله والله عزيزٌ حكيم. وهو قطع العلم عنهم، وقوله تعالى:

ولا تركنوا إلى الذين ظلموا... ومن وُجد في محل التعظيم وجب تعظيمه ومن وُجِد في محل الغفلة وجب تنبيهه وتعليمه ومن وُجِد في محل الرئاسة والتكبر في طريق العلم بغير أبوّة فإنه ولد زنى وقد وجب تحريمه والتحريم هو عدم الاجتماع به والصمت عن تكلمه لأنه من فروع الأصول الثلاثة التي هي أصل المحرمات ومعدن النجاسات بقوله تعالى في سورة المائدة: حُرّمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنختقة والموقورة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما زكيتم وما ذُبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسقٌ... فقد كشف عن سر حقيقة هذه الآية وأفصح عن معنى باطنها الشاب الثقة أبو سعيد ميمون بن القاسم الطبراني في كتاب الحاوي في الفصل الخامس منه في ذكر المحرّمات في السماع، وبرهن ذلك حسن بن حمزة الصوفي البلانسي في كتاب التنبيه قدس الله روحه روحيهما فأحببت أن أجمع أصول التفسيرين ليزداد وضوحاً وليكون لسامعيه وراويه مبرهناً ومفصوحاً لأنها آيةٌ جليلةٌ القدر عظيمة الخطر قد حوت باطناً عظيماً، وسراً كريماً لا ينكشف إلا لأهله، فأما الميتة والدم ولحم الخنزير فهم الأضداد الثلاثة /لعنهم الله/ وهم الذين لا استعداد لهم لشهور

ظهور الباري لخلقه كخلقه فكانوا هم أصل الخلاف والنفاق والتكذيب والمعاندة بالإطلاق ومن كان من نسلهم وله بهم نسبةٌ ظاهرةٌ أم باطنةٌ فلا يجوز إيصاله إلى هذا السر، ولا اطلاعه على هذا الأمر أبداً لأنه لا يقدر على لعنه آبائه وأجداده ولا يحتمل السر المحرم عليه وهو مبعودٌ عنه بكفره، فالميتة الأول هو المعدوم الإقرار المسلوب القبول في الأكوار والأدوار، والدم المنتن الثاني الملعون الذي يحصل تأثيره في أهل الغضب الذين يخرجون عن الحق عند غضبهم وهو غليان الدم وفورانه في قلوبهم وزيادة ذلك لزيادة عنصر شخصه الخبيث، وغيهم قول المولى الصادق منه السلام: ليس منا من إذا غضب أخرجه غضبه عن الحق، ولا من إذا رضي أدخله رضاه في الباطل، ولحم الخنزير هو الثالث الملعون المعدوم الغير والمروءة ومن كان من سنحه فلا غيرة لهم على أنفسهم ولا شفقة لهم عليها عند الميل إلى الباطل دون الحق وإلى المَين دون الصدق وأما ما أهلّ لغير الله به فهو كل من تسمى باسم أمير المؤمنين من بني أمية وبني العباس الذين لعنهم الله وأصمهم وأعمى أبصارهم لقوله تعالى: إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور... فلا يجوز من له بهم نسبٌ أن يطلع على

علم التوحيد لأنه من المحرمات المنهي عن إيتائها، والمنخنقة إشارة إلى الذين اختنقوا بتكليف ما لا يطاق حمله وعبادة ما لا يرى ولا يوجد كصاحب المنصب الكبير في علم الظاهر الغارق فيه وفي ما تعتقده أهل السُّنّة فإنه لا يمكنه الإقرار بعلم التوحيد بعد أن اختنق بعلم الظاهر، وبني لحمه ودمه ونفسه وعقله وعقده عليه وأيّ من أظهر له شيئاً من علم التوحيد فهو عنده كافرٌ ويُهدّر دمه ويباح قتله، فأي شيء أبعد من هذا وألعن فالحذر كل الحذر منه فإنه المظلم الذي لا نور فيه وفي أمثاله قول الحكيم: إن الألفاظ المنطقية مضرّة بذوي الجهل لسوء احتباسهم عنها. والموقوذة إشارةٌ إلى الذين فسدت أمزجتهم وتخللت عقولهم بالرياضة المفرطة في العلم من غير دليل ومرشد وعارف يسلك بهم طريق التربية بالإشارة إلى المقصد الأصلي، فتارة يقولون بالوجود وتارةً يقولون بالغيب المفقود، وأمثالهم من أهل الظاهر كالحائر الذي ليس مع السنّة ولا مع الشيعة فهو كالمريض الدائم المرض والوجع فوقت يفيق ووقت يمرض، أي وقت يُرجّح مرتبة الأول وهو الباء، ووقت يرجّح مرتبة العين فهو المريض المزمن المرض وهو الموقوزة لأن الوقيذ هو المريض ظاهراً وباطناً. والمتردية فهو صاحب العاهات

والعلامات الرديئة في الظاهر وأما في الباطن هم الذين وقعوا في شبهةٍ منعتهم التوجه إلى وجه الحق تعالى والإقرار له في وجوده وظهوره فهو متردي عن معرفة ذلك. والنطيحة هو المأبون المشتهر الذي يؤتى في ذاته وفيه إشارة إلى الذي أضله غيره عن وجه معرفة الحق وعدل به إلى الباطل. وما أكل السبع إشارةٌ إلى الذي سمع الدستور من شخصٍ بلا طريق ولا شهود فقد نهشه السبع ولم يمت فإن لحق بشرب السار لمؤمنٍ فقد زكّاه والزكاوة في الظاهر هي الذباحة وفي الباطن خروجه من التحريم إلى التحليل بالترتيب الصحيح وفي ذلك إشارةٌ أخرى إلى الذين تركوا شيخاً عالماً عارفاً بالتربية، وإماماً فقيهاً بالسلوك على الطريقة الأصلية واتبعوا شيخاً قد أظهر عليه أثر العبادة والتخشع أو يكون له سماطاً ممدودٌ وهو جاهلٌ فمالوا إلى تقليده دون الشيخ العارف العالِم. وأما ما زكّيتم معناه إلا ما أخلصتم وأرشدتم إلى الإقرار بالحق وباطن الشرع وظاهره ممن وقع فيه انتقاص الهداية والرشد من معرفة الحق. وأما ما ذُبح على النصب يعني على جهة القبلة في ظاهر الأمر، ومعناه في الباطن شرب السار والتعليق والسماع بالترتيب الصحيح فمن كان كذلك فهو حلال وفيه إشارة إلى من أشار إلى مرئيٍّ موجود

فـي عبادتـه. وأن تستقسموا بـالأزلام ذلكم فسق، فظـاهره اليميـن بالأصنام والأوثـان، وباطنـه الاقتـداء بمن لا نجابـة فيـه ولا رشـداً ولا إقراراً لـه فـي وجـود المتجلـي الموجـود، فالاقتـداء بـه يقـود إلـى الفسـوق والعصـيان والجحـود وذلـك حـرامٌ محـرمٌ علـى المؤمنيـن البالغين، وعلى هذا التقدير فلا يُنسب العزيز القدير إلى النقص بوجـهٍ من الوجوه وإذا وُجِد من فضّله الله فـي العلم والفهم وإن كان ذا رتبةٍ ناقصةٍ أو حالٍ وضيعٍ في أمر المعاش الدنياوي فإنه يجـب تفضـيله علـى مـن هـو دونــه فـي العلـم تفضـيلاً مسـاوياً لاستحقاقه إن أمكن معرفة استحقاقه وإلا فبقدر الإمكان والطاقة والحكم فـي ذلـك علـى أهل الإيمـان ومـواطن الكتمـان لأنـه ليس الحلال المحلّل إلا للمؤمنين ولا الحرام المحرَّم إلا علـى المؤمنيـن وأمـا مـن عُرِف بالفسـاد وسوء الظن فـي الاعتقـاد كهـذا الهـائـم المنكِر الوجود الثابت الدائم فهو كـالبهيم المكبوب الذي لا يمكن أن يرفـع رأســه نحـو العلـو ولا ينفـك مطرقـاً لـلأرض فطاعتــه وتفضيله يقود إلى جحود المعبود، ومـا أحسن هذه الأبيات التـي لفظ بها قطب زمانه وفقيه أوانه الأمير حسن ابن مكزون رحمـه الله تعالى وهو قولـه في ديوانـه:

ما الحكمُ في الناس إلا على النفوس الحكيمهْ

مشاهداتِ حديثِ الـ مُغيَّبات القديمهْ

السالكات إليها على الخطوط القويمهْ

بسُنَّةِ الحمدِ ثالثٌ رفض الصفات الذميمهْ

فحدُّ من حادَ عنها في الناس حَدَّ البهيمهْ

والناس ربُّ يقينٍ وخابِطٌ في وهومِهْ

لا يستضيءُ بأنوا رِ قادحٍ في علومه

آوٍ إلى غير ظلٍ مستمطرٍ غير دِيمهْ

هاوٍ إلى أعواجِ الخطِّ من ذرا مستقيمهْ

بالتّيهِ تاه ضلالاً عن ظلِّ كهفِ رقيمهْ

لا يهتدي في دُجاهُ لغيبهِ عن نجومهْ

معنى الكتاب لديهِ عبارةٌ في رقومهْ

موخَّرٌ فيه ما حثّه على تقديمهْ

فاسلم بنفسك عنهُ إلى العقول السليمهْ

وخلِّهِ وهواهُ مخلَّداً في جحيمِهْ

وقد اخترت إثبات هذا التقرير في معرفة أسماء الكتب الحائدة عن الأصول المنقرضة التي تؤول بمن تمسك بها إلى انخساف الطريق والحيران والتعويق فمنها:

المختصر: الذي ألفه ناصر بن اسكندر. ثم:

رسالة دورة الدرر في ذم الشمس والقمر. ثم
كتاب اليونان، الذي ما أنزل الله به من سلطان. ثم:
مختصَر علي بن سلمان... وما صفه من الأحقاد والأضغان... ثم:
رسالة حسن المنكولية... التي أشار بها إلى الذات الديباجية...
ومن الكتب المنتحلة من أصحاب الأغراض والشبهات والمآرب والاعتقادات :
كتاب الطاعة في قيام الساعة:
فهو من المنحول لأمير المؤمنين منه السلام.
وكتاب الثامنة أيضاً: فهو من المنحول لأمير المؤمنين.
وكتاب الموارد، فهو منحول للسيد أبي شعيب عليه السلام ألفوه أصحاب الأغراض عوضاً عن الموارد الأصلي.... كذلك:
كتاب الكافي: جرى هذا المجرى وقد أخبر عن أسباب عدمه صفي الدين عبد المؤمن ابن أحمد ابن المحوّر الفارقي رضي الله عنه، وهو ما ورد في كتابه الموسوم بـ الفعل المفيد في حقيقة التوحيد، وهو قوله:
ولقد بلغني الخبر أن رجلاً من الموصل كان عنده هذا الكتاب الذي هو كتاب الكافي للضد المنافي، وأسباب وصوله إليه أنه

أتى رجلٌ من الخزرج إلى الموصل فقطن فيها في الجامع الكبير فكان ذلك الرجل من الفرقة الخصيبية فأتاه رجلٌ من بعض الشيعة وقال له: من أين أنت يا أخي؟ قال: من بلاد الخزرج فقال له: وما بالك ههنا قاطن؟ فقال له: إن شاء الله إذا صح الرفيق تراني أنا وهو قادمين إلى تلك البلاد، فقال له: أنا أصحبك إلى بلاد الخزرج مع القافلة . فقام الرجل الخزرجي فقبّل يديه وقال له: جزاك الله عني خيراً.

فقال الرجل: أنت أيها الخزرجي أما رأيت لك رفيقاً إلى بلادك غيري؟ قال: لأ. قال له الرجل: ولِمَ ذلك؟ قال: لأن الطريق مربوط من القوم الأعراب فقال له الرجل: فإني ضامنٌ لك على هذه القافلة وكبيرها محامل جملين واحدٌ منهما للركوب والآخر للمأكول والمشروب، فنهض الرجل قائماً كأنه ولهانٌ فقبّل يديه وجزاه خيراً وقال له: يا أخي، أي وقتٍ يكون السفر؟ فقال له: من الليل المغلِس. قال فلما قاموا في الليل توجهوا للسفر، أيقظوا الرجل من نومه، فانتبه من حديث النوم وفي نفسه شدة الشوق إلى أهله وأوطانه فارتحل مع القافلة ونسي الكتاب المذكور في موضعه فلما أصبح الصباح أتوا الناس إلى المسجد فوجدوا الكتاب فالتقطوا وفضّوه وقرأوه فلم يفهموا مما فيه شيئاً

ولم يمر على مسامعهم إلا صفحاً فسلموه للدلّال لأجل البيع فاشتراه رجلٌ من سنجار /وهو من المؤمنين الموحدين/ بخمسةٍ وخمسين درهماً لا غير، واسم الرجل علي بن محمد بن أحمد الزجّاج، هذا ما ذكره حاتم في كتاب التجريد. قال:

وحدثني سمنديار النصولي وهو رجل منهم إلا أنه كان عجمياً وكان سبب اتصاله في عانة بالطريق الشرعي فحصل في بعض الأسفار في مدينة سنجار وكان من يؤاخي علي بن محمد بن أحمد الزجاج فلما رآه استقبله بأحسن استقبال وأكرمه بأحسن إكرام وكان علي المذكور صاحب دائرة وسُحتٍ فلما أدخله إلى قاعته وجد فيها من التصاوير شيئاً يذهل العقل، قال وكان للوالي عند علي ابن محمد بن أحمد الزجاج درةٌ في قفصٍ من الذهب الأحمر، وكان للوالي يومئذٍ ولدٌ يقال له نور الهدى، ويحب الدرة حباً شديداً وليس لأهله ولدٌ سواه وهم يحبون الدرة لمحبته، فلما مات الولد، قال أمه: وحق الله العظيم ما عدتُ أترك هذه الدرة في هذا البيت لأجل نور الهدى، فقام علي بن محمد وكان بينه وبين الوالي مؤاخاة عظيمة، فقال للوالي: إني آخذ هذه الدرة إلى قاعتي حتى تبرد نار أم نور الهدى ثم أدر الدرة إلى مكانها ، فقال له الوالي: رأياً أصبت يا علي فأخذ الدرة

إلى قاعته فلما حضر سمنديار النصولي رحب به وأحضر باطية من الصيني الأحمر وفيها خمرٌ كأنه المسك الأذفر، فطرحوا الباطية قدامهم، ودارت بينهما الكاسات، قال فبينما هما كذلك وإذا بالدرة قد طارت من مكانها إلى المكان فيه الكتاب وقد كان على رفٍّ من الرفوف فسقط الكتاب في الباطية الخمر، وكان كتاباً ثقيلاً، فابتلّ فقام علي بن محمد وأمر المملوك أن يجعل أوراقه في الشمس، فتناوله المملوك وجلس في مكان من الشمس فبينما هو قاعدٌ ينشره قد أتته سنةٌ من النوم فنام الغلام وخرج سمنديار فرآى الغلام نائماً فنظر ما في الكتاب من الدر والجوهر والعقود ومعادن الفضة والذهب ووجد فيه من التوحيد ما يُغني عن كتبٍ كثيرةٍ، فأحضر المدا، والكاغد وكتب منه قطعةً من التوحيد فلما خرج صاحب الكتاب ووجد ذلك صعب عليه فقال له سمنديار: ولمَ ذلك؟ فقال له: يا أخي إن في آخر هذا الكتاب وصية من السيد أبي شعيب أنه أيٌّ من وصل إليه هذا الكتاب وأعطاه لأحد من الناس ينسخه فلعنة الله على من يعطي وعلى من ينسخ إلا أن يدفع ثمنه ذهباً أحمر، ثم قال في آخر الوصية أيضاً: لعن الله من خالفنا وخالف وصايانا، فلما سمع سنديار ذلك ترك النساخة وترك الكتاب والغلام في الشمس ودخل

القاعة هو وعلي بن محمد فنام الغلام ثانياً وترك الكتاب في الشمس فانقضّ عليه طائرٌ من الجو الأعلى وهو الباز الأشهب وانكفح على الكتاب فأخذه بمخالبه وصعد به في الجو فصرخ به الغلام ليرميه فذهب الطائر به، ولما سمعوا صراخ الغلام من داخل القاعة خرجوا إليه فوجودا الكتاب قد ذهب، فسحب علي بن محمد السيف وضرب غلامه فقطع عنقه، ثم إن الطائر رمى الكتاب في بعض شوارع المدينة فالتقطه الناس وذهبوا إلى قاضي المحكمة، فاجتمع عليه كامل علماء المدينة فرأوه ضد اعتقادهم ووجدوا فيه من تعاليم صناعة الإبريز وهو الذهب والفضة وغير ذلك مما يطول شرحه، ووجدوا فيه لعنة الأول والثاني والثالث فأجمعوا على حرق الكتاب وأحضروا الحطب والقطران، فقال قائلٌ منهم: إن الرأي ألا تدعوا أحداً يشعر بجمع الحطب والقطران بل اتركوا المنادي ينادي في شوارع المدينة على هذا الكتاب لعلنا نطلع على صاحبه فحرقه مع كتابه، فقالوا: رأياً أصبت، فناولوه للدلال وجعل ينادي عليه: /يا كتاب الكافي للضد المنافي أيٌّ من كان له فليجيب شيئاً من المال ويأخذ كتابه/... فلما سمع علي بن محمد أخذ رأساً من الخيل السوابق ليقدمه لنائب المحكمة لكي يعطيه كتابه، فأتى إليه رجلٌ

من الشيعة يقال له أبو فهد أحمد بن موسى اليمين فرآه مغموماً، فقال له: ما لك مغموم؟ فحدثه بالحديث إلى آخره . فقال له أبو فهد: يا أخي ارجع عن هذا فلقد بلغني إنهم عملوا مكيدة ليظهر صاحب الكتاب ليقطعوا رأسه ويحرقوه مع كتابه، فلما تحقق ذلك جزاه خيراً، ورد الفرس إلى داره وسار إلى المحكمة راجلاً فلما دخل المجلس ووجد الكتاب ازداد تحسراً وتأسفاً إذ لم يطق طلبته.

فلما لم يروا له صاحباً أحرقوه. ولما رجع علي بن محمد إلى داره أصبح من الغد ميتاً غبناً لأجل الكتاب المذكور، رحمه الله تعالى.

هذا ما كان سبب عدم الكتاب الموسوم بالطافي للضد المنافي. ثم صنّفوا أصحاب الأغراض وأرباب المآرب كتاباً عوضه وسطّروا أغراضهم فيه وسموه الكافي بدلاً من الكتاب الأول. ومن المنحول أيضاً:

مناظرة الشعيبي والحلولي والرصدي والنطاط، وكذلك خبر الفرخ الذي في آخر الرسالة الجوهرية هو من المنحول أيضاً. وكذلك: رسالة الأنوار: فهي من المنحول إلى السيد محمد منه السلام. وكذلك:

رسالة لمعة الأسرار: فهي من المنحول للسيد الخصيبي رضوان الله عليه...

وكذلك: خبر الوصلة، فهو من الأباطيل المحرّفة، مروي عن جابر بن عبد الله الأنصاري... هذا ما شهد به الشيخ محمد الأنطاكي تغمده اله برحمته.

وكذلك: المسائل المروية عن الشيخ ابراهيم شاما، والشيخ مسلم الحبيب وخلافهم من العلماء المتقادمين فهي من المنحول إليهم.

"تمّ بحمد الله وحده والاسم والباب بعده"

هذا ما انتهى إلينا من نساخة هذا الكتاب والله الموفق للصواب. وقد أنجز يوم الخميس في 19 شباط لعام 1988 م الموافق 22 / من شهر شوال 1418 هـ عن خط حمدان عمران حمدان في 9 / جمادى الثانية لعام 1302 هـ وقد ذكر أنه نقلها عن خط مؤلفها.

تقريظات

ويضاف لهذا الكتاب مدائح وتقريظات من قبل بعض السادات عف الله عنهم آمين

قال الشيخ ديب مكّين قدس الله سره المتين تقريظاً في الكتاب

ومديحاً بالمؤلف:

هامَ الفؤاد على الرحيل مُسيرِ فبحر شوق القلبِ كالبحورِ

يا غادياًفي متن الوجدِ فلا تُصغِ لمختالٍ ولا فخورِ

واعدو ولا تخشَ العِدا مستقبل لمكةٍ والقدسِ أيضا الطُّور

فـي ربـوة المصـباح والإيضـاح والإ نجـاح والإفصـاح بالتفسير

تلقى رياضاً بالزهور مبلَّجاً والورد والنسرين والمنتورِ

وترى سمِيًّا للشهيد بِكربلا في غِرّةٍ تزهو كما البدور

في منطقٍ متناثرِ الرطب حكى اللؤلؤ والدرّ مع البلور

سليل أحمد زاكي الأنساب مِن فروع حِميّن العُلا مشهور

أرخِ زِمامك يا رسولى والثِمِ الـ أعتاب وادخل بيته المعمورِ

بتحية التسليم والتكريم والتهليل والتمجيد والتكبير

والثُمْ لِتُرب أقدامه وعُج إلى الأيدي وأثني اللثم بالتكرير

وقل له لولاك يا قُطب الملا من كان أفلجَ حجّة الحاصوري

من كان انقضَ ما تفّوه فاتكٌ بالقشي والتوبيح والتبذير

مـن أدحـض حججـاً قلّـدها مـن قِيلـهِ فـي كتابـه المخصور

من كان قلّد دررَ العلم وأبهج صور العلياء بالتحرير

من كان أجلى غامضَ الرمزِ وأثنى فيه قول الهائم المغرور

من كان ردّ على ابن سلمان الذي أنش قريض الإفكِ والتزويرِ

للهِ درك من فطينٍ أريحي قطبٍ ففيهِ عالمٍ نحرير

لا زلت صور من الشكوك ومرهفاً منتضى في يد كلّ نصير

أصبحتَ محيي الدين يا أبَّ الذي عند الثناء باسمه مشهور

ما زلت تسمو بالعلوم وترتقي حتى فقهتَ الغامض المستور

واستلمت في المعالي سلَّماً حتى قبستَ العلم من سابور

وأعلنت عن غرّة لؤيّ مذ لوى للعرب من فارس بحلل النور

وذر وعبد الله بالنوق التي أوفى بها العهود والنذور

تروي عن المختار بعد الصمت بالنطق بباطن بيعةِ الغديرِ

ورحت في روض الخصيبي سارحاً متعصباً في شعبه النُّميري

وعرفتَ بالتأويل والتنزيل والمحكَمِ والبطونِ والظهور

أحييتَ دينَ الحق بالتنبيان في قلائد الدرّ على النّحور

فهاكها نسج القريح قريضةً قد ختمت بالمِسكِ والكافور

والتبر والعقيان رصَّع لفظها تنسيمها من نفحة العبير

غيداء فاترة اللحاظِ بغنجها ميّاسةً في حِللِ الإكسير

في غرر التسليم تهدي دائماً لذاتكم في مِدد الدهورِ

وجمع أهل العلم إخوان الصفا يذكون بالإيصال والتنوير

يرجو بهم تشريف كاساتِ الدّعا رقّ سُمِي ولديهِمُ فقير

مولدها في كمد تاريخ آتى يا عارفاً بالرمز والتعبير

وإلى الشيخ محمود علي أحمد تقريظ ومديح في هذا الكتاب وهو هذا:

وجدتكَ يا حسين الطهر قطباً فقيه العصرِ مالكَ من نظيرِ

حويتَ من الفصاحة كلَّ فنٍّ من التوحيد في فقهٍ غزيرِ

نشيتَ لنا كتاباً قد تسمّى قلائد دُرّ في عقد النحور

أردَّ على الغَويّ بما تعدى حدود الحق حنثٍ ثم زورِ

ابن اسكندر المغرور يسمى ناصر ما دَعيتَ له نصيرِ

رضضتَ الفاه منه باختبارٍ رواياتٍ من الفكر المنير

فيا لله درَّكَ مِن همامِ فصيحٍ فاهمٍ حبرٍ خبيرِ

فسبحان الذي أحباك علما بجود النثر فقت على الحريري

وحُسْن النظم لك فيه اشتهارٌ أفقتَ على الفرزدق وزُهير

جلوت لنا الظلام شبيه بدرٍ برُشدٍ قد شرحتَ لنا الصدور

جُزيت مثوبة الإخوان أجراً بما ضمّنته من كل خير

فاسأل خالقي بقِدْم ميمٍ وسينٍ وخمسة الغُرّ الزهورِ

يمتعنا الكريم بدوام مجدكْ على مرِّ الليالي والدهور

عليك تحية وأسنى سلامٍ مضمّخةٍ بنفحات العبيرِ

من المملوك يهديها لديكم محمودٌ لكم عبدٍ فقيرِ

وله أيضاً على وزن ما مرّ آنفاً، عفى الله عنه:

تفكّرتُ بما أنشا القدير أبَشَراً أن يكون لنا نذيرِ

فأقوامٌ نفَتْ هذا قديماً وأهل الحق صار لهم بشيرِ

تفوّه في مقالٍ كلّ وقتٍ على مضمون ألسنةٍ تدور

حسين أحمد فيا لله بيتٌ يحجّ إليه أصحاب النُّذورِ

فذاك رسولنا مما نشاهُ ومن يُنكر فمصلاهُ سعيرِ

تجرَّد من لطائفه كتابٌ طفا أقوال ناصِر مع حَصورِ

فاسأل ثم أرجو من لطيفٍ بما أعنيتُمُ بَشَراً ونورِ

يُخوِّلكُمُ بما فيه اختيارٌ لكم والقصد نورٌ ثم حورِ

قال الشيخ علي بن الشيخ سلمان المريقب تقريظاً ومديحاً أيضاً عفا الله عنهم أجمعين

لاحَتْ بوارق سنا الأنوار في سحرِ نسيمُها عن فنون

الوَجد منتشرِ

واستنارت قوى الأفكار لمّا بدَتْ نثائرٌ ضُمّخت بالمِسك تختمر

مفصوحةً عن فنونٍ ثم شاديَة كالنرجس الغَضّ تبدي نكهة العطرِ

غرائبٌ من لطيف السِتر محكمةٌ ما لم يُشوِبُه ريبٌ ولا كدَرِ

ومجمعٌ عن رواة الصدق منتخبٌ عن سادةٍ ما بهم شينٌ ولا عكر

أعني كتاباً جليّاً فاز راغبُه موسوم تسميطُهُ بقلائد الدُّررِ

وضحتُ طرائقه كملت حقائقه يزهو برونقه عن خالص الأمرِ

راقت معالِمُه عذبت مكالمه فاحت مناسمه عن طرّة الزهرِ

طابت منابتُه والأصل ثابتُه والحق جادَتُه يا حبّذا الفخر..

أهنَتْ مآكله عذبت مناهِلُه ساعت سلاسله عن رقة الخمر

حسنت مآربُهُ فاقت مناقبُه ضاعت عجائبه في بهجة الصور

قامت مراصده تزري مضادِده ترمي معانِده باللهي والشّرر

رداً على الجاهل المرتاب فيما به سطّر كتاباً وأوسمُه بمخُتصرِ

بالحِنث ألفَّه غِلطاً مكلفه شططاً مصنّفه بالعِند والهزر

جهل مدّنسَه زورٌ موسوِسَه بالفحشِ أسَّسه يا بئس ما فجر

أعني به الهائم الهجّام ناصر ذو الفَظّ الغليظ بسفهٍ ثم في مكر

غمرٌ تسربل بالأضغان ذو حمقٍ وذو اكتراثٍ بأحقادٍ وفي بطرِ

قد عاند الماجدَ المفضال سيدنا أعني مُعلاّ به العلياء تفتخر

فجادَ بالعلم والبُرهان أيَّده ربّ العُلا على ناصرٍ فانتصر

لكنّ حمداً لمولانا القديم على مرِّ الجديدينِ بالأنعامِ والشكرِ

كما حبانا بقطب الوقت سيّدنا حسين أحمد مَن بالعلم اشتهر

ندبٌ رئيسٌ وبحرٌ ما له أمَدٌ هاجيس نحرير ضملالٌ ومعتبَر

حسين قد خصّه الباري برحمته يا فوز عبدٍ له الرحمن قد نظر

الحلمُ طبعٌ له والعلمُ شيمتُهُ والحق منهجه للمُقتفي الأثرِ

لقد حبانا بكتبٍ في تلاوتها نُرغِم أنوف الحواسد ثمّ والكفر

إن رمت أسماءهم يا صاحِ إفهمَهمْ واصغِ لما فيهم كي تبلغ الوَطَر

تذكرة كلّ مُريدٍ صاغ بهجتها وقد تقدّم ذكر قلائد الدُّرر

أيضاً المقامات يحيي القلب مسمعُها وتلوهُم بالرياضة قرّة النَّظر

وقطوف دانيةٌ قد ذلّلت وحوَت سر الحروف بها وغنيمة السَّفر

وكتابه الرحض للجلباب أقنه إعراب إيضاحه من مشكل الخبر

وكذا الوصية بها الأسرار كامنةٌ مفصحةٌ عن وجود النور والبشر

ولو أتيتُ بجزءٍ من مصنّفه كلّت بنانب وأعيا الفهم

والفكر

اسأل إلهٍ تعالى في تكرُّمِـهِ عن النعوت مـع الأوصـاف والحصَرِ

وبلطفـه فـي تـداني رحمـةٍ نُشِـرت بـالعدل للخلـق حـالين بـلا نكر

بأن يجازيِ حُسيناً كل مكرمةٍ ويرتقي لمحل الفوز والنّصر

كمـا تفضّـل علـى العبـد الضـعيف بمـا قـد خصَّـني بلطيـف الفقهِ من صِغَري

فهاكموهـا مبـاني تحفـةٍ جمعَـت معاربـاً سمَّطَـت عِقـداً مـن الدُّرر

من قل عبدٍ دعي عبداً لعبدكمُ علـيّ بـن سلمان يُهديـها بلا فخر

مُقرّ بالرجعة البيضا وغِرّتـها ألِفْ ولا مَينِ فيـهم أبلـغ الوِطَرِ

والحمد لله حمداً لا نفاد لـه ثـم الصـلاة لـذاتِ الـهاشـمي المُضرِي

وللشـيخ محمـد عبـاس حسـن ، تشـوقاً ومـدحاً بـهذا الكتـاب الفريـد وبمؤلف، وتقريظ

عفا الله عنـهم

يـا أيـهـا الطـالبين العلـمَ إن لـه كفـواً مُرجّـى لكـم بقلائـدِ الدُّررِ

هـاكم فاتيحُـه عن فـاهِ نـاثِره يـا حبّذا مرشـداً إذ تقتفو الأثر

سوف تروا أنه كنزٌ وأنَّ له جدار لم ينكشف عن بهجـة الصور

إلا لمن غاص أبحار العلوم بما يثاقب الفكر عن تيـهٍ وعن كدر

بُشرى لمن جالت الأفكار منـه علـى كشف الرموز يلاحظ غرّة القمر

حتى إذا دقّ فـي المعنى يرى صفةٌ تنزّهت عن صفات الخلقِ والبشر

يجلُّها سطره في الطرسِ عن مثلٍ لكنّ بالعقل تعرف ليس بالفكر

ليس لها بالورى إلا مؤلّفَه كفواً كفيلاً وكهفاً كالِي النّفر

حيّاك يا معدن الأفضالِ إنّ لنا بوجود علمك مَجْنى أفضل الثَّمر

يا كوكب الفقه بل يا شمس ملّتنا حسين أحمد لك الأعداء تفتقر

خلّيت ناصِر في حاصورَ منحصراً بين الجحيم وبين اللهب والشّرر

وأمثاله كم وكم أفلجتْ حُجّتَهم وأصبحوا عند بحرك قطر من مطر

للّه درَّك يا ذا القُطبِ مِن ملكٍ تُدعى الخِضّم بحال الذُّل محتسرِ

تمّ الكتاب

وقد ذكر الناسخ أنه قابله على خط مؤلّفه.